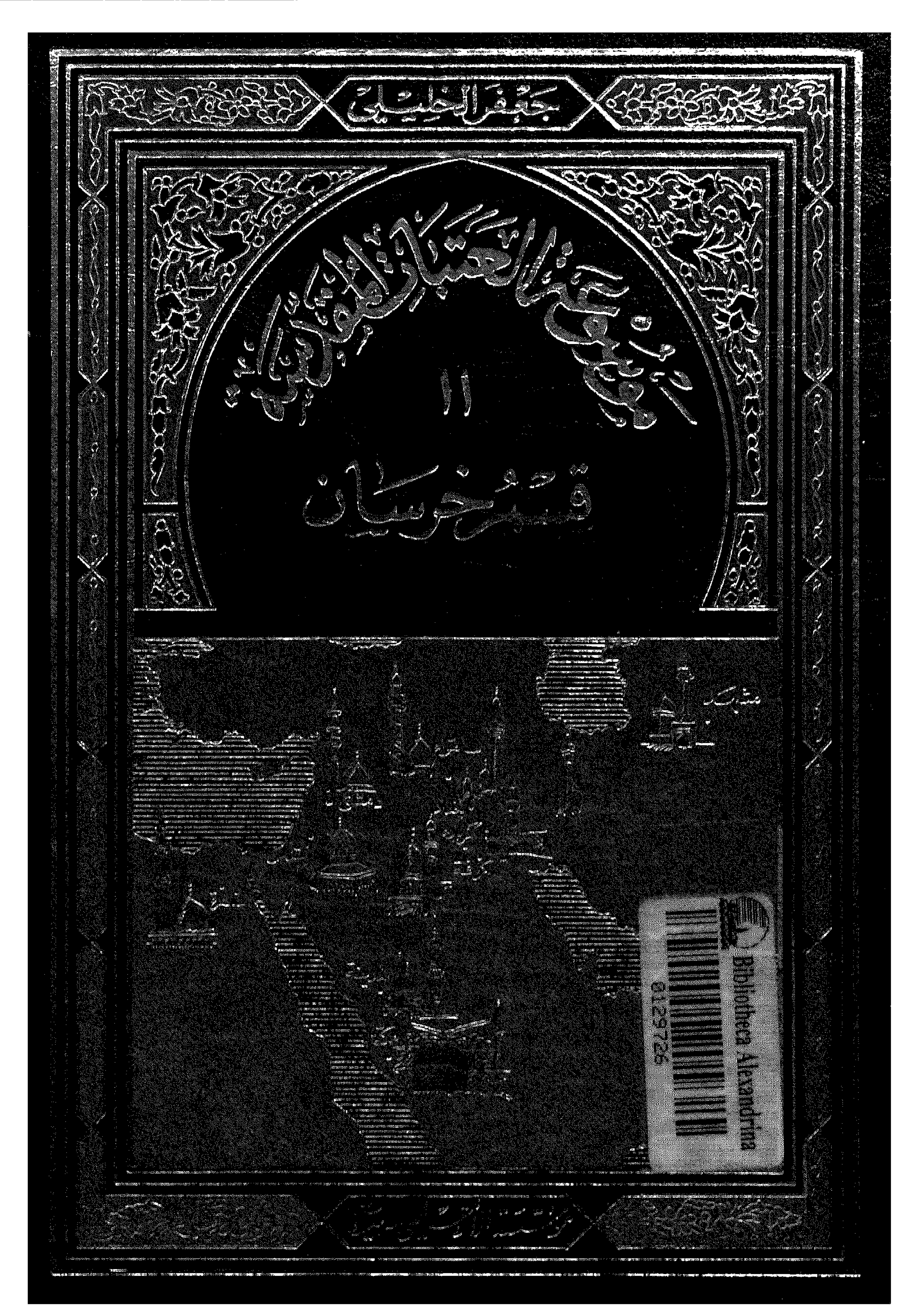


جعفر الخليلي
موسوعة العتبات المقدسة
١١
قسم خراسان
Bibliotheca Alexandrina
0129726


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





موسوعة العتبات المقدسة

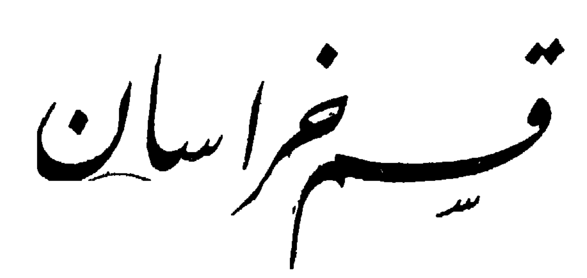
قسم خراسان - ١١



موسوعة العتبات المقدسة

١١

الجزء الثالث



تأليف

جعفر الخليلي

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب ٧١٢٠

خراسان قديماً

إلمامة شاملة من أول يوم دخول خراسان
التاريخ الى يوم مدفن الإمام الرضا (ع)

كتبـــه

جعفر الخليلي



خراسان قديما

خراسان من اهم ولايات ايران قديماً ولم تزل حتّى الآن من اهم ولايات ايران ، وكانت خراسان في القديم تشمل مساحة جد واسعة بحيث كانت تتجاوز حدود ما وراء النهر (جيحون) من بلاد الترك شمالاً ، وحتّى اواسط بلاد الافغان واكثر من ذلك نحو الشرق والى جانب من حدود الصين الغربية ، ومن الجنوب حتّى حدود كرمان والى ما يجاور بلاد السند ، وقد اطلق بعضهم اسم خراسان على بحر الخزر وسماه بالبحر الخراساني الخزري لقربه من خراسان [1] .

وقد اختلف المؤرخون في تحديدها فتوسع البعض وحدّد البعض هذا التوسع وقلّصه ، ورأى ياقوت الحموي ان هذا الشمول الواسع لاسم خراسان عند بعض المؤرخين هو شمول للحكم اكثر مما هو للاقليم والمنطقة ، كأن يصل حكم الذين يحكمون خراسان الى ابعد من منطقتها فيسمى ذلك باسمها ، اما البلاذري فيقول : ان خراسان اربعة ارباع .

فالربع الاول (ايرانشهر) — وهي نيسابور — وقهستان ، والطبسان ، وهراة ، وبوشنج ، وبادغيس ، وطوس ، واسمها (طابران) .

---

(١) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٧ مطبعة ليدن .

والرُبع الثاني —: مرو الشاهجان، وسرخس، ونسا ، وابيورد ، ومرو الروذ ، والطالقان ، وخوارزم ، وآمل ، والاخيرتان على نهر جيحون .

والربع الثالث —: وهو غربي (النهر) وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ ! الفارياب ، والجوزجان ، وطخارستان العليا ، وخست ، واندرابه ، والباميان ، وبغلان ، ووالج — وهي مدينـة (مُزاحم بن بسطام) ورستاق بيل ، وبذخشان — وهـو مدخل الناس الى تبت ، ومن اندرابه مدخل الناس الى كابل ، والترمذ — وهو في شرقي بلخ — والصغانيان ، وطخارستان السفلى ، وخلم ، وسمنجان .

والربع الرابع : ما وراء النهر ، وهو بخارى ، والشاش ، والطراربند ، والصغد ، وهوكس ، ونسف ، والروبستان ، واشروسنه ، وسنام . قلعة المقنع ، وفرغانة ، وسمرقند[1] .

وعلى هذا الرأي كان ابن رسته ، اذ عد جانباً كبيراً من بلاد ما وراء النهر كبخارى وسمرقند من جملة بلدان خراسان[2] وفي مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن صفي الدين بن الحق : ان حدود خراسان تبدأ مما يلي العراق ، و آخرها حدود ما يلي الهند[3] .

وجاء في (اللباب) ان خراسان بلاد كثيرة ، واهل العراق يقولون انها من (الريّ) الى مطلع الشمس ، وبعضهم يقول من (حلوان) الى مطلع الشمس[4] .

ويعتبر الجزء الشمالي من خراسان جزءاً من موطن الشعب الهنـدي الاوروبي في العصر الحجري وقبل ان يتفرق هذا الشعب في البلدان الاخرى ،

---

(١) معجم البلدان — مادة خراسان . (٢) الاعلاق النفيسة ص ١٠٥ مط ليدن . (٣) مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ص ٣٤٣ مط ليدن . (٤) صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٨٩ مط كوستاتسوماس — القاهرة .

والمرجح ان تاريخ ذلك الزمن يرجع الى اكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد بناء على الآثار الخطية الميدية التي عثر عليها والتي سنشير اليها فيما بعد وقد قدر الخبراء عمرها بما يقرب من اربعة آلاف سنة قبل الميلاد واكثر .

ويقول الدكتور جيمس برستد : ان تاريخ ذلك الزمن الذي كان القسم الشمالي من خراسان ضمن وطن الشعب الهندي الاوروبي ليس بعد ٢٥٠٠ ق . م ، وقد كان الشعب الهندي الاوروبي حينذاك قبائل منقسمين يتنقلون بقطعان غنمهم ومواشيهم من بقعة الى اخرى، وكان لديهم الكثير من الحيوانات الاهلية ، أخصّها الخيل التي لم تعرف بين الامم المتمدنة الشرقية الا بعد عصر حمورابي ولم يقتصروا في استعمال الخيل على الركوب فقط وانما كانوا يستخدمونها في جرّ العجلات ايضاً ، وكان عندهم بقر لحمل النير وجرّ السكة ، لان بعض تلك القبائل كان قد ألف عيشة الحضارة ، وشرع في زراعة الحبوب ولا سيما الشعير [1] .

ومن هذا الشعب ، ومن آسيا المركزية التي تشمل الجزء الشمالي من خراسان انبعث الآريّون وبدأت هجرتهم الى ايران والى الهند ، وتدل الشواهد على ان سكان ايران القدماء اي قبل الهجرة الآرية من آسيا المركزية كانوا اقزاماً سود الوجوه [2] وقد طردهم الآريّون وحلّوا محلهم على مرور الزمن .

وتدل القرائن التاريخية على ان الآريين قد جرت هجرتهم الى آسيا الغربية في موجات تدريجية وانهم لم ينتقلوا من طريق واحد وانما قد جرت هجرتهم من طرق مختلفة وفي ازمنة متفاوتة ، فان (هومل) و (ادورد ماير) يعتقدان ان اسماء بعض امراء القسم الجنوبي من فلسطين كما عثر عليها في (تل العامرنه) كانت آرية ، ويرى البعض ان ظهور الآرية في غرب آسيا فيما يقارب ١٤ — ٢٠ قرناً ق . م [3] .

---

(١) العصور القديمة — الدكتور جيمس برستد — ترجمة داود قربان ص ١٣٤ مط الجامعة الاميركية — بيروت . (٢) محمد بديع — مجلة الاخاء — العدد ٤٧ — طهران . (٣) تاريخ مشرق زمين — لمشير الدولة بالفارسية ج ١ ص ٣٨ — ٤٠ .

وتاريخ ايران القديم اي قبل قيام الهاخمنشيين يعتمد على القصص والأساطير والاخبار المغرقة في الغرابة باستثناء ما يعثر عليه من الآثار التي تعين المؤرخين على كشف بعض الغموض وتكوين الرأي الصحيح ، وقد ضاع معظم الكتب والمجاميع التي تحتوي على قصص السكان القدماء ، واخبار ملوكهم – وتراجم ابطالهم والملاحم الواردة في اساطيرهم وحكاية الاسر التي حكمت ايران قديماً ، او التي وجدت في خراسان وعلى الأخص اخبار (البيشداديان) و (الكيانيان) التي تشير الى كل اولئك او بعضهم ممن كانوا يسكنون خراسان دائماً او موقتاً ، ولم يبق من تلك القصص والاخبار الا عدد قليل من مجاميع تتضمن سلسلة من المعلومات الطريفة ذات الالوان المتنوعة من الاحوال السياسية والاجتماعية ، والعقائد والأديان ككتاب (خداي نامه) وكتاب (آيين نامه) وكتاب (رستم واسفنديار) وكتاب (شهرزاد وابرويز) وكتاب (التاج) وكتاب (دارا والصنم الذهب) وكتاب (كشتاسب وارجاسب) [١].

مصادر التاريخ الإيراني وخراسان

وان مصادر التاريخ الايراني القديم قائمة على القصص والاساطير ، وعلى الآثار التي تم اكتشافها والتي لم تزل تحت التنقيب ، وعلى التاريخ اليوناني وما كتبه هيرودوت (ابو التاريخ) الذي قام برحلات واسعة في البلدان فيما يقارب سنة ٤٨٠ ق . م وعلى غيره من مؤرخي اليونان وعلى التاريخ العربي الذي استقى الحوادث من مختلف المصادر الفهلوية واليونانية والتتبعات الشخصية التي قام بها المؤرخون العرب وغير العرب الذين سجلوا تاريخ الفرس بالعربية [٢] فكانت الكتب العربية اهم مصدر لتاريخ ايران العام الذي نستخلص منه تاريخ خراسان القديم قبل الاسلام وتاريخ خراسان بعد الاسلام حتى اوائل القرن الثامن .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٢٤ مط الرحمانية – القاهرة . (٢) آيينه سكندري ، من مخطوطات مكتبة آستان قدس بخراسان .

أهم المصادر العربية

١ — كتب ابن المقفع بوجه عام . ٢ — مضامين بعض كتب الجاحظ ولا سيما (البيان والتبيين)٣ — تاريخ اليعقوبي . ٤ — تاريخ الامم والملوك للطبري . ٥ — النساب ، وفتوح البلدان للبلاذري . ٦ — المسالك والممالك لابن خرداذبه . ٧ — الاخبار الطوال للدينوري . ٨ — تاريخ سني ملوك الارض والانبيــاء لحمزة الأصفهاني . ٩ — الفهرست لابن النديم . ١٠ — مروج الذهب للمسعودي ١١ — (صور الاقاليم) و (مسالك الممالك) للاصطخري . ١٢ — الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني . ١٣ — المسالك والممالك والمفاوز والمهالك لابن حوقل . ١٤ — الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي ريحان البيروني . ١٥ — غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي . ١٦ — البدء والتاريخ للمقديسي . ١٧ — تجارب الامم وتعاقب الهمم لابن مسكويه . ١٨ — الكامل لابن الاثير . ١٩ — معجم البلدان لياقوت الحموي . ٢٠ — مختصر الدول لابن العبري . ٢١ — (تقويم البلدان) وكتاب (المختصر في اخبار البشر) لابي الفداء . ٢٢ — (مقدمة ابن خلدون) و (تاريخ ابن خلدون) لابن خلدون . ٢٣ — تحفة النظار في غرائب الامصار لابن بطوطة[١] . هذه اهم المصادر العربية حتى اوائل القرن الثامن ، وغير هذه المصادر عشرات من الكتب العربية التي يستخلص منها المؤرخ تاريخ خراسان مضافاً الى ما بقي من الكتب الفارسية والآثار المكتشفة .

وقد ذكر المسعودي المؤرخ الرحالة انه : شاهد بنفسه كتاباً في السوانح والاحداث التي جرت في عهد سبعة وعشرين من الملوك الساسانيين خمسة وعشرين منهم كانوا من الرجال ، واثنتين كانتا من النساء ، ثم يقول انــه : وجد صورة كل واحد من اولئك الملوك قد صورت في ذلك الكتاب باسلوب دقيق ، والوان انيقة للغاية ، اذ كانت تلك الصور تعرض كل ملك بشكله

(١) تاريخ مشرق زمين بالفارسية — لمشير الدولة ص ١٠٠ — ١٠٧ .

وهندامه ، وملامح وجهه ، ومخطّ لحيته ، والالوان الخاصة بملابسه ، الامر الذي دعا هشام بن عبد الملك سنة ١١٣ هـ ، بأن يستقدم الفنيين المَهَرة من ايران الى الشام ، وكذلك المترجمين ليقوموا من ناحية بترجمة ذلك الكتاب العظيم ، ويبادروا الى ترسيم وتصوير هياكل الملوك الواردة صورهم وسوانحهم في الكتاب المذكور من ناحية ثانية .

وقد تتبع المستشرق (وليم جكسون) هذا الاثر التاريخي وقال في وصفه إنه : النسخة الاصلية للكتاب المعروف باسم كتاب (التاج) ، ووافقه على هذا الرأي المستشرق الدانماركي (كريستنس)[١] .

وكثير مثل هذه الكتب التي كانت تتناول تاريخ ايران القديم والتي يمكن استخلاص بعض الحوادث والاخبار التي تخص خراسان منها قد ضاع ولم يبق منها بايدينا الا اسماؤها او بعض فصولها منها ٣٢ كتاباً غير (الافستا) مما كان مكتوباً بالفهلوية ، على ما ذكر (پورداود) ومن هذه الكتب الباقية كتاب (درخت آسوريك) أي شجرة الأشوريين في العراق ، وكتاب (خسرو گواتان ريذگي) اي كتاب خسرو بن كيقباد الملك وخادمه ريذك ، وكتاب (ريذك) وكتاب (خوتاي نامك) اي كتاب الله ، وكتاب (دين گرت) اي الأعمال الدينية[٢] وغيرها من الكتب التي هي كل ما بقي مما كتب بالبهلوية ، وقد اورد ابن النديم في (الفهرست) أسماء طايفة كبيرة ممن تولوا ترجمة بعض ما بقي من تلك الكتب والاخبار والملاحم القديمة والموغلة في ابعد مدى من التاريخ الى العربية وفي طليعتهم ابن المقفع الذي اهتمّ بالجانب الاداري والاجتماعي والفلسفي من تلك الكتب ، ومع ذلك فلم يتم تصنيف الملاحم القديمة وجمع القصص التاريخية ، والاساطير في كتاب واحد الا في القرن الرابع الهجري الذي اصبح بعد ذلك اساساً يعول عليه

---

(١) الأدب الفارسي في العصور القديمة – صادق نشأة (مجلة الاخاء) العدد ٦٦ – طهران .
(٢) دانشوران خراسان – بالفارسية ص ١١٧ .

ـ بالرغم مما تكتنفه من اساطير ـ في استخلاص ما يمكن استخلاصه من تاريخ ايران وتاريخ خراسان القديم الذي ـ نيد هنا عرضه بايجاز .

كتاب الشاهنامه

ففي المنتصف الاول مى القرن الرابع الهجري وجّه اهل خراسان وامراؤها اهتمامهم الى جمع اخبار ملوك ايران وسيرهم فاجتمعت لهم اسفار عرفت فيما بعد باسم (الشاهنامه) او كتاب الملوك ، وكان اكثر هذه الكتب ذيوعاً وشهرة (شاهنامة ابي منصور) والي طوس ، ويبدو ان ثانيتهما كانت اجمع واوفى من اولاهما ، فأقبل الناس على هذه المجموعة ايما اقبال ، وصارت مادة للسمر والشعر على السواء [1] .

ثم ظهر الشاعر الخراساني الكبير والحكيم المعروف ابو القاسم الحسن بن محمد الطوسي ، وكانت له يد في جميع فنون الشعر واللغة والادب ، وراح يبحث في بطون الكتب والمخطوطات والاخبار مما كان يعثر عليه ليؤلف منه (شاهنامة) جديدة يسجل فيها اخبار الملوك وما كان قد روي عنهم والحوادث التي وقعت في عصورهم من حرب وسلم وقصص . فألّف (الشاهنامه) التي عرفت (بشاهنامة الفردوسي) التي قيل في وصفها انها المرجع المهم في التاريخ والأدب الفارسي لجميع الادباء والمؤرخين ، وقد عرفوها بكنز اللغة الفارسية وقاموسها ، وقد قيل ان الفردوسي كان من دهاقين طوس ووجهائها ، وقد نظم (الشاهنامه) بالشعر مبتدئاً من اول زمن (كيومرث) اول ملوك (البيشداديين) الى زمن (يزدجرد) بن شهريار الساساني في ستين الف بيت من الشعر وفي مدة ثلاثين سنة كان آخرها سنة ٣٨٤ ﻫ ، وتوفي بطوس سنة ٤١١ ﻫ [2] .

---

(١) الدكتور عبد المجيد بدوي (مجلة الاخاء) العدد ٧٠ ــ طهران . (٢) الكنى والألقاب ج ٣ ص ١٦ مط العرفان ــ صيدا .

وصارت (الشاهنامة) بالاضافة الى ما سجلّه التاريخ اليوناني القديم والتواريخ العربية المؤلفة في العصور الاسلامية عن تاريخ ايران وما عثر عليه من المصادر الفارسية والمكتوبة باللغة القديمة المرجع الأكبر لاستقصاء تاريخ ايران وتاريخ خراسان بصورة خاصة، وبهذا تكون خراسان الى جانب كونها المنطلق الاول للاريّين المرجع الاول للتاريخ الايراني العـام، لان مؤلف الشاهنامه كان خراسانياً.



الفردوسي من تصميم الاستاذ جوادي پور

والمتتبع لشاهنامة الفردوسي يرى ان الفردوسي يُرجع أهمية اخبـاره وتاريخه الى كتاب يعود تاريخه الى ما قبل ألفي سنة من عصره اي ما يقرب من احد عشر قرناً قبل الميلاد، وفي هذا الكتاب الذي يشير اليه الفردوسي الكثير من الاخبار والقصص التاريخية والحوادث التي اعتمدها الفردوسي في سرد تاريخ ايران القديم وتاريخ ملوك خراسان.

ويرى الاستاذ ذبيح بهروز [١] ان هناك كثيراً من الشواهد التي تدل على ان صلة اللغة الفارسية القديمة والكتابة بها لم تكن قد انقطعت بعد في القرون الاسلامية الاولى كما قد يظن البعض، بل ان اللغة الفارسية القديمة والكتابة بها كانت لم تزل مفهومة حتى في القرن الثالث الهجري وبعده، فليس بالغريب ان يكون الفردوسي ممن يعرف تلك اللغة القديمة، ولذلك تمكن ان يقرأ ذلك الكتاب الذي يعتبر احد الشواهد على تقدم الحضارة في تلك الازمان البعيدة بحيث استثار اعجاب الفردوسي اذ يقول :

---

(١) مجلة بررسيهاي تاريخي (بالفارسية) العدد ٣، ٤ السنة الثانية – طهران ص ٦٩ .

يكي نامه ديدم پراز داستان سخنهاي ان پرمنش راستان
گذشته برآن ساليان دوهزار گرايدون كه برترنيايد شمار [١]

اي انني رأيت كتاباً مليئاً بالقصص والاخبار الثمينة الذي يعود تاريخه الى الفي سنة من قبل .

ففي اوائل القرن العشرين عثر في غربي الصين اي في شرقي خراسان على آثار كثيرة تحت تلول التراب وقد وجدت بينها خطوط وكتابات دلّت على ان هذه اللغة والخطوط كانت مفهومة او قريبة للفهم في عصر الفردوسي من القرن الرابع الهجري ، وهنالك من الآثار التي تم العثور عليها في (صغد) وفي (خوارزم) وهما من اهم مدن خراسان الشمالية يستطيع الباحث بالاضافة الى الآثار التي تم اكتشافها غربي الصين ان يعين مدى قدم تاريخ خراسان ، وتاريخ حضارتها بكل سهولة .

ايران وخراسان

وقد عثرت مؤسسة (كارنه جي) الاميركية في الحفريات التي أجرتها (بمرو) و (عشق آباد) على آثار وجدت بينها وبين الآثار السومرية في جنوب العراق شبهاً عظيماً الأمر الذي جعل اكثر العلماء يحدسون بأن هناك صلة مدنية وحضارة بين سومر وما وراء بحر الخزر [٢] وهو جانب خراسان الشمالي .

ونشرت مجلة (الجمعية الآسيوية الملكية) الانكليزية في عددها الصادر سنة ١٩٤٥ (تقاويم) للسنة الشمسية القمرية يرجع تاريخها الى ٨ ــ ١١ قرن قبل الميلاد ، وهي بعض ما عثر عليه بين الآثار التي اكتشفت في غربي الصين من الآثار الايرانية المشار اليها [٣] وهي تعني حضارة خراسان لاتصالها بهـــا

---

(١) المصدر المتقدم . (٢) محمد بديع – نبذة عن الحفريات الاثرية (مجلة الاخاء) العدد ٩٧ – طهران . (٣) بررسيهاي تاريخي – ذبيح بهروز – طهران .

ووجودها في حدودها الشرقية ان لم تكن ضمن حدود خراسان القديمة .

صحيح انه لم يستطع التاريخ ان يعين بالضبط الوطن الاصلي الاول للشعب الهندي الاوروبي لانعدام المصادر الثابتة والمؤكدة غير ان هناك بعض الادلة والشواهد الدالة على ان وطنهم الاول كان السهول الفسيحة الارجاء الواقعة الى الشرق والشمال الشرقي من بحر قزوين [1] وهي التي تشمل الجانب الشمالي من خراسان .

ولما كانوا لا يزالون شعباً واحداً كانوا يتكلمون بلغة واحدة ثم تفرعت من لغتهم جميع اللغات التي تتكلم بها الامم المتمدنة في اوروبا الحديثة ، وعلى هذا فان خراسان او خراسان الشمالية كانت موطن الآريين القديم الأول ، ومنها مما جاورها من الاصقاع في الشمال انطلق الآريّون الى ايران والى غيرها من مواطن الآريين في العالم .

اما اصل كلمة (ايران) فانها على الظاهر مأخوذة او محرفة ، من كلمة (ايريان) وكانت تطلق على تلك القبائل من الشعب الهندي الأوروبي الذي كان يسكن كما قلنا في بطاح آسيا الشمالية ، وقد نزحت منه القبائل بمواشيها واغنامها طلباً للرعي والكلأ الى الجهات الجنوبية الغربية فبلغت تلك الاراضي وطاب لها العيش فيها والقت هناك عصاها لملائمة الطبيعة لها [2] .

ومن أقوال زرادشت تأيد هذا الرأي ، وهو اول من سمى سكان هذه الهضبة – هضبة ايران – بالايرانيين ، وهي تعني (النجباء) وذلك قبل المسيح بعدة قرون [3] واطلق ابن رستة اسم ايران شهر على كل ايران [4] .

وجاء في (الافستا) كتاب زردشت المقدس عند الزردشتيين المكتوب

---

(١) العصور القديمة – هنري جيمس برستاد ، ص ١٣٤ . (٢) صفحات عن إيران – صادق نشأة ومصطفى حجازي ص ٥ مط مخيمرة – القاهرة . (٣) المصدر المتقدم . (٤) الأعلاق النفيسة ص ١٠٥ مط ليدن .

باللغة الفهلوية القديمة الذي يرجع تاريخه الى ١٠٨٠ ق . م ، على بعض الروايات ما يستدل على قدم خراسان وخصبها ، ونضرتها ، وجودة حاصلاتها ، اذ يقول في الفقرة ٤ — ، ١٣ — ١٤ ، ١٧ — ١٨ ، ٢١ ، ٢٥ — ٢٦ على لسان الاله : (آهورمزدا) :

« خلقتُ المكان الاول (ايرانفيج) ، والمكان الثاني النضر من الارض لاجل سكن فاضل هو ارض (الصغد) والمكان الثالث النضر من بقاع الارض من اجل سكن فاضل هو (مورو) اي (مرو) البلد الحصين المقدس ، وخلقتُ المكان الرابع النضر للسكن الفاضل (بخذي) او (بلخ) المتلألئة ذات الرايات العالية ، وخلقتُ المكان الخامس النضر من بقاع الأرض من اجل سكن فاضل هو (نيسا) المدينة الواقعة بين (مرو) و (بخذي) ... الخ »[1] .

وهذا وغيره يؤيد أن خراسان ، وخراسان الشمالية بالذات هي وليس غيرها كانت موطناً لايران القديمة ومن مواطن الآريين الذين تألفت فيما بعد منهم الشعوب والامم والدول الآرية في آسيا وفي اوروبا ، وانها كانت من اخصب البلدان ، وكان سكانها من افاضل السكان .

وفي الاساطير ما يدل على قدم اسم خراسان فيما روي على لسان دُغفل النسّابة وهو ان (خراسان) كان ابن (عالم) بن (سام) بن (نوح) وقد خرج هو واخوه (هيطل) لما تبلبلت الالسن ببابل فنزل كل واحد منهما في البلد المنسوب اليه يريد ان (هيطل) نزل في البلد المعروف بالهياطلة وهو ما وراء جيحون ، ونزل اخوه (خراسان) في هذه البلاد التي تسمى بخراسان فسمّيت باسمه ! ![2] .

---

(١) كتاب واانديدا — الفصل الأول ترجمة الدكتور محمد جواد مشكور والدكتور نادر نظام . (٢) معجم البلدان — مادة خراسان .

وهنالك من يرى ان اسم خراسان قد اطلق على هذا الاقليم في عهـد الهاخمنشيين اما قبل ذلك التاريخ فقد كان يطلق غليها اسم (پارت) وقد ورد ذكرها بهذا الاسم في جميع التواريخ[١] .

ودلّت الآثار التاريخية على ان تاريخ خراسان بل وتاريخ حضارتها يمتد الى أبعد من ذلك بكثير وان موطن الشعب الهندي الاوروبي الأول وان لم يتعين تاريخه تعيينا كاملاً كما ذكرنا ولكنه كان معروفاً قبل اكثر من اربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، لأن هنالك من الشواهد ما يستدل منها على وجود (الميديين) في وسط ايران الحالية ووجود حضارة ملحوظة لهم قبل اكثر من ٤٠٠٠ سنة ق . م فكيف لا تكون خراسان الشمالية اقدم من ذلك بكثير وهي موطن الشعب الهندي الاوروبي الذي انبعث منه (الميديون) وحلّوا في اواسط ايران الحالية مثلما انبعث الفرس وحلوا في فارس من جنوب ايران وكلاهما آريان من أصل واحد .

لقد كان بين الآثار التي عثر عليها في هضبة (سيلك) التي كانت موطن الميديين سبعة شواهد من الخطوط المحفورة والمنقوشة التي يُرجِـعُ العالم المستشرق م . دياكوف تاريخها الى اواخر الالف الرابع قبل الميلاد ، امـا هرتسفلد فيرى ان تاريخ هذه الألواح يَرجع الى ابعد من ذلك ويرى انه في نحو الالف الخامس قبل الميلاد ، ولعل قدم الخط الهيروغريفي الايراني يؤيد مثل هذا القول[٢] .

اسم خراسان

وفي اسم خراسان وسبب تسمية البلاد بهذا الاسم اختلاف كاختلافه في

---

(١) كورش بزرك – بالفارسية – تأليف عباس الخليلي ص ٣٣٢ مط مطبوعات علمي .

(٢) مجلة (بررسيهاي تاريخي) بالفارسية لركن الدين همايون فرخ العدد ٣ ، ٤ السنة الثانية ص ٢٢٤ طهران .

سبب تسمية الكثير من البلدان التاريخية ، وقد قيل : ان خراسان مؤلفة من كلمتين احداهما (خُر) وهي اسم الشمس بالفارسية الدرّية و (آسان) وتعني الموقع والبلاد ، اي انها بلاد الشمس[1] او مطلع الشمس .

وقد يكون لهذه التسمية بعض الوجه لوقوع خراسان شرقي البلاد الايرانية وكون الشمس تشرق على خراسان قبل شروقها على الجهات الايرانية الاخرى ، وقيل بل ان كلمة (خور) تعني الاكل . و (آسان) تعني الشيء الهيّن السهل في اللغة الفارسية ومعنى ذلك : (كُل سهلاً) على ما ذكر ياقوت الحموي ، وربما انبعثت هذه التسمية من طبيعة خراسان لكثرة فواكهها وحاصلاتها الزراعية ووفرة خيراتها ، وقيل غير ذلك .

ويقال في الانتساب اليها : (خراساني) ، قال سيبويه عن هذا الانتساب : وهو أجود (اي قولك خراساني) وقيل : وخُراسيّ ، وخُرْسَيّ ، ويقال : هم خُرسان كما يقال : هم سودان ، وبيضان ومنه قول بشار :

« في البيت من خُرسانَ لا تعاب » .

يعني (بناته) ويجمع على (الخُرَسين) بتخفيف ياء النسبة كقولك (الأشعرين) وأنشد :

« لا تَكريَنَّ بعدَها خُرَسيّا »[2] .

طبيعة خراسان الجغرافية

وطبيعة خراسان تشبه طبيعة قارة كآسيا تجمع بين السهل والجبل ، والخصب والجدب ، ووفرة المياه والأنهار ، وسعة الصحراء والجفاف ، فيشتد البرد في جهات منها حتى يجمد ماء النهر من سيحون ، كما يشتد الحر في جهات اخرى حتى تجف الارض ، ويسود الاعتدال في كثير من جهاتها في جميع

---

(١) معجم البلدان مادة خراسان . (٢) لسان العرب — مادة خرس .

فصول السنة ، واغلب ارتفاع اراضيها كائن في الشمال ، وقد يشاهد الثلج في الصيف فوق جبال خراسان التي لا يزيد ارتفاعها على بضعة آلاف قدم ، ويقول (السر برسي سايكس) : انه شاهد الثلج في بعض جبال خراسان في الصيف على علوّ لا يزيد على تسعة آلاف قدم [١] .

وكلما انحدرنا الى الجنوب انحسرت هذه الجبال واتسعت رقعة السهول حتى تسفر عن صحراء واسعة الارجاء لا تلبث ان تتصل بالصحراء الملحية المعروفة (بكوير لوت) من كرمان ، وتحد هذه الصحراء اقليم كرمان والسند جنوباً واقليم الري وقم وكاشان غرباً حتى تحاذي اقاليم خراسان الخصبة شمالاً وتسمى بصحراء (كركس) [٢] ، وبسبب الامطار والثلوج التي تجرف على مرور الزمن طبقات من الجبال وتنحدر بها الى المنخفضات حصلت خراسان الحالية على مسافات واسعة من الاراضي الصالحة للزراعة الى جانب سهولها واوديتها واراضيها التي تسقيها انهارها المستمدة مياهها من العيون والثلوج في اعالي جبالها كنهر (تجن) ونهر (كشف رود) ونهر (اترك) ونهر (مرغاب) الذي كثيراً ما يرد ذكره في التاريخ ، ونهر گرگان ونهر (قراسو) [٣] ونهر سيحون في تاريخ خراسان القديم ، فكثرت بسبب هذه الانهار والعيون والطمي الذي تأتي به الامطار حاصلاتها الزراعية ، والحيوانية لكثرة مراعيها ، ولخصب هذه المراعي في مناطقها الشمالية خاصة الى جانب بعض المعادن ووفرة الثروة التي مكنتها من ان تصنع ، وتعمل ، وتحصل على انفس الذخائر من المصنوعات والمصوغات ، واكتناز الذهب والفضة ، وصوغ الحلي والاسلحة ، وقد ساعدت هذه المحصولات ، وهذه الخيرات بالاضافة الى البيئة الطبيعية الصالحة للسكن ، واستعداد السكان الفطري على قيام حضارة ذات الوان اختص مجموعها

---

(١) تاريخ ايران – ترجمة السيد محمد تقي فخرداعي ج ١ ص ٢١ مط رنكين – طهران .
(٢) حدود العالم من المشرق الى المغرب مؤلف سنة ٣٧٢ هـ حققه الدكتور منوجهر ستوده بالفارسية مط دانشكاه طهران . (٣) لغت نامه دهخدا – مادة خراسان مط دانشكاه طهران بالفارسية .

اكثر ما اختص – بالخراسانيين انفسهم – وخراسان نفسها ، وقد تناولت هذه الحضارة صنوفاً من الثقافة العامة من الفنون ، والصناعة والدين ، والاداب ، والبطولة في ميدان الحرب وميادين اخرى متنوعة .

ويصف المؤرخون العرب (خراسان) منذ اوائل تاريخها وحتى اليوم باوصاف تشمل ارضها ، وهواءها ، ومنتوجها الزراعي والحيواني ، والصناعي ، ويشيرون الى سكانها وقابلياتهم بالشيء الكثير من الاطراء والثناء والاعجاب مما ستمر الاشارة اليه ، .

لذلك كانت خراسان لوحة من ابهر اللوحات الفنيـة في تاريخ الحضارة الايرانية القديمة ، وفي مختلف العصور ولا سيما العصور الاسلامية لما تتمتع به من المواهب وما تدر عليها من الخيرات من مختلف المنابع .

وان التزام كثير من ملوك ايران القدماء بالاقامة في خراسان واتخاذ بعض مدنها عواصم لمملكتهم ، وتأسيسهم بعض المدن ، وبناء القلاع ، والمباشرة بتعمير الارض ، والاخذ بيد الفلاحين والمزارعين ، وايجاد نظم اجتماعيـة متعددة الجوانب قد جعلت من خراسان منطقة متمتعة بالكثير من المزايا الطبيعية يعود الفضل فيهـا الى طبيعة البلاد الجغرافية والى العوامل التي خلقت مـن الخراسانيين اناساً ممتازين كان لهم في تاريخ ايران الحضاري نصيب جد كبير ، وعلى الرغم من عدم وجود احصاء صحيح للنفوس في العصور القديمة فبالامكان القول بان مدن خراسان كانت مكتضة بالسكان لتوفر اسباب الرفاه والنعمة وقد جاء ان عدد الذكور في اغلب الاوقات كان اكثر من عدد النساء في خراسان ، وورد ان النساء الخراسانيات يلدن ذكوراً اكثر مما يلدن اناثاً [1] .

---

(١) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٧٥ مط ليدن .

أهمية خراسان في تاريخ الحضارة

ولخراسان اهمية كبيرة في تاريخ الحضارة الايرانية فقد نبغ عدد غير قليل من الملوك والقواد والامراء فيها قبل الميلاد بقرون بعيدة ، فازدهرت على ايديهم كل الوان الحضارة ، وكان لـ (طهمورث) وهو من اشهر ملوك ايران (الشيد اديان) القدماء يد في بناء عدد من المدن الخراسانية وتعميرها ، وقد اتخذ (نيسابور) على ما قيل موطناً له وعاصمة لملكه [1]. وقد وجه اهتمامه كما تقول القصص القديمة الى احياء الاراضي وزيادة الحاصلات الزراعية ؛ وساعد على العناية بالحاصلات الحيوانية ، وحمل الرعايا على الاهتمام باقتناء الكلاب لمساعدة الرعاة في رعي اغنامهم ، وحراسة بيوتهم ، وشدد العناية بتربية الخيول واكثر من العمارات والابنية في عدد من الاقاليم .

وقد وجدت لطهمورث صور منقوشة على الصخور بين الاثار الايرانية القديمة وهي تصوره ممتطياً الشيطان [2] ومعنى ذلك في مفهوم عقيدة ذلك العصر أن عنصر الخير الذي يمثله طهمورث الملك قد ركب الشر الذي يمثله الشيطان وتغلب عليه .

وقد اورد الثعالبي ابياتاً لشاعر عربي مدح احد الملوك حين رآه يركب فيلا مشبهاً اياه بطهمورث الذي ركب ابليس واخضعه قائلاً :

يا ليت مَلْكي أصبحتْ له المعالي خيسا
وراكباً من فيله مُستَشرِفاً نفيسا
كأنه طَهمُورَثٌ لما امتطى إبليسا

وطهمورث هو الذي ادخل رعي الاغنام والمواشي في حياة سكان الصحارى والبوادي وهو الذي حمل سكان القرى على زراعة الاراضي ، وكان من آثاره

---

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١٣٨ مط البهية المصرية . (٢) غرر اخبار ملوك الفرس للامام ابي منصور الثعالبي ترجمة محمود هدايت بالفارسية ص ٤ مط المجلس – طهران .

العمرانية بناء مدينة آمُل ، وطبرستان ، وبابُل ، وكرد آباد ، ونيشابور ، وسمنان ، وقد قلت نسبة الموت في زمانه فلم يكد يذكر الموت احد [١] .

وكان دأب طهمورث التنقل وقد ساعد حبه للصيد على ان يطرق جهات مختلفة من البلاد ولذلك كان كانت اصلاحاته عامة وشاملة [٢] .

ويقول صاحب (لبّ التاريخ) ان طهمورث هو الذي ادخل استعمال الحرير والافادة من الصوف على اوسع نطاقه ، وأمر بتدوين ما عرف من العلوم والافكار في ذلك العصر على الصخور [٣] ولاول مرة عرف الصوم في في عهده فقد اصاب البلاد قحط دام نحو عشر سنوات كانت سنين عجافاً للمحل الذي داهم البلاد ، ففرض حينذاك الصوم واتخذ له نظام خاص ومدة معينة ، وقد فرض الصوم والعمل معا حتى استطاعت البلاد ان تتغلب على تلك الشدة واجتازت الازمة بسلام وما لبث ان صار هذا الصوم وسيلة للتقرب الى الله ، فخصص طهمورث نفقات صوم اليوم الواحد للفقراء والمعوزين [٤] ويقول المستوفي القزويني ان من أهم ما عرفت به اصلاحات طهمورث هي الحرية الدينية فقد ترك لكل شخص حريته الكاملة في اداء طقوسه الدينية ومراسيم عبادته والتعبير عن افكاره ، وكانت مدة حكم طهمورث ٣٠ سنة على ما يروي المؤرخون .

وينسب المسعودي بناء (القهندز) في مرو لطهمورث وقيل ان طهمورث كان اول من استعمل الخط (البهلوي) في الكتابة [٦] كما سيأتي ذكر ذلك ، واذا صحّ هذا فأن مزية أخرى ستضاف الى مزايا خراسان في

---

(١) سياق التواريخ – من مخطوطات مكتبة آستان قدس ص ٣ . (٢) زينة المجالس ، من مخطوطات مكتبة آستان قدس بخراسان ص ؟ . (٣) لب التاريخ – من مخطوطات مكتبة خراسان . (٤) تاريخ كزيده تأليف المستوفي القزويني بالفارسية ج ١ ص ٨٥ مط لندن . (٥) والقهندز – هي القلعة التي يقيم فيها قادة الجيش والمدافعون عن المدينة وهي تبنى في هندسة خاصة ، وان اشهر مدن خراسان التي عرف فيها القهندز هي طوس ، ومرو ، وبلخ ، وبخارى ، وسمرقند ، وسيستان (عن دانشوران خراسان ص ٥٣) . (٦) الطبري .

تاريخها الحضاري بكونها صاحبة الفضل الاكبر في انتشار الخط الفهلوي القديم وتعميمه على ايران جميعاً مما ساعد على نشر الحضارة الايرانية .

ولعل للملك (منوچهر) وهو يقيم في خراسان لمحاربة افراسياب ومحاربة الترك في شمال خراسان بعض الاثر في نشر الحضارة وازدهارها بخراسان ، فقد عرف (منوچهر) في تاريخ ايران القديم بالعدل والاحسان زيادة على ما نسب له من الابتكارات والانظمة للنهوض بالبلاد ورفع مستواها فهو — على ما تروي هذه الكتب — اول من خندق الخنادق ، وجمع آلة الحرب واول من وضع (الدهقنة) فجعل لكل قرية دهقاناً ، وحدّ الحدود في خراسان من ناحية الشمال بالمعاهدات والمصالحة مع افراسياب ، وهو الذي بنى مدينة (بلخ)[1] .

وبالنظر لاهمية خراسان الكبرى ومجاورتها للترك الذين طالما غزوا حدودها الشمالية وتوغلوا منها الى داخل خراسان وايران فقد اقام غير واحد من ملوك ايران القدماء في خراسان وفي المدن الشمالية خاصة للدفاع عنها فكانت هذه الاقامة — كما قلنا — عاملاً ذا أهمية كبيرة في انتعاش الحركة الاجتماعية وازدهار الحضارة ، ونبوغ الابطال في ميادين الحروب ، وجاء في بعض التواريخ ان (منوچهر) اول من عني بالحدائق وحث على جمع الورود من مختلف الجبال والاودية وعني بتربية الازهار عناية خاصة واوجد لاول مرة حديقة نموذجية حوت انواعاً من الورود والازهار التي جمعها من مختلف الجهات [2] فعمّ بعد ذلك حب الورد وغرسه والعناية بحدائقه جميع البلاد ، والمعروف ان منوچهر هو اول من امر بضرب النقارة وتأليف جوقة موسيقية تعزف صباحاً ومساء في ساحة معينة من البلد [3] .

وكان الملك (زو) من الملوك الذين تولوا سوق الجيوش في خراسان وقد

---

(١) آثار البلاد واخبار العباد ص ٣٣١ مط صادر ودار بيروت . (٢) تاريخ كزيده—بالفارسية تأليف المستوفي القزويني سنة ٧٣٠ هـ ج ١ ص ٩٠ مط لندن . (٣) سياق التواريخ من مخطوطات مكتبة آستان قدس بخراسان ص ٨ .

طارد افراسياب حتى تغلب عليه واخرجه من بلاده ، وكان ذلك في : (روزآبان) من شهر (آبان ماه) على ما قيل فاتخذت ايران هذا اليوم عيداً لتخلصهم من الشرور والعسف الذي اتصف به افراسياب . فجعلوه العيد الثالث لعيديهم : (النوروز) و (المهرجان) [1] .

وكان الملك (زو) على ما جاء في هذه الاخبار والقصص : محموداً في ملكه ؛ محسناً الى رعيته . وقد أمر باصلاح ما افسده (افراسياب) وبناء ما كان قد هدّمه من حصون وقلاع وكري ما اندفن من مجاري حتى أعاد كل ذلك الى أحسن ما كان عليه ، ووضع عن الناس الخراج سبع سنين ، فعمرت بلاد فارس في ملكه ، وكثرت المياه فيها ، ودرّت معايش اهلها .

والمعروف عن (زو) انه كان اول من اتخذ الوان الطبيخ وأمر بها ، وباصناف الاطعمة ، واعطى جنوده مما غنم من الخيل والركاب من اموال الترك [2] ولا شك ان نصيب خراسان — وهي التي قامت جيوشها بالقسط الاكبر من الحرب لوقوع المعارك فيها — كان نصيباً كبيراً من تلك الغنائم ، ومن الاصلاح والتجديد والرعاية لا سيما وفي بيئتها كل الاستعداد والقابلية — وهو نصيب لم يقل عن نصيب بابل وارض السواد من الاصلاح الذي نسبه التاريخ (لزو) في تلك الاقاليم .

ثم ان ملازمة (كيقباد) لخراسان وهو من اقدم سلالة الملوك (الكيانيين) واقامته بالقرب من نهر (بلخ) في شمال خراسان لمنع الترك من غزو خراسان — وقد عمّر كيقباد مائة سنة اوان مدة ملكه كانت ماية سنة على ما يروي الطبري — هي الاخرى كانت من العوامل الكبيرة في بعث روح الشجاعة والاقدام في نفوس الخراسانيين بالاضافة الى المزايا الاخرى من الوان الحضارة ، فقد قيل عن (كيقباد) انه قال يوم عقد التاج على رأسه : انه سيجتهد في اصلاح البلاد .

---

(١) تاريخ الامم و الملوك — الطبري — ج ١ ص ٣٢٠ مط الاستقامة — القاهرة . (٢) المصدر المتقدم .

وانه سيحدب عليها ، والمعروف عنه انه هو الذي قدّر مياه الأنهار والعيون لسقي الارض ، وسمى البلاد باسمائها ، وحدّها بحدودها ، وكوّر الكور ، وأمر الناس باستغلال الارض باقصى حدود الاستغلال .

يقول الطبري : وكان كيقباد فيما ذُكر يشبه في حرصه على العمـــارة ومنعه البلاد من العدو ، وتكبره في نفسه : بفرعون .

وجاء في كتاب (السكيكين) الذي ترجمه ابن المقفع الى العربية : ان عدداً من الملوك (الكيانيين) مثل كيكاووس ، وكيخسرو ، ولهراسب كانوا يسكنون (بلخ) وكانت بلخ دار مملكتهم — والمقصود بنهر بلخ هو نهر جيحون — وفي بعض اخبار الفرس على ما يروي المسعودي والطبري ان لهراسب هو الذي بنى (بلخ) الحسناء وسميت بالحسناء لما فيها من المياه والشجر والمروج ، وقد عمّر لهراسب البلاد ، واحسن السيرة لرعيته وشملهم بعدله [١] .

وقد اكتسبت خراسان مما جاورها في التاريخ القديم حضارات امم مختلفة تسربت اليها عن طريق الحروب والتجارة ، والتنقل ، وقد افادت الشيء الكثير في العصور الاولى من (الميديين) والميديون هم الايرانيون الذين حلوا في ايران القديمة وطردوا سكان هذه الاقاليم المجهولي الاصل على مرور الزمن واقاموا في مواطنهم من اواسط ايران الشمالية واتخذوا (اكباتان) اي (همدان) عاصمة لهم فاسسوا حضارة كبيرة تناولت عدة جوانب من الحياة العامة ، وعلى ما تم من البحوث والاكتشافات حتى الآن وجد ان الميديين كانوا يعرفون صهر الحديد ، والنحاس ، والذهب ، والفضة . كما يعرفون كيفية تدريب الخيول وتربيتها ، وانهم كانوا يصدرون الكثير من المصنوعات الحديدية والنحاسية ، والمصوغات الى خارج بلادهم ، وقد دلّ البحث على انهم قد عرفوا النفط ، وانهم استخدموه في الشعال كما عرفوا القار واستخدموه في البناء ، وقد جاء في

---

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١٤١ مط البهية بمصر ، وتاريخ الامم والملوك الطبري ، ج ١ ص ٣٨٢ مط الاستقامة بمصر .

تاريخ (هيرودوت) ج ١ ص ١١٩ ان الايرانيين القدماء كانوا يسمون النفط (رادنياكا) ، وان سكان اوروبا القدماء كانوا يسمون النفط بأسم المديين ويطلقون عليه اسم (زيت الميديين) [1]

واضافة الى ما اخذت خراسان من حضارة الميديين في ادوار التاريخ القديمة وفي ادوار (الهاخمنشية) فيما بعد التي كانت خراسان الجزء المهم من مملكتهم كما كانت الجزء المهم من مملكة الاسرة الكيانية والبيشدادية ومملكة فارس الكبرى فقد اكتسبت خراسان من الحضارة الصينية ، واليونانية قسطاً وافراً .

وحتى الذين فتحوا خراسان من الاجانب كالاسكندر المكدوني في القرن الرابع قبل الميلاد لم يستطيعوا ان يتجاهلوا قيمة خراسان واهميتها ، واهمية سكانها ، وقد عني بها الاسكندر عناية خاصة ، واليه ينسب بناء مدينة سمرقند وهراة وهو الذي اقام سوراً حول مدينة (مرو الشاهجان) يقدر طوله بفرسخ واحد في عرض فرسخ واحد كذلك هو الذي اخرج مدينة (نسا) من خراسان على شكل حية ملتوية على ما روى الثعالبي [2] .

وفي عصور ملوك الطوائف بعد عهد اليونانيين تقدم العلم في خراسان وبوشر بتأليف الكتب وقد بلغ اهل العلم منزلة جد عالية في اوساط الناس : وفي هذا العصر تم تأليف كتاب السندباد وعدد آخر من الكتب المفيدة [3] .

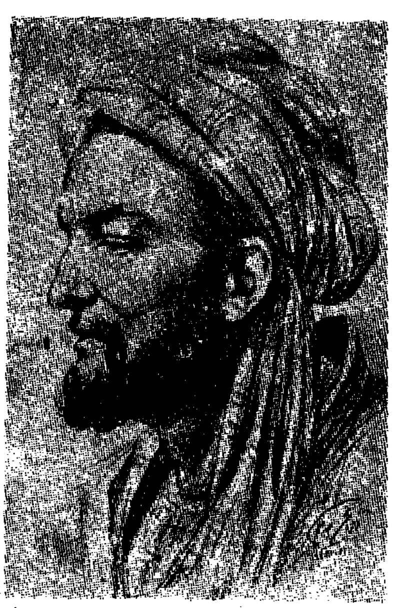
هكذا كانت اهمية خراسان في الدورين البيشيدادي والكياني ، وهكذا كانت في الادوار التاريخية الاخرى ايام حكم الاسرة الهاخمنشية والاشكانية محل عناية جميع الاسر وموضع اهتمامهم لما خصت به من مميزات ، ولقد بلغ من اهتمام الساسانيين بها ان افردها كسرى انوشيروان بقسم إداري خاص

---

(١) ركن الدين همايو نفرخ – مجلة (بررسيهاي تاريخي) بالفارسية العدد ٣ – ٤ سنة ١٣٤٦ طهران .. (٢) غرر اخبار ملوك الفرس للثعالبي – ترجمة محمود هدايت ص ١٩٣ – الطبري ج ١ ص ٤١٣ مط الاستقامة – القاهرة . (٣) تاريخ كزيدة بالفارسية تأليف المستوفي القزويني سنة ٧٣٠ ج ١ ص ١٠١ مط لندن .

فكانت خراسان القسم الشرقي الاول من جميع اقاليمه الاربعة وضم اليهـا كرمان وناطها بحاكم مزود بامتيازات خاصة [١] .

وليس من شك ان النظم العامة التي تناولت الزراعة والعمران والصناعة في عهد الساسانيين وعهد انو شيروان خاصة قد فعلت فعلهـا في خراسان بالنظر لما تمتاز به هـذه البلاد من المؤهلات الجغرافية والسكنية والحاصلات المختلفة .



ابن سينا تصميم الاستاذ (ابو الحسن صديقي)

وفي دور الاسلام كان لخراسان شأن كبير سواء في ايام الخلفاء الراشدين او الدولة الاموية او العباسية او في عهـد الاسرة الطاهرية او الاسرة الصفارية او الاسرة السامانية او الغزنوية ، او السلجوقية والخوارزمية او العهود الاخرى مما جعل لخراسان وحضارتها مكانة مرموقة في التاريخ القديم والحديث .

ولقد انصهرت كل تلك الحضارات المكتسبة في مختلف الادوار بفضل عدد من العوامل الفعالة فطبعت خراسان وبلدانها ، وسكانها بطابع خاص انفردت به ، وامتازت بمعالمه بين الكثير من حضارات البلدان .

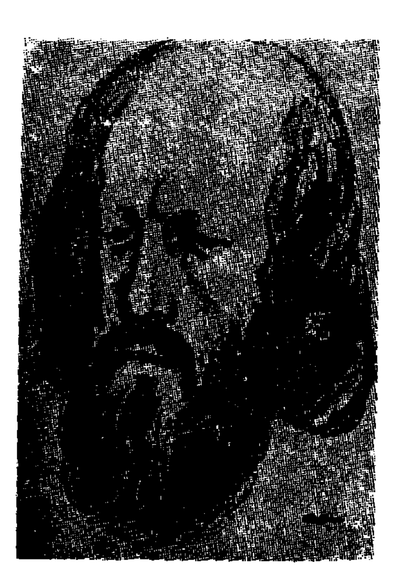
وقد اخرجت خراسان في العهود الاسلامية الوفاً من أئمة الفقه والحديث كالامام احمد بن حنبل وسفيان الثوري ، ومن أئمة الفلسفة والطب والحكمـة كابن سينا ، ومن الأئمة في مختلف العلوم والفنون والموسيقى كالفارابي ، ومن

---

(١) تاريخ ايران — للجنرال سر برسي سايكس — ترجمة السيد محمد تقي فخر داعي كيلاني ج ١ ص ٦٣٦ .

أئمة التفسير والعلوم الدينية والتبحر في التشريع كابي جعفر الطوسي والزمخشري ومن أئمة العلوم والحكمة والفلسفة كابي حامد الغزالي ، ومن أئمة النحو اللغة كالاخفش الاوسط الذي فضل على استاذه سيبويه ، ومن رجـال الوزارة والادارة والتدبير كالبرمكي ، والنوبختي ، وآل سهل ، وكيعقوب بن داود ، ومن علماء الفلك والرياضيات كعمر الخيام

ومن رجالات القيادة والامارة كابي مسلم الخراساني [١] وطاهر بن الحسين وعبد الله بن طاهر ، ومن أئمة الشعر كالرودكي والفردوسي ، وكأبي منصور محمد بن احمد الدقيقي البلخي ، ومن أئمـة التاريخ والرياضيات كالبيروني وآلاف غيرهم ممن اشار اليهم المؤرخون وقالوا انهم يفوقون الاحصاء ، ولو اريد استخلاص اسمائهم من بين كتب التاريخ لاحتاج الامر الى عدد كبير من القواميس لاستيعابهم ، بصفتهم مراجع عامة وأئمة ليس للاسلام وحده وانما لقسم كبير من الامم التي افادت من علومهم في السابق ولم تزل تتدارس الكثير من علومهم وآثارهم حتى اليوم .



الامام الغزالي الطوسي

وسنمر هنا على اهم العوامل التي جعلت لحضارة خراسان هذه القيمة في جميع ادوارها التاريخية القديمة على قدر الامكان .

---

(١) يعتقد البعض ان ابا مسلم ليس بخراساني وانما هو اصفهاني الاصل ويرى البعض خلاف ذلك .

أهم معالم الحضارة الخراسانية

الخط والكتابة

واول معالم الحضارة هو الخط والكتابة ، وليس لدينا من الادلة التاريخية ما يمكن الركون اليها عن تاريخ انتشار الكتابة في ايران عموماً وخراسان خصوصاً غير تلك القصص القديمة التي بقيت من العصور الموغلة في القدم والتي بـدأ المستشرقون يحققون فيها وفي قيمتها على ضوء بعض الاكتشافات الاثرية وما عثروا عليه من مخطوطات منقوشة فوق الصخور ، ومنحوتة فوق جهات من حفريات الجبال ، ومن هذه القصص التي وصلتنا عن طريق (شاهنامـة الفردوسي) هو ان الخط والكتابة كانت من مبتكرات (طهمورث) بخراسان ، فقد جاءت في الفصل السابع والعشرين من (مينوي خرد) وفي المجلد الاول من (الشاهنامة) ضمن القصص التي تتحدث عن الملوك القدماء والابطال قصة تقول :

ان الملك (طهمورث) — وهو الذي اتخذ نيسابور من خراسان موطناً له — كان قد تغلب على (الغيلان) حتى سمي بآسر الغيلان ، وكان قد أسر عدداً منهم وحين همّ بقتلهم عرض عليه هؤلاء (الغيلان) مقابل العفو ان يعلموه فنّ الخط والكتابة فرضي بذلك وعلّموه ثلاثين نوعاً من الكتابة ! !

ثم وردت هذه الاسطورة بعد ذلك في صور كثيرة من القصص والحكايات

الخيالية عند القصاصين حتى جاء المؤرخون الذين يعنون بالتحقيق وقاموا بتحقيق اصل الكتابة الايرانية فتوصلوا الى ان تاريخ الخط والكتابة في ايران وفي خراسان كان قديماً جداً ، وان (طهمورث) الملك كان يتمتع بمزايا كثيرة ، ومواهب عظيمة فد يعود له الفضل حقاً في معرفة الخط والكتابة الفارسية لاول مرة ، فقد جاء في (فارسنامة) ابن البلخي قوله : « ومن آثار طهمورث انه كان اول من وضع الخط الفارسي » .

ويقول الطبري مثل هذا القول بعد ان يعدّد لطهمورث ابتكارات كثيرة ويقول انه هوالذي علم ركوب الخيل، وأنسل البغال من الخيل والحمير ؛ واول من بادر بصيد النمور ، وهو اول من كتب الخط الفارسي [1]

اما ابن النديم فيقول : ان اول من كتب بالفارسية كان (بيوراسب بن نداسب) [2] اما اول من صنف طبقات الكتاب وعين منازلهم فهو (لهراسب) [3]، وكثر بعد ذلك عدد الذين تخصصوا في قراءة التاريخ واستقصاء آثار الخطوط المتبقية فتأيد ان الخط الفارسي قديم جداً وهو يرجع الى نحو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد ، وحتى الاسطورة التي وردت عن (الغيلان) الاسراء الذين علّموا طهمورث الخط قد فهمها المتأخرون من ارباب الاختصاص بغير ما كان فهمها الاخرون فقد اورد ركن الدين همايون فرخ ان (الميديين) من سكان (طبرستان) كانوا يسمّون سراة القوم والأكابر عندهم (بالديو) اي الغيلان فالتبس الامر على المؤرخين المتقدمين وظنوا ان المقصود بالغيلان هم الوحوش الذين نسجتهم الأخيلة وأسكنتهم الصحارى والبراري .

ولا شك ان هؤلاء الاسراء الذين اسرهم طهمورث من الميديين في طبرستان كانوا يعرفون الخط والكتابة ، وحين استولى طهمورث على طبرستان واسر الغيلان اي سراة القوم اشتروا منه انفسهم بتعليمه ما كانوا يعرفون من

(١) ركن الدين همايون فرخ – مجلة (بررسيهاي تاريخي) السنة الثانية ص ٢٢٨ طهران .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٨ مط الرحمانية بمصر . (٣) الطبري ج ٥ ص ٢٤ مط الاستقامة

فنون الخط والكتابة لا الغيلان الذين يرد ذكرهم في الاساطير والذين التبس مرهم على الرواة والمؤرخين .

ويبدو ان هؤلاء الذين اطلق عليهم اسم (الديو) كانوا من الناس المهيبين الذين يخشاهم المجتمع حتى آل بهم الامر الى ان يعبدوهم ويتخذوهم آلهة . ويستدل على ذلك من النهي الوارد على لسان زردشت عن عبادة (الديو) ومن قول الفردوسي في الشاهنامه اذ يقول :

تومر ديورا مردم بدشناس   كسي كوندارد زيزدان سپاس

اي عليك ان تعد الديو (الغيلان) اناساً غير طيبين .

وليس بالبعيد ايضاً وقد وصل الينا الشيء الكثير من اخبار طهمورث وقابلياته من ان يكون هو الذي حسّن هذا الخط الذي تعلّمه ثم وسّع انتشاره فانبعث الخط الفارسي – اول ما انبعث – من خراسان ، ثم عمّ اصقـاع ايران ، ودخلت عليه بعد ذلك تطورات الى ان تم انقراضه بعد فتح الاسلام لايران .

واذا لم يصح ان تكون خراسان اول من ابتدعت الخط الفارسي فليس من شك انها كانت قد افادت من الكتابة الشيء الكثير لملازمة عدد من الملوك للاستيطان بها ، وتجييش الجيوش ، وتسجيل الاوامر الملكية . وكتابة الوصايا والعهد بها الى من يليهم في الحكم وضبط الاموال وحصر الارزاق وغـير ذلك مما يتوقف على الكتابة والبروز فيها والاحاطة بفنونها .

وقد اورد ابن النديم في الفهرست ذكراً للوصايا التي يتركها الملوك فقال عن فريدون انه لما قسم الارض بين ولده : سلم ، وطوج ، وايراج ، خصّ كل واحد منهم بثلث المعمورة ، وكتب كتاباً بينهم [1] .

واستعراض موجز لتاريخ خراسان القديم يكفي لاعطاء فكرة لا يتسرب

(١) الفهرست ص ١٨ (الكلام على القلم الفارسي) .

اليها الشك بان حظ خراسان من الكتابة والخطوط وتسجيل ما تطلبه الحياة كان كبيراً قبل تغلغل الزردشتية ، وحين انتشرت الزردشتية عمت الكتابة واصبحت جزءً كبيراً من حياة الناس وحياة خراسان بصفة خاصة وذلك بسبب هجرة زردشت الى خراسان ونشر تعاليمه فيها مما سنشير اليه .

الدين والعقيدة

والدين عامل من اهم العوامل في بناء الحضارة وتقويم المجتمع في التاريخ القديم ، وتكون أهمية كل دين بقدر ما يتضمن من الافكار والانظمة الاجتماعية والتشريع الذي يحفظ للمجتمع كيانه ، وعلى قدر ما يبني الدين ويعمر من الافكار الصالحة والمعتقدات النافعة ، وما يغذي به النفوس من روح التأمل في الوجود ، والدعوة الى المحبة والخير العام ، ولم يخل دين صحت أسسه او بطلت من نزعة خير عملت عملها في تاريخ الانسان القديم ، وكان لها ولو بعض الاثر في تلطيف مزاج الانسان ولفت نظره للوجهة التي تحقق له سعادة بنسبة ما يتضمن ذلك الدين من التعاليم الصالحة ، وقد كانت لخراسان القديمة حصتها من هذه الاديان التي ساعدت على تفتح الذهنية ، وفتح المجال للتأمل والتفكير في الوجود الذي يحيط بالانسان ، وفهم الاسباب والمسببات والخوض في فلسفتها ، ونشر الثقافة العامة في وسط الناس عن طريق الطقوس والآداب والفنون .

ومن اقدم الاديان واشهرها التي قامت في خراسان والتي يرجع بدء تاريخها الى عهد طهمورث [1] على ما هو تحت ايدينا من الاخبار والقصص القديمة هي : (الصابئية) ، وعلى ان (المجوسية) هي دين القبائل التي كانت تسكن ايران قبل نزول الآريين لهذه البلاد التي تم طردهم لسكانها الاصليين واحتلال ديارهم بمرور الزمن على ما جاء في الروايات فاننا لا نعرف شيئاً

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين مادة (مجس) .

كافياً عن هذه (المجوسية) في تاريخ ايران العام فضلاً عن تاريخ خراسان .

يقول محمد بديع في العدد ٤٧ من (الاخاء) العربية : « وقبل ظهـــور زردشت اي قبل ان تشكل دولة (ميديا) كان بين سكان ايران غير الآريين دين يعرف بدين (مغان) ... ويظهر ان المجوس كالعيلاميين من سكنة ايران القدماء ، وانهم لم ينتموا لاحد العنصرين الآري او السامي » ثم يقول : وبالرغم من ان الاكثرية الساحقة من المفسرين يفسرون المجوسية بالزردشتية فان المسلّم به هو ان كلمة المجوس هي تعريب لكلمة (مكوش) في لغة الفرس القديمة .

واذا صح ان المجوس غير الزردشتيين ، وان دينهم اقدم دين للقبائـــل المجهولة الاصل القديمة التي كانت تسكن ايران قبل الآريين فاننا لم نعرف اي اثر لهذا الدين القديم في خراسان سواء كان ذلك قبل نزول الآريين بخراسان او بعد نزولهم .

الصابئيـــة

ولعل الصابئية على هذا اول ديانة او اقدم ديانة في خراسان فتحت لاول مرة للاذهان كوى على العالم السماوي والسفلي ، وحملت النفوس على التفكير في خلق الكون والتأمل في الكواكب واضوائها ، وتعليل وجودها في هذا الفضاء اللانهائي المسمى بالسماء فكان لهـــذا الدين اثره من هذا الجانب على الخراسانيين وتوجيههم لاول مرة الى العالم العلوي اضافة الى العـــالم لسفلي .

ويقول المسعودي ان نبي هذا المذهب هو (أيوداسف) وانه هو الذي حدث مذاهب الصابئة ، وروى عن (ابوداسف) انه قال : ان مغالي الشرف كامل ، والبلاغ الشامـــل ، ومعدن الحياة في هـــذا السقف المرفوع (يريد السماء) ، وان الكواكب هي المدبرات والواردات ، والصادرات ، وهي التي بمرورها في افلاكهـــا ، وقطعها مسافاتها ، واتصالها بنقطة ، وانفصالها عن نقطة ، يتم ما يكون في العالم من الاثار من امتداد الاعمـــار وقصرها ،

وتركيب البسائط ، وانبساط المركبات ، وتتميم الصور ، وظهور المياه وغيضها ، وفي النجوم السيارة في افلاكها التدبير الاكبر .

واضاف المسعودي قائلاً : ويقال ان هذا الرجل اول من اظهر آراء الصابئة من الحرابيين -.والصحيح الحرانيين - والكيمياريين ، وهذا النوع من الصابئة مباينون للحرانيين في نحلتهم وديارهم في بلاد واسط والبصرة من ارض العراق [1] وهناك من يقول ان الصابئة هم عامة المعروفين بالحرانيين .

اما ابن النديم فيسمي مذهب (ايوداسف) بمذهب (السمنة) ولا بد ان تكون (السمنية) غير الشمنية التي تطلق على الرهبان البوذيين في خراسان وما وراء النهر ، فالشمن صفة تخص الروحانيين من البوذيين ، ويروى عنهم وعن عقيدتهم غير ما روى المسعودي ، اللهم الا ان يكون يوداسف غير بوداسف وهذا بعيد الاحتمال .

يقول ابن النديم : قرأت بخط رجل من اهل خراسان قد الف (اخبار خراسان في القديم وما آلت اليه في الحديث) وكان هذا الجزء يشبه الدستور ، قال : بني السمنية (بوداسف) وعلى هذا المذهب كان اكثر اهل ما وراء النهر قبل الاسلام وفي القديم ، ومعنى (السمنية) منسوب الى (سمنى) وهم أسخى اهل الارض والاديان ، وذلك ان نبيهم (بوداسف) اعلمهم ان اعظم الامور التي لا تحل ولا يسع الانسان ان يعتقدها ولا يفعلها هو قول (لا) في الامور كلها ، فهم على ذلك قولاً وفعلاً ، وان قول (لا) عندهم هو من فعل الشيطان ، ومذهبهم هو دفع الشيطان [2] .

واذا لم تكن الصابئية اول دين عرف في التاريخ لامتداد تاريخه الى ما قبل (الحنفية) دين ابراهيم فقد انبعثت الصابئية - اول ما انبعثت - من خراسان ، وهذه ميزة اخرى لخراسان في ان تكون مبعث الاديان القديمة ، ولا يبعد ان

---

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١٣٨ مط البهية المصرية . (٢) الفهرست لابن النديم ص ٤٨٤ مط الرحمانية .

تكون الصابئية هي السبب في اثارة التفكير في فلسفة المرئيات من الكواكب وعلاقتها بالارض والسكان ومعنى ذلك انها هي التي فسحت في المجال ولو قليلاً للانسان القديم لكي يتباعد عن معتقداته القديمة بالسحر والشعوذة والاشباح التي كان يؤمن بها والتي كانت تسيطر على عقول الشعوب القديمة نتيجة الذعر والخوف الذي كان يبعثه الظلام والوحشة ، وليس بالبعيد ان تكون خراسان قد افادت بعض الشيء في تجربة تمرين العقل والاستعداد للمناقشة بسبب المعتقدات الصائبة التي تعزو الكثير من الأمور الى الافلاك والنجوم ؛ وليس بالبعيد أن يكون بروز عدد من العلماء الخراسانيين في العصور الاسلامية بالرياضيات وحساب النجوم وعلم الهيئة السماوية بمثابة امتداد لتلك العقائد القديمة بالفلك والنجوم .

البوذية

والبوذية لم تتولد في خراسان وانما جاءت اليها من وسط الهند واجدة في خراسان وفي بيئتها وفي قابلية سكانها ما يساعدها على الانتشار ؛ وقد تأثرت خراسان بتعاليم البوذية لحد بعيد ، حتى لقد كادت شهرة (بلخ) كمدينة بوذية تفوق شهرة اية مدينة عرفت باعتناق البوذية ، وعلى ان هناك من يرى ان ظهور البوذية يرجع الى نحو اكثر من الف سنة قبل الميلاد فان المرجح ان يكون ذلك في اواخر القرن الثامن او اوائل القرن السابع قبل الميلاد ، وقد اعتنقت (بلخ) والجانب الشمالي من خراسان البوذية ومن هذه الجهات انتشرت البوذية وعم انتشارها بلداناً بعيدة .

ومذهب البوذية يقوم على اسس اربعة :

اولاً — الاعتقاد بان الألم من لوازم الوجود

ثانياً — وان الانسان قد يرجع الى هذه الدنيا مرة اخرى ، وان سبب رجوعه هو الالتياث بالشهوات في حياة سابقة .

ثالثاً — ان الخلاص من اثر الشهوات هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة ثانية الى حياة على الارض بعد مماته .

رابعاً — وان على الانسان : ان يبعد عن نفسه العقبات التي تحول بينه وبين الخلاص من شهواته .

وتعتقد (البوذية) ان الواجب يقضي على الانسان ان يخلص نفسه ويخلّص غيره من أسر الشهوات ، وان يلتزم الطيبة ، والشفقة ، والحب ، والتسامح ، ولين المعركة والتقشف [1] .

ويقول الاستاذ (بارتولد) — تاريخ الحضارة الاسلامية — ص ٦٣ : « لم يكن لاقليم من اقاليم الساسانيين القديمة تأثير في رقي المسلمين ديناً ، واقتصاداً وعلما ، كتأثير (بلخ) التي ظلت مرتبطة بالديانة البوذية حتى قدوم العرب ، فمن بلخ نشأ البرامكة وزراء خلفاء بغداد » [2] .

ومن اشهر معابد البوذيين في بلخ هو النوبهار ، وهو اعظم بيت من بيوت الاصنام ، فحين سمع ملوك ذلك الزمان — قبل الاسلام طبعاً — بشرف واهمية اصنامها واحترام العرب لها بنوا هذا البيت (اي النوبهار) مضاهاة للكعبة وزينوه بالديباج ، والحرير ، والجواهر النفيسة ، ونصبوا الاصنام حوله ، وكان الفرس والترك يعظمونه ويحجون اليه ويهدون له الهدايا — وكان الهند والصين يأتون اليه فاذا وافوه سجدوا للصنم [3] .

وقد ذكر البلاذري في (فتوح البلدان) : ان احد ولاة معاوية خرّب معبد (النوبهار) في بلخ [4] .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين — فريد وجدي — مادة بوذا . (٢) تاريخ البرامكة — الدكتور عبد الله فياض ص ٤٦ مط الرشيد — بغداد . (٣) آثار البلاد واخبار العباد ص ٣٣١ مط صادر ودار بيروت . (٤) تاريخ البرامكة — الدكتور عبد الله فياض ص ٤٦ مط الرشيد — بغداد .

ومن هذا يتضح ان الخراسانيين قد اخذوا من البوذية الشيء الكثير من مختلف التعاليم خصوصاً الدعوة الى تهذيب النفس ، وتحمّل العذاب ، والصبر على المكاره الذي اثبت التاريخ ان خراسان كانت متفوقة فيه .

الزردشتية

ويستبان من تتبع الحوادث ، واستقصاء الاخبار ان خراسان قد اتصفت في تاريخها القديم بنوع من حرية الرأي والثقافة التي تمكن ارباب الرأي ان يجهروا بآرائهم ولو بقدر محدود ، ويلاقوا من الخراسانيين آذاناً مصغية الى الحد المقبول والا لما لقي اقوى الاديان اصولاً مجالاً للتبشير هناك بدعوته والاقبال عليه ، فها هي ذي الصابئية ، ثم البوذية ، والزردشتيه ثم الاسلام قد لقيت دعواتها في خراسان قابلية تهضم المعقول وتدين بفلسفة الواقع ، وتماشي المنطق ، وتكسب من كل ذلك ثقافة صهرها لها تضارب الافكار والآراء حتى صارت العقلية الخراسانية مضرب المثل في التاريخ القديم وفي التارخ الاسلامي الذي اخرجت فيه خراسان المئات من أهل النبوغ والعبقرية في مختلف العلوم والفنون التي ملأت بطون الكتب .

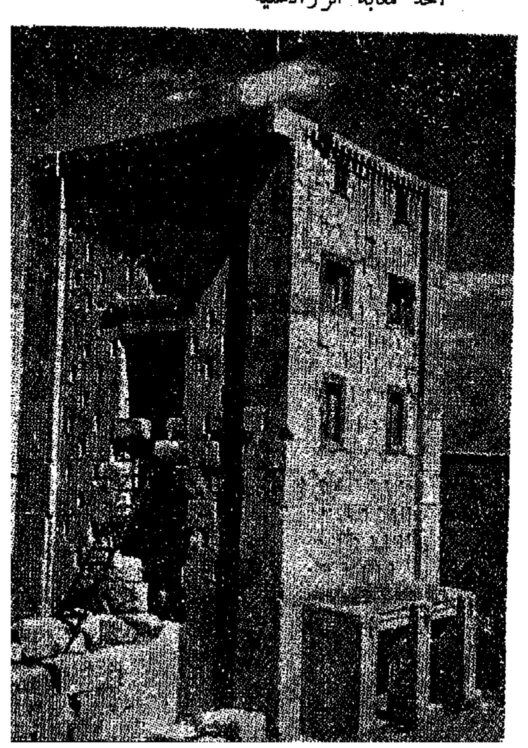
والزردشتية — دين جديد دخل خراسان قبل ان يدخل اي اقليم آخر ، ونبيّ هذا الدين عندهم هو (زرادشت) وهو من اولاد (بروشسب) من سلالة منوچهر أحد ملوك ايران القدماء بخراسان [1] على ما يقول البعض ، ويعين اليونانيون في تواريخهم ظهور (زرادشت) باذربايجان — قرب بحيرة رضائية — بما يقارب الف سنة قبل الميلاد ، ولكن البرفسور الالماني (گولدنر) يعتقد ان ظهور الزردشتية لم يتجاوز القرن السادس قبل الميلاد [2]

(١) زرادشت المصلح الحكيم — مكي البحراني — الاخاء العدد ٦١ — طهران . (٢) كورش كبير — بالفارسية تأليف (ابو الكلام آزاد) ص ١١٣ مط تابان — طهران .

وهناك غير مؤرخي اليونان من يقول بأن زردشت قد ولد باردبيل (آذربايجان) وما كاد يجهر بدينه حتى نفاه الميديون فالتجأ الى خراسان . ولكن مثل هذا الرأي لم يزل مجال شك ، ولايزال مولده ومنشأه الاول مجهولاً وكل ما يعرف عن دينه انه ظهر في شرقي ايران – اي خراسان – وان (كشتاسب) الايراني في (بلخ) ومن سلالة الكيانيين آمن به . ومن هناك انتشرت التعاليم الزردشتية حتى عمت كل ايران من الميديين والفرس وتركستان ، والهند ، واسيا الصغرى .

والطبري ممن يرى ان دعوة زرادشت قد ظهرت – أول ما ظهرت – في آذربايجان ثم خرج زردشت منها متوجهاً نحو بشتاسب (كشتاسب) ببلخ [١] ولكن المستشرقين ومنهم كريستنس الدنمركي يرى ان اللغة والمدنية التي جاءت في اجزاء (جات) من كتاب (الافستا) وهو كتاب زرادشت . تشير الى ان ما فيها من اناشيد انما تتعلق بالمناطق الشرقية لايران ، وقد اشار (بارتولومه) اعتماداً على الملاحظات الجغرافية الى ان تعاليم (الافستا) قد ظهرت في شرق ايران على اكبر تقدير [٢] لذلك من الراجح ان تكون الزردشتية قد بعثت في خراسان وانتشرت من بلخ الى سائر الجهات[٣]. وهذا دليل آخر على ما كانت عليه خراسان من حرية الفكر ، ووجود القابليات والمدارك التي يستطيع المبشرون ان يعتمدوها لقبول المناقشة وتبادل الاراء ، ولقد قيل انه كانت لزرادشت

احد معابد الزرادشتية



(١) الطبري ج١ ص ٣٨٤ ط الاستقامة بمصر . (٢) زردشت وكتاب الافستا القديم – المقدمة من ترجمة الدكتور محمد جواد مشكور ، والدكتور نادز نظام . (٣) فجر الاسلام ص١١٨ .

مناظرات مع الحكماء ، وقد دعاهم الى نبذ عبادة الأوثان ، والاتجاه الى عبادة الله الاوحد ، وقيل ان هـــذه المناظرات مع رجال الفكر ومناقشه زردشت من لدنهم قد جرت بمحضر الملك (كشتاسب) ببلخ (خراسان) وحصلت فيها محاججات ومما حكات علمية وعقلية حتى آمن به الجميع[١] .

وتعاليم زردشت ، كانت خطوة جديدة في الفلسفة يومذاك وهي تبني ديانتها على ثلاثة أصول :

١ ــ هومت ــ أي النية الحسنة (وهي ما عبّر عنها بالفارسية : بپندارنيك)
٢ ــ هوخت ــ اي القول الحسن (وهو ما عبّر عنه بالفارسية : بگفتارنيك)
٣ ــ هاورشت ــ أي العمل الحسن (وهو ما عبّر عنه بالنارسية: بكردارنيك

وهذه التعاليم تدعو الى عبادة الله وتسميه (أهورامزدا) وان كتابها الديني هو (الافستا) وان شرحه هو (الزند) وترجع هذه الديانة العالم الى اصلين : ــ

اصل الخير ــ وهو (يزدان) واصل الشر وهو (اهريمن) .

وتذهب تعاليم زردشت الى ان هذين الاصلين او المبدئين في نزاع دائم ، وان اصل الخير هو النور ، وقد خلق منه كل ما هو حسن ، وخير ، ونافع ، وان اصل الشر هو الظلمة وقد خلق منها كل ما هو شر في العالم ، وان الحرب بين هذين ألروحين : الخير والشر سجال ، ولكن الفوز النهائي سيكون للخير ، فالنور والظلمة ، اصلان متضادان هما مبدأ موجودات العالم ، وقد حصلت التراكيب من امتزاجهما ، وحدثت الصور من التراكيب المختلطة ، وان مبدعهما واحد لا شريك له ، ولا ضد له ، ولا ند ، ولا يجوز ان ينسب اليه وجود الظلمة ، وهو (اهورامزدا) .

ثم يدعو زردشت بعد ذلك في كتابه (الافستا) الى حب الخير ، ووجوب

---

(١) مكي البحراني في (زردشت المصلح الحكيم) الاخاء العدد ٦١ ــ طهران .

تجنب الشر ، وتوحيد الفكرة في العمل لاحياء الارض ، والتعمير ، والاعتقاد بما وراء الطبيعة من قيام الاخرة ، ووجوب التغلب على الشر[١] .

وقد اعتبر البعض ديانة الزردشتية ثنوية ولكن التحقيق اظهر بعد ذلك ان زردشت كان موحّداً وانه يرى ان العالم كله يخضع لاله واحد والى هذا ذهب الشهرستاني في (الملل والنحل) والقلقشندي في (صبح الاعشى) وغيرهما[٢] .

والانسان على ما تقول الزردشتية مختار في اتباع احدى هاتين القوتين : (اسپنت مينو) اصل الخير ، و (انكره مينو) اصل الشر ، فاذا اختار الخير استحق الجنة ، وان اختار الشر استحق الجحيم ، وان السعادة تأتي من اتباع الاحكام التي تتود الى الخير ، وتقول الزردشتية ان بمثل هذا الفكر يتحسس المرء بحريته في الحياة ويبتعد عن قبول الافكار الجبرية ، وتعتقد الزردشتيه ان السعادة والشقاء هو ما تقدمه يد الانسان فالانسان يستطيع ان يسعد نفسه او يشقيها[٣] .

ويقول محمد بديع : والنار في شريعة الزردشتية عنصر طاهر ومطهر ولذلك فهي مقدسة .

ومن أهم احكام الزردشتية بعد ذلك الدعوة الى الزواج ويسمي زردشت الزواج : (اقدس اعمال العفة) يسنا ٥٣ — ٥ من اجزاء الأفستا .

ويستنكر زردشت تعدّد الزوجات ، ويدعو الى مشاركة المرأة للرجل ومساواتها به في جميع الحقوق المدنية والاجتماعية (ونديدا — ١١ — ٧) من اجزاء الافستا .

والطلاق محرم في الزردشتية (يشته ها ١٠٤) من اجزاء الافستا .

---

(١) ما الذي اخذ الشعر الفارسي من العربية ص ٢٥٩ — الجامعة اللبنانية . (٢) فجر الاسلام ج ١ ص ١٢٢ ط ٢ مط الاعتماد بمصر . (٣) ايران في ٤٥ قرناً تأليف جليل لباف (الاخاء) العدد ١ — ١٩٦٠ .

ويقول الدكتور جيمس هنري برستاد : ان دين الزردشتية قد نشأ من نفس جهاد الحياة ، وصار قوة عظيمة في الحياة ، وكان من اشرف الاديان التي وجدت قبله وفي زمانه[١] .

وفي تعاليم الزردشتية بعد ذلك اتجاهات ادبية وفنية ، وصور للشعر والموسيقى كان لها تأثير كبير في صقل الذهنية الخراسانية وافكارها وتوسيع دائرة الثقافة العامة وجعل العقلية الخراسانية عقلية خاصة زودت هذه المجموعة من السكان بمواهب انفردت بها بين الاقاليم الايرانية في كثير من العهود .

المانوية

وقد بشّر بها (ماني) المولود ببابل وهي خليط من العقائد البابلية القديمة والبوذية ، والزردشتية ، والمسيحية ، وتتلخص هذه الديانة في ان الانسان خلق من أصل رباني ، وان نجاته من الاذى والشرور تتوقف على فهمه لنفسه ، وفهمه للعالم المحيط به ، فبمقدوره التقرب الى الانسانية الكاملة وبلوغ قمتها اذا استطاع ان ينزه نفسه من العيوب والشرور ، وهو يقول بالتناسخ ، ويرى ان الانسان متى بلغ تلك المنزلة من التفاوت والانسانية الكاملة كان مصيره للجنة اذا مات ، اما اذا انصاع لشهواته ، وانقاد للشر فستحل روحه بعد موته في اجسام أخر ، ولم تزل تنتقل من جسم الى جسم حتى تطهر .

وترى (المانوية) : ان المعاصي والشرور في الانسان انما تنطلق من لسانه وعينه ، ويده ، وان عليه — اذا أراد ان يكون صالحاً — ان يحافظ على لسانه وعينه ويده ، لئلا ينطلق منها الشر والأذى .

وقد حرّمت (المانوية) على اتباعها التبذّل والركض وراء الشهوات ،

---

(١) العصور القديمة – ص ١٣٧ مط الجامعة الاميركية – بيروت .

ودعت الى نوع من العرفان والزهد ، والنزوع الى معرفة الحقيقة ، وترمي فلسفتها الى البحث عن حقيقة الانسان وكيف جاء الى الدنيا ، وما هي ماهيته ، والى اين ينتهي به المطاف ، وهي تقسم الوجود الى ثلاثة ازمنة :

١ ـ الزمان القائم ـ وبه الخير والشر منفكّان .
٢ ـ والزمان المتوسط ـ اي الحاضر ـ وقد اختلط فيه الخير بالشر
٣ ـ والزمان القادم ـ المستقبل ـ وهو آخر الأزمنة حيث يعود التضاد الى الانفصال مرة اخرى .

ومآل العالم في رأي (ماني) الى الفناء وذلك لوجود قوى الخير والشر ، والنور والظلام ، وتكون نهاية العالم بنشوب حرب عالمية ، او بنزول كارثة تدهم العالم وتقوض اركانه .

هذه باختصار هي فلسفة المانوية وعقيدتها ، وقد ضمتها عدة كتب مزينة بالصور ، واهم هذه الكتب ما عرف باسم (اررنك) وكتاب (شاپوركان) وهو الكتاب الوحيد الذي كتبه (ماني) باللغة البهلوية ، ويعدد ابن النديم كل كتب (ماني) ويورد اسماءها في الفهرست .

وليس من شك ان خراسان قد عرفت (المانوية) عند ظهورها ، فقد قام ماني حوالي الثلث الاول من القرن الثالث الميلادي بجولة في ايران وتركستان والهند للتبشير بالمانوية ، وقد ورد اسم خراسان ضمن الاقطار التي بشّر فيها ماني بدينه ، وقد نص الدكتور هادي طبيب زاده على ذلك بقوله :

« وسافر ماني الى (مرو) و (خراسان) مبشراً بدينه » وهذا دليل آخر على ما كانت تمتاز به خراسان من حرية الرأي ، واتساع ميدان المناقشات ، ومدارك الثقافة المستندة الى العقل والمنطق العلمي بحيث جعلت من خراسان شبه محك لتماحك الاديان ، وشبه ملجأ للمبشرين بارائهم من مضطهديهم ، ولاشك ان هذه التعاليم قد فعلت هي الاخرى فعلها في

نفوس الخراسانيين ، فهضمت العقول منها ما يمكن ان يهضم ، ونبذت ما لا تستسيغه عقولهم على قدر حدود تلك العقول في تلك الأزمنة .

وأديان أخرى

وليس من البعيد ان تكون خراسان قد عرفت اديانا اخرى كالوثنية اليونانية في أيام فتح الاسكندر ، ولكن هذه الوثنية لم نجد لها أثراً ملحوظاً في تاريخ خراسان ، واذا كان هناك شيء من ذلك فلا نحسبه الا وقد انقرض بانقراض عهد اليونانيين الذين لم يتجاوز حكمهم لايران اكثر من ٨٠ عامـاً .

وعلى ان المزدكية قد انتشرت في القرن الخامس الميلادي في كثير من جهات ايران فاننا لم نلحظ في هذا الاقليم ما يشير الى ان المزدكية قد وجدت فيه مرتعاً او مجالاً للانتشار ، واذا صح هذا فهو الاخر دليل على ان ميزان العقل الخراساني كان ميزاناً له قواعده وأصوله المنطقية ، فالمزدكية كانت نوعاً من أنواع الشيوعية المتطرفة ، وهي تعتقد ان اكثر الخصومات والمباغضات والقتال في العالم انما تحدث بسبب النساء والأموال ، وان التخلص من هذه الشرور هو في اباحة النساء والأموال ، وجعل الناس شركة حرة فيها كشركتهم في الماء ، والنار ، والكلأ ، وقد حكي ان مزدك قد أمر بقتل الانفس ليخلصها من الشر والمظالم ..!!

وأصول الدين عند مزدك ثلاثة : هي : الماء ، والنار ، والارض ، ومعبوده قاعد على كرسيه في العالم الاعلى ، وبين يديه اربع قوى ، هي التميز ، والفهم ، والحفظ ، والسرور .

وبعد هذه الخلاصة عن المزدكية فليس بالغريب اذا لم نجد المانوية في خراسان قائمة قيام الأديان المتقدمة ، وغير فاعلة شيئاً في نفوسها .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين – مادة (مجسى) .

صحيح ان الأديان المتقدمة قد فعلت فعلها العظيم في يقظة جميع الاقاليم الايرانية لا الخراسانية وحدها ، وبنت لها حضارتها ، ونشرت الثقافة العامة في ربوعها ولاسيما في (ميديا) وفي (فارس) بل ان كثيراً من الآثار التي خلفتها الأديان وفلسفاتها المتجانسة والمتضادة المتضاربة ، كانت بارزة كل البروز في اصقاع ايران الاخرى كبروزها في خراسان واكثر ، ولكن فعل هذه الفلسفات الدينية واتجاهاتها قد اعطت خراسان صبغة معينة خاصة ، وخلفت فيها أثراً اقتصرت ألوانه عليها وحدها بسبب تفاعل تلك الأديان وما كانت تحمل من تيارات فكرية ، واتجاهات مختلفة جعلت من خراسان عقلية لها فهم خاص لبعض نواحي الوجود ، وإدراك خاص لبعض صور الحياة ، فكان من نتائج هذا التفاعل . وانصهار الافكار الدينية ان زاد الخراسانيون في امعان النظر في خلق السموات والارضين ، والبحث عن فلسفة الوجود بحثاً فيه الشيء الكثير من العمق ، وفهم الدين فهماً يرتكز الكثير منه على العقل والمنطق ، ومعرفة الحياة وحياة الانسان والانسانية بنحو خاص كثيراً ما ظهرت آثاره فيما خلفه الخراسانيون من افكار وآراء ، وفلسفة ، وكتب ومؤلفات في العصور الاسلامية نتيجة انعكاس مجموعة من الثقافات والافكار .

الاسلام

وحين دخل الاسلام لم يعان من الخراسانيين ما اعتاد ان يعانيه في اي بلد دخله الاسلام لاول مرة من قلة ادراك ، وقلة استعداد لفهم روح الاسلام ، بل ألفى عند أهل خراسان استعداداً للمناقشة ، وفهماً للواقع ، ومعرفة كاملة بفلسفة الاديان وأهدافها ، واعتزازاً بالقيم التي خلقت منهم اناساً لهم شأن غير شأن الكثير من الناس في الكثير من الاقطار ، يمحصون الافكار والاراء دون ان يدعوا للعواطف طريقاً للتغلغل الى محصهم وفحصهم .

يقول ياقوت الحموي في وصف الخراسانيين : وكان محمد بن علي بن

عبدالله بن العباس قال لدعاته حين أراد توجيههم الى الامصار : اما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي وولده ، والبصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة واعراب كاعلاج ، ومسلمون اخلاقهم كاخلاق النصارى ، واما الشام فليس يعرفون الا آل ابي سفيان وطاعة بني مروان ، عداوة راسخة ، وجهل متراكم ، واما مكة والمدينة فغلب عليها ابو بكر وعمر ، ولكن عليكم بأهل خراسان ، فان هناك العدد الكثير ، والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة ، وقلوب فارغة لم تتقسمها الاهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدم عليها فساد[١] .

فالمنطق والعقل والخبرة والتجربة ، كان في نسبة جد كبيرة عند الخراسانيين ولذلك كان عدد النبغاء منهم في مختلف العلوم والفنون الاسلامية ، وغير الاسلامية وحتى في النحو واللغة العربية وآدابها وفي الفقه والحديث والتفسير كبيراً جداً مما سنشير إليه اشارة عابرة .

« قال عبدالله بن احمد بن حنبل : قلت لأبي : يا أبت ما الحُفّاظ ؟ قال يا بني شباب كانوا عندنا من أهل خراسان وقد تفرقوا ، قلت : ومن هم يا ابت ؟ قال : محمد بن اسماعيل ذاك البخاري ، وعبيد الله بن عبد الكريم ذاك الرازي ، وعبدالله بن عبدالرحمن ذاك السمرقندي ، والحسن بن شجاع ذاك البلخي »[٢] وما عدا (الرازي) فان الحفاظ كلهم خراسانيون عند الذين يخرجون الري من اقليم خراسان ، وقد كان الحسن بن شجاع البلخي اجمعهم للابواب على ما روى احمد بن حنبل ،

وقد لطّفت الأديان من الخراسانيين أمزجتهم ، وهذّبت منهم نفوسهم ، وصقلت أفكارهم ، ووسّعت دائرة عقولهم ، ووضعتهم في المكان اللائق بهم ، وطبعتهم لحد كبير على حب الحرية ، والتمسك باذيالها تمسكاً استلفت انظار الكثير من المؤرخين ومؤرخي الاسلام والعرب خاصة .

---

(١) معجم البلدان — مادة خراسان . (٢) معجم البلدان — مادة بلخ .

يقول زكريا بن محمد عن أهل خراسان :

« خراسان من احسن أرض الله واعمرها ، واكثرها خيراً ، وأهلها احسن الناس صورة ، واكملهم عقلاً ، واقومهم طبعاً »[١] .

وقد وجد الاسلام في خراسان بناء على ما مرّ أرضاً خصبة ، ونفوساً جاهزة لتلقي تعاليمه بالقبول ، وعقولاً تهضم المنطق والمناقشة ، فكانت النتيجة أن سجل التاريخ الاسلامي للخراسانيين صفحات مشرقة ، فقد تمشت التعاليم الاسلامية وأهدافها وفلسفتها مع ما جبل عليه الخراسانيون من امعان النظر في الكون ، والتأمل في الحياة وأسرارها ، وكان للقرآن اثره في نفوسهم من قوله :

« أفلمْ ينظروا الى السماءِ فَوْقَهم كيف بنيناها وزيّناها ، ومالها من فُروج ، والأرضَ مَدَدْناها وألقينا فيها رواسيَ وأنْبتَنا فيها من كل زوجٍ بهيج تَبصرةً وذكرى لِكلّ عبدٍ منيب » .

وفي قوله :

« ومن آياته خَلْقُ السمواتِ والارضِ ، واختلافُ ألسنتِكم وألوانِكم ، إنّ في ذلك لآياتٍ للعالمين » .

ولعل للمنطق العلمي والعقل الذي دعا اليه الاسلام والادب الذي حث الاسلام على التحلي به وجهاً آخر من وجوه الجاذبية في اقبال الخراسانيين على الاسلام وايمانهم ايماناً خالصاً في قوله تعالى :

واجهة مقبرة الغزالي بطوس في اثناء تعميرها



---

(١) آثار البلاد واخبار العباد ص ٣٦١ مط صادر ودار بيروت .

« أدعُ الى سبيلِ ربّكَ بالحكمةِ والموْعظةِ الحَسَنةِ وجادلْهُم بالّتي هي أحسن ، إنّ ربك هو أعْلَمُ بمن ضَلَّ عن سبيلهِ وهو أعلمُ بالمهتدين » .

ولربما كان للحرية الفكرية والدينية الّتي عرف بها الاسلام في دعوته شأن آخر في انجذاب الخراسانيين الذين كانوا يعطون الحرية المقام الاسمى من نفوسهم كما يدل عليه تاريخهم القديم وما كان للتعاليم من أثر عليهم ، نقول لربما كان لهذه الحرية الّتي جبلوا عليها من عهد طهمورث ، اثرها البليغ في انجذابهم الى الاسلام فاقبلوا عليه بلهفة وشوق منجذبين بقوله تعالى :

« يا أيُها الذينَ آمنوا عَليكم أنْفُسكُمْ لا يَضرُكُمْ من ضَلَّ اذا اهتدَيْتُم الى اللهِ مرجعُكمْ جميعاً فَيُنبّئكُمْ بما كنتم تعملون » .

وفي قوله :

« لا اكراهَ في الدين قد تبينَ الرُشدُ من الغيّ » .

وقوله تعالى :

« قُلْ يا أيها الناسُ قد جاء الحقُ من رَبّكُم فمن اهتدى فانما يهتدي لِنَفْسهِ ومن ضلَّ فانما يَضّل عليها وما انا عليكم بوَكيل » .

وقوله تعالى :

« يا أيُها الناسُ إنّا خلقناكُم من ذَكرٍ وأُنْثى وَجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لِتَعارفوا ان أكْرَمَكُم عندَ اللهِ أتقاكُم ان الله عليمٌ خبير » .

وقوله تعالى :

« من كَفرَ فَعليهِ كُفْرهُ ومن عَمِلَ صَالحاً فَلانْفُسِهم يَمهَدُون » .

أجل لقد كانت الاديان القديمة على ما كان يعتور أسسها من علل وكان الدين الاسلامي الواسع في أهدافه الاجتماعية ومغازيه عاملاً من أهم عوامل الحضارة ، وقد افادت منه خراسان في تنمية مواهبها الروحية

ووضعت كل امكانياتها وبما في قلوبها من رغبة خالصة تحت تصرف الاسلام ، واخلصت في المحبة والطاعة لمن توسمت فيه الايمان بالاسلام ومبادئه من الامراء والقواد والعمال ،

كان الفضل بن عياض من أهل مرو ومن مواليد القرن الثاني وقيل بل كان من أهل سمرقند وكان من قطاع الطرق ومن المعروفين بالشرور والقساوة وقد سمع احداً يقرأ الآية الكريمة : « ألمْ يَأنَ للذينَ آمنوا ان تخشعَ قلوبُهم لِذكرِ الله » وما كاد يعرف معناها حتى انجذب وتاب الى الله واصبح من الصالحين [1] .

وقد جاء عن أهل خراسان انهم لم يحبوا اميراً قط حبهم لسلم بن زياد لما ظهر عليه اول الأمر من الصلاح فسمي في تلك السنين التي كان بها سلم اميراً على خراسان اكثر من عشرين الف مولود باسم (سلم) لفرط حبهم له [2] ، ولقد بلغ من حب الخراسانيين لسلم أن أخذ سلم منهم البيعة على الرضا ، حين وصل الى خراسان خبر موت يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد الى أن يستقيم أمر الناس على خليفة وقد مكثوا شهرين ينتظرون حتى رأوا من سلم ما لا يتفق وتعاليم الاسلام فاعرضوا عنه ونكثوا البيعة [3] ولم يعد لسلم ذلك المقام ، فكان ان أحبوه يوم توسموا فيه مثال المسلم الذي يدعو اليه الاسلام ، وكرهوه يوم رأوه نقيض ذلك ، وبهذه الروح استقبلوا اشرس بن عبدالله السلمي عامل هشام بن عبدالملك على خراسان حتى لقد كبّر الناس فرحاً به لما بدت عليه من مظاهر التقوى ثم لقبّوه (بجغر) وانكروه حين ساءت فعاله ،

ويروي لنا التاريخ الشيء الكثير عن قصة الاسلام ومقام المسلمين

---

(١) زينة المجالس — من مخطوطات مكتبة خراسان بالفارسية ص . (٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٢١ مط الاستقامة . (٣) المصدر المتقدم .

الأتقياء عند الخراسانيين ، عمالاً كانوا اوقواداً او عرباً مواطنهن ، فقد فهم الخراسانيون الاسلام فهماً صحيحاً وتوقعوا في تعاليمه تغييراً جوهرياً في النفوس والحياة العامة .

يقول ياقوت الحموي عن أهل خراسان : « ثم اتى الاسلام فكانوا فيه أحسن الامم رغبة ، وأشدّهم اليه مسارعة ، منّاً من الله عليهم ، وتفضلاً لهم ، فاسلموا طوعاً ، ودخلوا فيه سلماً ، وصالحوا عن بلادهم صلحاً » .

ولقد تبوأ غير واحد من الخراسانيين مقام الزعامة الروحية والامامة في الفقه الاسلامي والتشريع .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لما مات العبادلة : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، صار الفقه في جميع البلدان الى الموالي ، فصار فقيه أهل مكة : عطاء بن أبي رباح ، وفقيه أهل اليمن طاووس ، وفقيه أهل اليمامة : يحي بن أبي كثير ، وفقيه أهل البصرة : الحسن البصري ، وفقيه أهل الكوفة : النخعي ، وفقيه أهل الشام : مكحول ، وفقيه اهل خراسان : عطاء الخراساني [1] وقد أطرى عطاء كبار ائمة المسلمين امثال : احمد بن حنبل ، ويعقوب بن شيبة ، وروى عنه مالك بن انس وغيره .

وكثير غير عطاء الخراساني الذين تبوأوا مقام الامامة العامة في الفقه والحديث من أهل خراسان ليس في خراسان وحدها وانما في العالم الاسلامي ، اجمع كالامام احمد بن حنبل ، والجويني امام الحرمين ، ومحمد بن اسماعيل البخاري ، والشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بشيخ الطائفة ، فازدهرت في خراسان حضارة روحية اجتماعية بسبب تفاعل جميع الأديان وبسبب تعاليم الدين الاسلامي خاصّة .

---

(١) معجم البلدان – مادة خراسان – مط صادر ودار بيروت .

الجند والحروب

والجيوش والحروب عامل آخر من عوامل الحضارة الخراسانية ، فقد فرض موقع خراسان الاستراتيجي ، وفرضت ثروة خراسان الطبيعية وغناها أن تكون مطمح انظار الترك في الشمال الذين طالما أعدّوا عدتهم لغزوها والاستيلاء على ثروتها كما جعلها مطمح انظار ملوك ايران انفسهم وسبب خصوماتهم للاحتفاظ بها كجزء من اهم اجزاء إيران لاستغلالها في شد ازر دولتهم ودعم سلطنتهم سواء الميديين او الفرس او الخراسانيين انفسهم ، او الشعوب الآرية الاخرى ، وقد ساعد مثل هذا التنازع وبذل المجهود للاحتفاظ بها على قيام حرب متواصلة إذا خمدت نارها في جهة شبت من جديد في جهات أخرى مما استدعى ان تكون الجيوش الخراسانية على اهبة الاستعداد في جميع الاوقات ، وان يكون للشجاعة والفروسية والبطولة شأن كبير عند الخراسانيين ، فكان الخراسانيون يعلمون اولادهم فنون الحرب وخوض غمارها منذ الصغر ، ثم ان التزام كثير من ملوك ايران القدماء بالاقامة في خراسان وعلى حدودها الشمالية خاصة على رأس جيش مستعد متيقظ وبناء العشرات من القلاع والصروح قد جعل الجيش الخراساني معتزاً بنفسه ، مفتخراً بقوته ، فلا يدخل الميدان الا وهو واثق من قدرته على الظفر وكسب الحرب ، معتقد بأنه قوة لن تغلب وقد كان السلاح لا يكاد يفارق الخراساني في روحاته وغدواته ،

وقد جاء على لسان ياقوت عن اهل (سجستان) وهي احدى معاقل الجيش المعروفة بخراسان قوله في وصف أهلها :

« إن في رجالهم عظم خلق وجلادة ، وهم يمشون في أسواقهم وبأيديهم سيوف مشهورة » .

وبقيت لخراسان هذه المزية طوال العهود القديمة ، يقول المسعودي عن نظام اردشير انه جعل (الاصبهبذيين) ـ والاصبهبذ هو المعروف اليوم

(بالسپهبد) ومعناه القائد الكبير — أربعة : الأول بخراسان ، والثاني بالمغرب ، والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشام[١] .

ولقد بلغت الجيوش الخراسانية من القوة لخوضها الواناً من الحروب ان غررت بالكثير من الملوك بأن يتجاوزوا الحدود في طموحهم والاندفاع لبسط نفوذهم على اكبر منطقة من الدنيا كما فعل (كيكاووس) الذي ساق جيشه من (بلخ) لغزو اليمن !!

وسأل الحجاج ابن القرية عن بعض المدن فقال عن خراسان : « ماؤها جامد ، وعدوها جاهد وبأسهم شديد ، وشرهم عنيد »[٢] .

والاعتزاز بالقوة عند الخراسانيين قديم جداً ويرجع الى ابعد مدى في التاريخ بل ان الايرانيين جميعاً كانوا يفخرون بابطالهم ويروون مختلف القصص الغريبة عن شجاعتهم في كتبهم واسمارهم وقد حظي (رستم) الذي ظهر في أيام (كيقباد) وحظي ابوه (زال) الذي كان في أيام منوچهر بالشيء الكثير من الاساطير والقصص التي تتحدث عن تلك البطولة ، وقد وجدت لرستم صور منقوشة على الصخور تحكي جانباً من بعض قصص بطولته وشجاعته ، ورستم هذا خراساني من (زابلستان) ولم يزل اسمه لليوم رمزاً للقوة والشجاعة والبطولـــة في تاريخ ايران الأسطوري القديم .

وكان وجود الخيل في خراسان باعتبارها اول بقعة عرفت بتربية الخيول والتي انتقلت منها الخيول الى سائر جهات العالم[٣] . عاملاً من عوامل تشجيع الفروسية ، والحرب ، وقد قيل ان الملك (افراسياب) كان اول من ابتدع استعمال الحبال التي يلقونها من فوق ظهور الخيل على الاعداء ويلفونهم بها نظير الشباك التي يستعملها فرسان (المكسيك) كما

---

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١٥٢ مط البهية بمصر . (٢) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٩٢ مط ليدن . (٣) العصور القديمة ص ١٣٤ مط الجامعة الاميركية .

قيل : ان (افراسياب) كان اول من ابتدع السهام والنبال [١] .

وكان الملوك خاصة يعنون بتنشئة اولادهم تنشئة عسكرية ويعلمونهم منذ الصغر الفروسية واستعمال الاسلحة ليخلقوا منهم ابطالاً يقودون الصفوف ويدخلون ميادين الحروب وهم اكفاء [٢] .

ويروي العرب في تاريخهم الشيء الكثير عن بطولة الجيش الخراساني وشجاعته واهميته في ميادين الحرب ، وقد أفاد الاسلام والدول الاسلامية من الجيش الخراساني ما امتلأت بذكره صفحات كبيرة من تاريخ العرب والاسلام ، حتّى لقد جاء ذكر الجيش الخراساني بما يشبه التقديس واضفى عليه الشيء الكثير من التجلّة الروحية .

ولضمان التغلب على الخوارج الذين ضايقوا الدولة بحربهم وشجاعتهم اعتمد ابو العباس السفاح الخراسانيين في حربهم وأرسل خازم بن خزيمة الى (عُمان) لمحاربتهم فكان جيش خازم مؤلفاً من الخراسانيين ومن أهل (مرو الروذ) خاصة ، وانضم اليهم في البصرة بعض بني تميم ، وقد قتل خازم في هذه الحرب من الخوارج نحو عشرة الاف محارب وعاد منتصراً ، فقد روي عن شريك بن عبد الله انه قال :

« خراسان كنانة الله إذا غضب على قوم رماهم بهم » [٣] .

وفي رواية أخرى :

« ما خرجت من خراسان راية في جاهلية واسلام فردت حتّى تبلغ منتهاها » [٤]

وعن شكيمة الجيش الخراساني وقوته ، وشدة بأسه قال ابن قتيبة :

---

(١) غرر اخبار ملوك الفرس — الثعالبي مترجم الى الفارسية ص ٥٦ مط المجلس . (٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٢٤٥ مط صادر ودار بيروت . (٣) معجم البلدان — مادة خراسان مط صادر ودار بيروت . (٤) المصدر المتقدم .

« أهل خراسان أهلُ الدعوة ، وانصار الدولة ، ولم يزالوا في اكثر ملك العجم لقاحاً لا يؤدون الى احد أتاوة ، ولا خراجاً »[١] .

وقد وصفهم ياقوت الحموي على لسان محمد بن علي بن عبدالله بن العباسُ قائلاً :

« ... وهم جند لهم ابدان ، واجسام ، ومناكب ، وكواهل ، وهامات ، ولحى ، وشوارب ، وأصوات هائلة ، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة » .

وفي قول قحطبة [٢] لاهل خراسان شيء مما يتصف به جيوش خراسان في قوة البأس والشجاعة والبطولة التي عرفها لهم التاريخ منذ اقدم العهود ، فقد قال قحطبة لاهل خراسان :

قال لي محمد بن علي بن عبدالله : أبى الله ان تكون شيعتنا الا أهل خراسان لا نُنْصَرُ الا بهم ، ولا ينصرون الابنا ، انه يخرج من خراسان سبعون الف سيف مشهور ، قلوبهم كزبر الحديد ، اسماؤهم الكنى ، وانسابهم القرى ، يطيلون شعورهم كالغيلان ، جعابهم تضرب كعابهم ، يطوون ملك بني امية طيا ، ويزفون الملك الينا زفاً .

وعلى اننا نفهم من قول قحطبة لاهل خراسان انه يريد تحفيزهم ، واثارة النخوة فيهم بهذا القول ، ولكن قحطبة لم يتجاوز الحق في وصف اهل خراسان وجيشهم ، فقد كانت الجيوش الخراسانية في جميع العهود من القوة بحيث اخضعت كثيراً من البلدان داخل ايران وخارجها ، وفي القصص

---

(١) المصدر المتقدم . (٢) قحطبة بن شبيب الطائي : قائد شجاع من ذوي الرأي والشأن ، صحب ابا مسلم الخراساني وناصره في اقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وكان احد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي ممن استجاب له في خراسان سنة ١٠٣ ﻫ وقاد جيوش ابي مسلم ، وكان مظفراً في جميع وقائعه ، غرق في الفرات على اثر وقعة له مع ابن هبيرة ، من الاعلام – الزركلي منقولا عن نهاية الارب ص ٣٢٠ ..

القديمة سرد لكيفية سير رستم بجيش من سجستان الى اليمن وهي بمثل تلك المسافة من البعد عن خراسان لتخليص كيكاووس الملك من اسر (ذي الأذعار) ملك اليمن [١] الى غير ذلك من القصص المروية عن الجيش الخراساني وشجاعته ونظامه داخل اقليم خراسان وداخل بلاد ايران وخارج الحدود الايرانية منذ اقدم العصور ، لذلك كثيراً ما استعملت الدول الاسلامية الجيوش الخراسانية واعدتها في حرب الصائفة ، وهي الغزوة التي يقوم بها المسلمون في الصيف .

يقول ابن الاثير في حوادث سنة ١٩١ : وفيها استعمل الرشيد على (الصائفة) هرثمة بن اعين في حرب الروم قبل ان يوليه خراسان وضم اليه ثلاثين الفاً من اهل خراسان .

وحين تولى فرخ الخادم بأمر الرشيد مهمة طرسوس سيّر الرشيد اليها جنداً من اهل خراسان ثلاثة آلاف [٢] .

قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك بن مروان – وكان عبد الملك يتوجس الخيفة من سجستان – أما اذا كان الفتق من سجستان فليس عليك منه بأس ، انما كنا نتخوف لو كان من خراسان [٣] .

قال ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور الاديب الشاعر المؤرخ : « وحُدثت ان المأمون وابا اسحق المعتصم وآخر من القواد – ذهب عني اسمه – اختلفوا في ذكر الشجعاء من القواد والجند والموالي ، فقال المأمون : ما في الدنيا احد اشجع من عجم اهل خراسان ، ولا اشد شوكة ، ولا اثقل وطأة على عدو » [٤] .

ومن لوازم الاهتمام بالجيش في العصور القديمة هي رعاية الخيل والسروج والركاب ، والاعنّة ، واستعمال انواع الاسلحة من السيوف ، والرماح ،

---

(١) الكامل في التاريخ – لابن الأثير ج ١ ص ٢٤٧ مط صادر . (٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٦ ص ٢٠٦ مط صادر ودار بيروت . (٣) ابن الأثير ج ٥ ص ٤٠٨ مط صادر ودار ببروت . (٤) كتاب اخبار بغداد ص ٨٠ مط الكوثري – طبعة اوروبية . .

والدروع ، والتروس ، والقسي ، والنبال ، والمبالغة في عمل هذه الاسلحة ، وصياغتها ، والتفنن في زينتها وهذا مما يستلزم اكتشاف الحديد والنحاس ، والذهب والفضة ، وفي (الافستا) اسماء كثير من الاسلحة القديمة ، والكثير منها مصنوع من الذهب ، واذا ما تحققنا من ذلك تحقق لدينا ان كثيراً من المعادن كانت معروفة عند الخراسانيين منذ القدم ، وان لوازم الحرب ، والتفنن في عملها وزينتها قد اوجدت في الخراسانيين ملكة أفادت منها الحضارة في شؤون مدنية متعــددة ، وان الدفاع عن المواقــع الاستراتيجية يستلزم المبالغة في هندسة القلاع ، وان مراعاة شؤون الدفاع مما يجعل للهندسة والتفنن في البناء والابتكار شأن في نواحي اخرى من العمران وبناء القصور والمعابد ، وتشييد البيوت ، ومراعاة مواقع المدن وهندستها .

والحضارة المستخلصة من نشأة الجيوش الخراسانية بعد ذلك هي النظام والطاعة ، وحب التفاني في سبيل البلاد ، وقد روى التاريخ حكايات كثيرة عن احتفاف الخراسانيين بملوكهم وتقديسهم لهم باعتبارهم رموزاً لعزة البلاد ، وعناوين لمجد السكان والمواطنين ، فكان لهذه الطاعة والانقياد للمــلوك وتقديسهم اياهم الاثر الكبير في توحيد الكلمة للدفاع عن بلادهم ، وغرس محبة الوطن في نفوسهم واسترخاص كل نفيس في سبيل اسعاد بلادهم والمحافظة عليه .

ذكر علي بن محمد بتسلسله عن الشعبي قال بعث علي (الامام امير المؤمنين) (ع)[1] بعدما رجع من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي الى خراسان فانتهى الى (ابرشهر) وقد كفروا وامتنعوا ، فقدم على علي فبعث خليد بن قرة اليربوعي فحاصر اهل (نيسابور) حتى صالحوه ، وصالحه اهل (.مرو) واصاب جاريتين من ابناء الملوك نزلتا بأمان فبعث بهما الى علي (ع) فعرض عليهما الاسلام وان يزوجهما ، قالتا زوجنا ابنيك فأبى ، فقال له بعض الدهاقين [1] :

---

(١) الدهاقين عند الفرس رؤساء الاقاليم وسراة القوم .

ادفعهما الي فانه كرامة تكرمني بها ، فدفعهما اليه فكانتا عنده ، يفرش لهما الديباج ، ويطعمهما في آنية الذهب ، ثم رجعنا الى خراسان[1] ولا شك ان فعل الدهقان هذا كان من قبيل الواجب الذي تفرضه عليه النشأة لاحترام مليكه واسرته ، وان الاسلام لا يمنعه من ذلك، وهو مما نشأت عليه خراسان، تخلقت به .

وقد جاء في الاساطير ان (زال) وهو البطل الايراني الشهير ووالد (رستم) الذي شغل من قصص البطولة في تاريخ ايران القديمة واساطيرها ، صفحات مطولة انه حين تعلق بحب ابنة أمير كابل لم يستطع ان يتزوجها الا بعد ان أمّن رضا الملك ، وبعد ان توسط له ابوه ، وهذا الأب هو الآخر من كبار الامراء بسجستان لا لشيء الا لأن الطاعة للملك فرض واجب حتى في الشؤون الخاصة وفي الزواج عند ابطال كزال وامثاله من القواد والامراء ، فكان لهذه الطاعة ، والشجاعة التي عرفت بها الجيوش الخراسانية ، وما كان يدخل على خراسان من انظمة جديدة واساليب في حياتهم من جراء الفتوحات التي يقوم بها الجيش الخراساني في ايران نفسها وخارج حدود ايران وما يدخل في حياة خراسان من تجديد بسبب الغنائم قد خلقت لاهل خراسان نهجاً حضارياً خاصاً يعود له الفضل في حب البلاد والتفاني في محبتها والاعتزاز بالنفس الذي تجلت به خراسان في مختلف الأدوار التاريخية وصار لوناً من الوانها اشارت اليه اساطير القرون القديمة في حكايات وقصص طويلة وايدته الآثار التي عثر عليها ، ولم يقتصر ذكره على التاريخ الايراني وانما اعطاه التاريخ اليوناني والتاريخ العربي الاسلامي اهمية جد كبيرة وحظي منه بعناية فائقة قلما حظي بها قطر من الاقطار الاسلامية العريقة .

---

(١) تاريخ الامم والملوك (الطبري) ج ٤ ص ٤٦ مط الاستقامة – القاهرة .

العلم والأدب

ومن ابرز معالم الحضارة في الشعوب هو العلم والادب والفن ، وقد دلّت التتبعات والبحوث التاريخية أن حظ خراسان من العلم والفن والأدب كان كبيراً وممتازاً ، وعلى ان اغلب الكتب والمخطوطات التي تتضمن تاريخ خراسان القديم قد ضاعت واصابها البلى فقد بقي منها حتى العصور الاسلامية الاولى ما يكفي للدلالة على ما كان للعلم والادب والفن من منزلة في هذه البلاد ، فقد احتفظت (مرو) بالكثير من الكتب القديمة وصارت فيها مكتبة من مخلفات الملوك الساسانيين واصبحت مرجعاً يرجع اليها المتتبعون والبحاثون في تاريخ ايران وتاريخ خراسان بصورة خاصة للوقوف على سير تلك العلوم والآداب والفنون وطبيعتها .

يحدثنا طيفور فيقول :

« قال يحي بن الحسن : اني بالرقّة بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بركة [1] إذ دعوتَ بغلام له فكلمته بالفارسية . فدخل العتّابي [2] — وكان حاضراً في كلامنا — فتكلم معي بالفارسية ، فقلت له : أبا عمرو ، مالك وهذه الرطانة ؟ قال : فقال لي : قدمت بلدتكم هذه — يريد بها خراسان — ثلاث قدَمات ، وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو — وكانت الكتب قد سقطت الى ما هناك مع يزدجرد فهي قائمة الى الساعة — فقال كتبت منها حاجتي ثم قدمت (نيسابور) وجزتها بعشر فراسخ الى قرية يقال لها (ذوَدَرْ) فذكرت كتاباً لم أقض حاجتي منه فرجعت الى (مرو) فاقمت اشهراً . قال : قلت : أبا عمرو لِمَ كتبت كتب العجم ؟ فقال لي : وهل المعاني الا

(١) كان ذلك في اوائل القرن الثالث الهجري . (٢) العتابي ابو عمرو كلثوم بن عمرو بن ايوب الشامي كاتب شاعر بليغ ومتتبع ومترسل مطبوع ، حكي عن المفضل قال رأيت العتابي جالساً بين يدي المأمون وقد أسن فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون فما زال ينهضه رويداً رويداً حتى أقله فنهض ،

في كتب العجم ؟ والبلاغة لنا ، والمعـــاني لهم ، ثم كان يذاكرني ويحدثني بالفارسية كثيراً »[١] .

وفضلاً عن هذه الكتب التي بقيت محفوظة في خراسان والتي كانت تحوي شيئاً من العلوم الفارسية في خراسان ، فقد ظلت بيئة خراسان وطابعها الأدبي حتى سنين عدة من العصور الاسلامية تنم عن منزلة العلم والادب الخراساني .

---

(١) طيفور – الجزء السادس من تاريخ بغداد ص ١٥٧ – ١٥٨ اخرجه احمد امين في (ضحى الاسلام) ج ١ ص ١٨٠ مط الاعتماد .

ضريح الفردوسي بطوس وهو من تعمير محمد رضا شاه



يقول ياقوت الحموي عن الخراسانيين : « فاما العلم فهم فرسانه وساداته واعيانه » .

وقد اورد الحموي اسماء المكتبات وخزائن الكتب التي تحتوي على عشرات الآلاف من المجلدات مما رآها بنفسه وافاد منها في خراسان والتي سنشير اليها عند استعراضنا لاشهر مدن خراسان التاريخية في الجزء الثاني من قسم خراسان .

يقول احمد امين « ان كثيراً من الشعراء والادباء من العرب كانوا ينزلون فارس او العراق ، ويخالطون اهله ، ويرون مدنيّته فيكون لها الاثر في شاعريتهم ، وكان ينزل بخراسان نهار بن توسعة ، وثابت قطنة ، وابن مفرغ الحميري ، والمغيرة بن جبناء وغيرهم ، ولا يخفى ما للبيئة من تأثير في النفس والخيال » [1] .

وكانت هذه البيئة العلمية والادبية الخراسانية التي عرفناها في العصر الاسلامي الاول امتداداً لبيئة علمية أدبية قديمة لم يستطع التاريخ ان يحدّد زمنها لقدمها ، وقد مرّ كيف ان مناقشة علمية جرت بمحضر (كشتاسب) ملك خراسان حول مذهب زردشت ، وكيف نوقش زردشت في هذا المحفل مما يدل على ان عقلية خراسان كانت عقلية علمية .

ومن اقدم ما لدينا اليوم من الكتب التي توضح مقام العلم والفلسفة والأدب الفارسي القديم هو (الافيستا) الذي انتهت الدراسة فيه الى ان هناك كان شعراً منظوماً ، وكانت اناشيد ، وكانت اغاني ، فقد قام في القرن التاسع عشر عدد من العلماء مثل (وستركارد) و (وستفال) و (هرمن تريل) ، وكان (اورل ماير) و (كولدنر) قد اكتشفا قواعد النظم في الشعر الوارد في (الافيستا) فوجدا ان عدداً من اقسام (الافستا) تصور

---

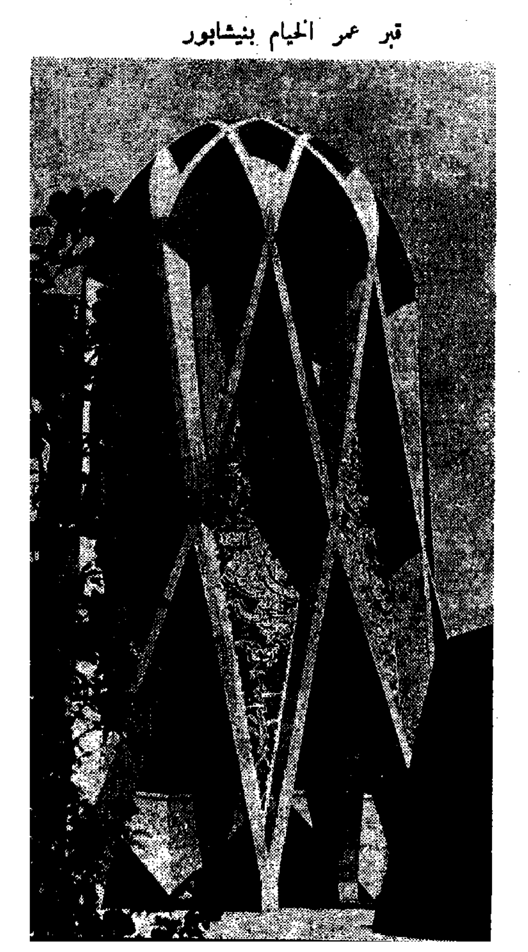
(١) فجر الاسلام ج ١ ص ١٣٨ ط ٢ مط الاعتماد بمصر .

جانباً كبيراً من العلم والفلسفة ، كما تصور جانباً من الشعر المنظوم في الاناشيد والاوراد من قسم (يسنا) [1] .

ولما كانت (الافستا) قد انتشرت اول ما انتشرت في خراسان فان من المحقق انها جاءت مسبوكة سبكاً يتناسب وعقلية المحيط وادراكه وطبيعة ادبه وفهمه الشعر والنشيد والغناء .

والمعروف ان الملوك الخراسانيين كانوا يؤدّبون اولادهم وينشّؤونهم تنشئة علمية ادبية اخلاقية الى جانب تعليمهم اساليب الحرب ليعدوهم اعداداً لائقاً لتولي الحكم . وقد اورد ابن الأثير عن نشأة (سياوخش) بن كيكاووس من الاسرة الكيانية القديمة . ان الملك كيكاووس الذي كان يسكن (بلخ) قد ضمّ ابنه (سياوخش) الى (رستم) وكان رستم هذا اصبهبذ (سجستان) وما يليها ، اي القائد الاعلى لكي يربيه ، فاحسن رستم تربيته ، وعلمه العلوم والفروسية والآداب ، وما يحتاج الملوك اليه ، فلما كمل ما اراد ، حمله الى ابيه ، فلما رآه سُرّ به صورة ومعنى [2] .

قبر عمر الخيام بنيشابور



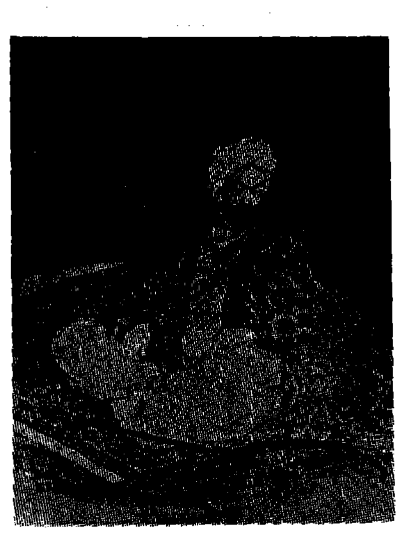
وكان هذا البروز بالعلم والادب والفن في خراسان نتيجة لانصهار عدة حضارات في بوتقة الشعب الايراني خصوصاً حين توحدت البلاد الايرانية في عصر كورش ، وكان من جراء ذلك ان توسعت رقعة ايران بسبب اشتباك الهاخمنشيين بالحرب مع امم متحضرة كبيرة

---

(١) ما الذي اخذ الشعر الفارسي من العربية ص ٣١٣ الجامعة اللبنانية . (٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٢٤٥ مط صادر ودار بيروت .

كالبابليين ، والمصريين ، واليونانيين ، وقد قبست خراسان في عهد الهاخمنشيين خاصة شيئاً كثيراً من هذه الحضارات ، كما اصبحت من المراكز الايرانية الي التقت فيها الثقافة اليونانية والهندية لا سيما في الايام التي كان يحكم ايران امراء الاغريق بعد فتح الاسكندر كامارة (باكتريان) [١] .

اما في عصر الاشكانيين الذي تلا عهد الاغريق فقد تأثر الفن الايراني وحضارته بالفن الصيني فكانت خراسان هي الباب لتسرّب هذه الحضارة والفن من الصين والهند الى ايران لمجاورتها للصين والهند .



الرودكي تصميم الاستاذ حسين بهزاد

ولهذه الاسباب والعوامل ساد خراسان جو علمي وادبي فني وجدت فيه الافكار العلمية الكثير مما تبتغي من الحرية التي ينشدها المفكرون لابداء الرأي والمناقشة والبعد عن التأثيرات العاطفية دون خذر ووجل وقد صارت هذه الحرية عاملا آخر لرواج العلم والادب وظلت خراسان متميزة بهذه الاجواء العلمية والادبية والحرية الفكرية حتى العصور الاسلامية .

يقول البرفسور . أ . نكلسون عن يحي بن خالد البرمكي وهو خراساني من (بلخ) .

« ان يحي امتاز بحكمته ونبل تفكيره ، واناقة لغته ، ومع انه كان يبتهج على سجيته الفارسية الصادقة بالمناقشات الفلسفية التي من اجلها اعتاد العلماء

---

(١) الفن في ايران – للدكتور علي اكبر فياض .

المتسمون بحرية التفكير ، والملحدون البارزون ان يلتقوا في غالب الاحيان في بيته فقد كان حذراً في مراعاته الخارجية للتقى »[١] .

ويرى المتتبع للتاريخ ان صفة العلم ظلت ملازمة لخراسان طوال العصور وان الاعزاز الذي كان يلقاه اهل العلم من الناس ومن خلفاء المسلمين وملوكهم كان بمثابة التأييد لالتصاق هذه الصفة صفة العلم بالخراسانيين وما عرفه به اهل خراسان من المكانة العلمية والاقبال على العلم والادب كطبيعة اختصت بها خراسان منذ اقدم العصور .

ذكر بعض المؤلفين : « ان هرون الرشيد قدم (الرقة) فاحتفل الناس خلف عبد الله بن المبارك[٢] وتقطعت النعال ، وارتفعت الغبرة ، فاشرفت ام ولد الرشيد من قصر الخشب ، فلما رأت الناس قالت : من هذا ؟ قالوا : عالم من خراسان يقال له عبد الله بن المبارك ، فقالت : هذا والله الملك ، لا هرون الرشيد الذي لا يجمع الناس الا بِشُرَطٍ واعوان »[٣] .

يقول الدكتور زكي محمد حسن في استعراضه لصناعة السجاد في ايران :

« ولا عجب في ان تكون خراسان مركزاً عظيماً من مراكز صناعة السجاد فقد كان هذا الاقليم في طليعة الاقاليم الايرانية في الأدب والسياسة والفن »[٤] .

---

(١) تاريخ الادب العباسي – ترجمة الدكتور صفاء خلوصي ص ٢٩ مط اسعد – بغداد . (٢) ولد عبد الله بن المبارك بمرو (خراسان) سنة ١١٨ هـ وكان من تابعي التابعين ، وكان عالماً عارفاً وزاهداً محدثاً ، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، وذكره ابن خلكان وقال : قد جمعت اخباره في جزئين ، وعن ابن عيينة قال نظرت في امر الصحابة وامر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلا الا بصحبتهم النبي (ص) وغزوهم معه ، ومات بهيت على الفرات ودفن بها . ملخص عن الكنى والالقاب . (٣) مجلة الاخاء العدد ٢٤ – ١٩٦٢ . (٤) الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ص ١٥٧ مط دار الكتب بمصر .

الغناء والموسيقى

وفن الغناء والموسيقى هو الآخر قديم في خراسان قدم العلم والادب ، ولكن ليس لدينا ما يمكن الوقوف على طبيعته غير تلك القصص والاساطير التي يصعب الركون اليها والتي يأتي حديث الغناء والرقص عرضاً فيها ، ومن استعراضنا لهذه القصص نرى ان خراسان ربما سبقت اقاليم ايران الاخرى في معرفتها للموسيقى والغناء بسبب ظهور الزردشية فيها قبل غيرها ، ولان خراسان كانت معروفة بجيشها المحارب القديم وابطالها ، وان الحروب والديانة الزردشية ذات اتصال كبير بالغناء والموسيقى .

وقد كتب المؤرخ الاغريقي الشهير (هيرودوس) يقول : « ان الموسيقى كانت تصاحب الاحتفالات الدينية في بلاد فارس ، وترافق المحاربين عند ذهابهم الى ساحات القتال » كما هي الحال اليوم في (المارشات) العسكرية

وفي هذه القصص التي خلفها لنا التاريخ ذكر لسبق خراسان للاقاليم الاخرى من ايران في ابتداع آلات الطرب . فقد روي عن (افراسياب) الملك انه كان يحب اللهو والرقص والغناء ، وانه هو الذي ابتدع الآلة الموسيقية (الهارب) المعروفة باسم (الچنك) عند الايرانيين ، وقيل انه هو الذي ابتدع (ترباب) [1] ولكن بعض المؤرخين يعتقدون ان (الچنك) لم يبلغ من القدم ما تشير اليه تلك الحكايات وانه من مبتدعات (باربذ) في العصر الساساني .

وان اول كتاب يمكن الركون اليه في دراسة الغناء والموسيقى الخراسانية هو كتاب (الافيستا) لزردشت الذي كشف علماء الاستشراق في القرن التاسع عشر هذا الجانب من الفن فيه فألفوا ان كثيراً من عباداته ، وادعيته مفروغ في قوالب شعرية واناشيد غنائية ، وكانت هذه الاناشيد تشتمل على ابيات ذوات اوزان مختلفة تعتبر من اقدم المنظوم والاغاني ، فكلمة (گـاه)

---

(١) غرر اخبار ملوك الفرس للثعالبي (بالفارسية) ص ٥٦ — مط المجلس — طهران .

كما يقول الاستاذ محمد بديع المستعملة اليوم بمعنى النشيد والنظم والتي نراها تشغل محلاً خاصاً في المقامات الموسيقية نحو سيگاه (سه‌گاه) وچهار گاه ، وما شاكلها مأخوذة من لفظ (گاس) البهلوية المشتقة من لفظة (گاتا) او (گاته) من لغة الفرس على ما يقول .

ومن المحقق ان هذه الاغاني والاناشيد التي وردت في (الافيستا) قد رتّلت — اول ما رتّلت — في خراسان ، وغنى بها الخراسانيون في معابدهم وبيوتهم قبل غيرهم ، ومع ذلك فان الغناء والموسيقى في خراسان كان كما هو في جميع انحاء ايران لم تسجل قواعده ولم تضبط اصوله ، ولم يبلغ ذروة الكمال الا في عهد الساسانيين ولا سيما في عهد كسرى ابرويز (خسرو پرويز) الذي كان بلاطه مجمعاً لاقطاب الموسيقيين والمغنين في ذلك العصر.

اما علاقة خراسان بهذه النهضة الموسيقية فهي ان احد المبتدعين الكبار وواضعي اصول الموسيقى وفنون الغناء ومقاماته ، وهو (باربد) كان خراسانياً ومن مدينة (مرو) ولو لم يكن لفن الغناء والموسيقى شأن كبير في اوساط خراسان وقيمة مشهودة لما اتيح لمثل (باربد) ان ينبغ ويبلغ القمة ويصبح من ابرز أئمة هذا الفن في العصور القديمة ، ولقد ساقه طموحه للسفر الى (طيسفون) عاصمة الساسانيين وادخلته شهرته بلاط كسرى ابرويز كمغن ، ثم ما لبث أن بزغ نجمه ، وبلغ اقصى حدود الشهرة ، ودلل على ان البيئة التي انحدر منها وهي خراسان كانت بيئة ذات اتصال وثيق بالغناء والموسيقى ، وفي العهود الاسلامية زاد يقين التاريخ بعراقة هذا الفن فيما اخرجت خراسان من نوابغ الموسيقيين كالفيلسوف ابي نصر الفارابي من ابنـــاء القرن الثالث الهجري وكشاعر ايران الكبير والموسيقار الخالد أبي عبد الله جعفر بن محمد الرودكي من ابناء القرن الرابع ، وكالرئيس ابن سينا من ابناء القرن الرابع وغيرهم الكثير الذين كان نبوغهم في الموسيقى امتداداً لنبوغ خراسان القديمة في هذا الفن ، مثلما كان العلم وكان الأدب .

وباربد المروزي الخراساني هو صاحب المقامات المعروفة ، وان الالحان التي تركها (باربد) تكاد لا تحصى ، واشهرها الالحان (الثلاثينية) المعادلة لايام الشهر ، وقد قيل انه نظم ولحن ٣٦٥ لحناً على عدد ايام السنة ، ولقد صارت لباربد منزلة كبيرة عند الملك خسرو بسبب نبوغه حتى لقد جبن المقرّبون ذات مرة ان ينقلوا للملك خبراً محزناً فتولى باربد نقله اليه عن طريق لحن ابتكره وغناه [1] .

اما الالحان الثلاثينية التي سجلها التاريخ لباربد فهي كما يلي :

١ – گنج باد آور (في وصف باخرة رومية اصطحبها القائد الايراني شهربراز الى سواحل مصر) . ٢ – گنج گاو . ٣ – گنج سوخته . ٤ – شادروان مرواريد . ٥ – تخت طاقديسي . ٦ – ناقوسي . ٧ – اورنگي . ٨ – حقه كاوس . ٩ – ماه بركوهان . ١٠ – مشك دانه . ١١ – آرايش خورشيد . ١٢ – نيمروز . ١٣ – سبز درسبز . ١٤ – قفل رومي . ١٥ – سروستان ماه . ١٦ – سيرو سهي . ١٧ – نوشين باده . ١٨ – رامش جان . ١٨ – نازنوروز ، (او ساز نوروز) . ٢٠ – مشكويه . ٢١ – مهرگاني . ٢٢ – مرواي نيك . ٢٣ – شبديز (وهو لحن في نعي فرَس أدهم لكسرى ابرويز) . ٢٤ – شب فرح . ٢٥ – شب فرح روز . ٢٦ – غنچه كبك دري . ٢٧ – نخجير گان . ٢٨ – كين سياوش . ٢٩ – كين ايرج . ٣٠ – باغ شيرين [2] .

وهناك انغام اخرى ينسب اكثرها لباربد على ما يروي الاستاذ محمد بديع مثل : باليزيان ، وسبزبهار ، وباغ سياوش ، وراه گل ، وشادباد ، وتخت اردشير ، ودل انگيز ، وچكاوك ، وخسرواني ، ونوروز بزرگ ، وكوچك وخارا ، وجامه دان ، ويزدان آفريده (وهو غناء ديني في وصف

---

(١) كارنامه بزرگان ايران (بالفارسية) ص ٧ – طهران .(٢) ان ورود بعض الكلمات العربية في اسماء الالحان كهذه ، فيه مما يستوجب التأمل في صحة التسمية – المؤلف .

الطبيعة واسرار الخليقة) . وپرتو فرخار . ولاسكويها .

ومن بين هذه الاسماء نجد اسم : چكاوك . وخسرواني . ونوروز ونوروز بزرك . ونوروز كوچك ، ونوروزخارا . وجامه دران . وزيرافكن لا تزال اسماؤها حتى اليوم باقية في قواعد الموسيقى الايرانية ومما لا ريب فيه أنه قد جرت تطورات كثيرة على هذه الألحان مع تطور العصور وتوالي الايام [1] .

والمقام المعروف بمقام (نيشابور) نسبة الى مدينة (نيشابور) بخراسان دليل آخر على قدم عهد خراسان بالموسيقى والغناء .

ويذكر ابن خرداد أن الايرانيين هم الذين اخترعوا العود ، والكنارة . وان الخراسانيين هم اول من استعملوا عوداً فيه سبعة اوتار وسموه بالزنج (الصنج) [2] . ومن الجائز ان تكون هنالك آلات موسيقية أخرى تسربت من خراسان الى سائر الجهات وان اصلها خراساني ومخترعهـا خراسانيون ، والمعروف ان اول عمل عمله الوليد بن يزيد بن عبد الملك هو انه كتب لعامله نصر بن سيار في خراسان يطلب منه أن يتخذ له برابط وطنابير . ولولا شهرة خراسان بهذه الآلات لما كتب لنصر في خراسان بذلك .

يقول حماد التركي : كنت واقفاً على رأس المنصور فسمع جلبة في الدار فقال ما هذا يا حمّاد انظر ؟ فذهبت فاذا خادم له قد جلس بين الجواري وهو يضرب لهن (بالطنبور) وهن يضحكن . فجئت فأخبرته فقال : واي شيء الطنبور ؟ فقلت خشبة من حالها وامرها ، ووصفتها له . فقال لي : أصبت صفته فما يدريك انت ما الطنبور ؟ قلت : رأيته بخراسان . قال نعم هنالك [3] .

---

(١) الموسيقى والغناء الايراني — اخرجه محمد بديع — مجلة الاخاء [illegible] (٢) موسيقى الفارسيه القديمة — عبد الجليل لباف (الاخاء) العدد ٣ . (٣) تاريخ [illegible] (الطبري) ج ٦ ص ٣٠٩ .

أفانين الصناعة

وفي العصور الاسلامية الاولى كانت افانين الصناعة الخراسانية في الصياغة والنسج والنحت والرسم والعمارة وسائر الفنون الاخرى موطن الاعجاب في مختلف الاقطار الاسلامية ولا ريب ان هذه البراعة التي استلفتت الانظار واثارت الاعجاب كانت احدى ثمار فنون قديمة هي خلاصة انصهار حضارات راقية في ايران عامة وفي خراسان خاصة .

يقول الدكتور زكي محمد حسن : « وانا اذا استثنينا الفن الاغريقي القديم لا نكاد نعرف اي فن آخر قدّر له ان يمتد امتداد الفن الايراني ، بل اننا نستطيع ان نقول في ثقة واطمئنان : انه ليس هناك فن عظيم لم يأخذ عن الفن الايراني شيئاً من زخارفه أو أساليبه ، فان الفن المصري القديم والفنون الإغريقية ، والرومانية ، والبيزنطية والصينية ، والهندية ، كلها مدينة للفن الإيراني ببعض اشكال التحف ، واساليب العمارة ، والزخرفة ، او اسرار الصناعات الفنية الدقيقة »[1] .

ولقد ساعد وجود بعض الأحجار الثمينة في خراسان على ان تكون للخراسانيين شهرة في صياغة التحف ، والابداع في صياغة الحلي قديماً وحديثاً ذلك لان نيسابور وخوارزم هما من اشهر مواطن الفيروزج في العالم ، والفيروزج النيسابوري هو اجود انواع الفيروزج في جميع مواطنه ، كذلك وجود بعض الاحجار الشفافة التي تشبه البلور البنفسجي في بعض جبال خراسان هو الآخر قد ساعد منذ القديم على عناية خراسان بصناعة التحف ، والمنقول ان كثيراً من الاواني والادوات المصنوعة من البلور الملون الذي احدى مواطن معادنه في العالم مدينة (طوس) قد قُدّمت الى اسكندر على سبيل الهدية ، فأمر بكسرها قائلاً : انني لا استطيع الاحتفاظ بهذه

(١) الفنون الايرانية في العصر الاسلامي – الدكتور زكي محمد حسن ص ١١ مط دار الكتب – القاهرة

النفائس لأنها لا تخلو من ان يكسرها الخدم في اثناء العناية بها فيخافون مني ويحزنون ، ويبلغني ذلك فأغضب عليهم ، لذلك أفضّل ان اتجنب إثـارة الخوف في نفوس خدمي واثارة الغضب عليهم في نفسي[1] .

ويظهر ان هنالك احجاراً منوعة اخرى في خراسان هي اشبه بالدّر والبلـّور الطبيعي الملون ، ومن كل هذا كانت خراسان تصنع انواع الحلي من الاقراط ، والقلائد ، والاساو ، ولا تزال حتى الآن تصنع من تلك الاحجار ومن حجر آخر رمادي اللون ، واسود ،انواعاً كثيرة من الحلي وادوات الزينة .

وفي كنز كاتدرائية (سان ماركو) بمدينة البندقية (سلطانية) من الزجاج الازرق الفيروزجي محفورة فيها كلمة (خراسان) ، وقوام زخرفتها رسوم ارانب محفورة ، وهي وان ارجع الخبراء تاريخها الى ما بعد القرن الثالث عشر الهجري ولكنها قد تعتبر ذات اتصال بالفن الخراساني القديم .

وان جميع ما عثر عليه من التحف المعدنية الايرانية بين القرنين الثالث والسادس الهجري قد عثر عليه في خراسان ، وهمدان ، والري ، وسمرقند على ما يقول الدكتور زكي محمد حسن .

كذلك فان وجود انواع من المرمر والصخور الخاصة قد ساعد الخراسانيين على ان يتفننوا في تقطيعه ونحته وحفره وعمل الاباريق والاواني والظروف الصخرية منه فضلاً عن استعمال تلك الصخور والأحجار في بناء العمارات وتزيينها وهندستها ، وان معرفة خراسان للذهب والفضة والنحاس من قديم الزمان كما اشرنا اليه قبلاً هو الآخر كان عاملاً من عوامل ازدهار الحضارة من حيث الفن ، فقد دلت الصناعة الخراسانية في عهد السامانيين والسلجوقيين على وجود علاقة فنية بالماضي القديم ، يؤكدها الدكتور زكي محمد حسن في قوله :

(١) عرايس الجواهر ونفايس الاطايب ص ١٤٢ مط بهمن .

« ان خراسان كانت في عصر الدولة السامانيـــة في القرن الثالث مركزاً عظيماً لا نتاج التحف والاواني من البرنز وتزيينها بالزخارف الايرانية القديمة » .

ويضيف قائلاً : « ونحن نعرف في بعض المتاحف والمجموعات الاثرية الخاصة عدداً كبيراً من التحف المعدنية لا تزال عليها زخارف من الطرز التي سبقت العصر الاسلامي » . فالذهب والاحجار الكريمـــة ، والفيروز ، ووجود مختلف الادوية في خراسان[٢] قد ساعدت كثيراً في نمو الصناعة والتفنن فيها .

اما النسيج فقد كانت صناعته المتفوقة معروفة في خراسان منذ العهود القديمة وتعتبر جودتها في العصور الاسلامية وازدهارها نتيجة تطور هـــذه الصناعة في التاريخ البعيد . ولقد كان لملوك ايران والملوك الذين سكنوا خراسان ألبسة خاصة وتخوت للعروش خاصة ، كثيراً ما جاء وصفها ووصف ازيائها في كتب القصص القديمة ولا ريب انها كانت تنسج وتوشى في خراســـان وتصنع التخوت وتزخرف بالذهب في خراسان ايضاً . وقد جاء في كتاب (الفنون الايرانية) : ان الاقاليم الشرقية في ايران (المقصود بها خراسان) كانت اكثر الدولة ازدهاراً في عصر بني تيمور ، وزاد ما كان لخراسان من شأن عظيم في صناعة النسيج ، واصبحت سمرقند ، وهراة ، في عصر تيمور وخلفائه مركزاً عظيماً لنسج الأقمشة النفيسة التي كان الام‍[illegible] وكبار رجال الدولة يلبسونها ويتخذون منها افخر الستائر والفرش والوسائد ، وكل هذا يدل على ان الصناعة وفنونها لم تكن حديثـــة وجديدة في خراسان ، وحتى السجاد الخراساني الذي لم يعرف الا في العصور الاخيرة ربما كان بعض صناعته

---

(١) الفنون الايرانية في العصر الاسلامي – ص ٢٢ معد دار الكتب المصرية – القاهرة .

(٢) حدود العالم من المشرق الى المغرب ص ٨٨ من مؤلفات القرن الرابع تحقيق الدكتور منوچهر ستوده معد دانشكاه طهران .

وليدة طرائق قديمة في النسج . وان هـذه المنسوجات المعروفة (بالبَرك) والمنسوجة من وَبَر الابل ، والمنتشرة اليوم هي احدى الصناعات الخراسانية القديمة التي لا يستطيع الباحثون تعيين عهدها الاول . وكل ما طرأ عليها فهو التطور الذي تناول طريقة نسجها .

* * *

كل هذه العوامل من كتابة وخط ، وديانات ، وعلم ، وأدب ، وفن وصناعة ، وحروب . وموقع استراتيجي قد اكسبت خراسان على مرور الزمن لوناً بهيجاً من حضارة متنوعة الجوانب في صورها والوانها . وحين دخل الاسلام الى خراسان . وانصبت تعاليمه فيها تحولت هذه الحضارة العميقة الى حضارة اسلامية حكتها المئات من اعلام التاريخ الخراسانيين وصورتها المئات من الكتب التي خلفها الخراسانيون في مختلف الفروع ، والمئات من الآثار الفنية الخالدة ، وكما امتازت خراسان بحضارتها في العصور ما قبل الاسلام فقد امتازت بهذه الحضارة في العصور الاسلامية . واضفى عليها الاسلام لوناً من الثقافة التي جعلت خراسان من اغلى واثمن الحظائر الاسلامية في جميع العهود .

وقلما حظي قطر من اقطار المسلمين بالثناء عليه ايماناً وتقوى . وشجاعة وبلوى ، وادباً وعلماً وحكمة ، وسائر الصفات التي تحلي الانسان كأنسان كما حظيت خراسان ، وقد قال ياقوت الحموي – وكان قد اسوطن خراسان زمناً وعاشر اهلها ، وخبر طبيعة بلدانها – قال :

« وقد طعن قوم في اهل خراسان وزعموا انهم بخلاء . وهو بهت لهم . ومن اين لغيرهم مثل البرامكة ، والقحاطبة ، والطاهرية ، والسامانية . وعلي بن هشام وغيرهم ممن لا نظير لهم في جميع الامم » [1] .

---

(١) معجم البلدان – مادة خراسان – مط صادر ودار بيروت .

انتهاء الحكم الساساني في إيران

حين اكتسحت الجيوش الاسلامية معظم البلاد الايرانية اتجه (يزدجرد) بن شهريار آخر ملوك ايران من السلالة الساسانية الى كرمان ومن هناك حشد الجيوش واتجه الى خراسان ومعه رهائن من الزعماء واولاد الدهاقين يريد ان يجمع في خراسان الجموع ويعود بها لمقاتلة المسلمين واخراجهم من ايران ، وكانت الدعوة الاسلامية قد سبقت الفتح الاسلامي للبلاد الايرانية وسبقت توغل جيوش المسلمين لايران والا لما اضطر الملك يزدجرد ان يصحب الرهائن معه من اولاد الدهاقين والرؤساء حذراً من انقلابهم عليه ، وقد سار بمن معه الى (مرو) ولكن (مرو) لم تجب دعوته فالتجأ الى خاقان ملك الترك على ما ذكر ياقوت [1] ولكن الطبري وابن الاثير يقولان انه دخل (مرو) ، والتجأ الى خاقان ملك الترك فيما وراء النهر ، وعبر معه ملك الترك يدعمه ويسنده في محاربة المسلمين ، ولما طالت الحرب بين الترك والمسلمين انسحب جيش الترك وعاد الى (بلخ) .

اما يزدجرد فقد جمع خزائنه التي كانت بمرو وكانت كبيرة عظيمة على ما يصف ابن الاثير — واراد ان يلحق بخاقان قال له اهل فارس : اي شيء تريد ان تصنع ، قال اريد اللحاق بخاقان ، فاكون معه او بالصين ، قالوا له : هذا رأي سوء ، ارجع بنا الى هؤلاء القوم — يعنون المسلمين — فنصالحهم فانهم اوفياء ، وهم اهل دين ، وان عدواً يلينا في بلادنا احب الينا مملكة من عدو يلينا في بلاده ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم ، فابى عليهم فقالوا : دع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا ، لا تخرجها من بلادنا فأبى فاعتزلوه وقاتلوه فهزموه واخذوا الخزائن واستولى عليها وانهزم منهم وعبر النهر ولحق بخاقان [2] .

---

(١) المصدر المتقدم . (٢) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٣ — ٣٧ مط صادر ودار بيروت .

ويقول الطبري : ومن بلاد الترك كان يزدجرد يكاتب اهل خراسان ، وفي زمن عثمان (رض) كفر اهل خراسان فعاد يزدجرد من بلاد الترك الى (مرو) ، وقد اختلف هناك هو ومن معه واهل خراسان فكان ان آوى الى طاحونة فقتلوه فيها [١] .

ويعود الطبري فيقول في مكان آخر : ان يزدجرد حين هرب من كرمان كانت معه جماعة يسيرة وجاء الى (مرو) فسأل مرزبانها مالاً ، فمنعه ، فخافوا على انفسهم فارسلوا الى الترك يستنصرونهم عليه فأتى الترك فبيتوه وقتلوا اصحابه وهرب يزدجرد حتى اتى منزل رجل ينقر الارحاء على شط (المرغاب) فأوى اليه ليلاً ، فلما نام قتله ، ثم يروي رواية اخرى ينفي فيها استعانة اهل مرو بالاتراك ويقول ان اهل (مرو) هم الذين قتلوا اصحابه وخرج هو منهم هارباً ومعه منطقته وسيفه وتاجه حتى انتهى الى منزل نقار على شط المرغاب ، فلما غفل يزدجرد قتله النقار واخذ متاعه والقى بجسده في شط المرغاب [٢] .

وقد انتهى بقتل يزدجرد آخر الملوك الذين حكموا ايران قبل الاسلام .

خراسان في عهد الخلفاء الراشدين

واختلف الرواة في تاريخ غزو المسلمين لخراسان فذهب بعضهم الى ان ذلك كان في السنة الثامنة عشرة من الهجرة وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فهو الذي انفذ الاحنف بن قيس فدخلها هذا وتملك مدنها وبدأ بالطبسين ، ثم هراة ، ومرو الشاهجان ، ونيسابور ، وقال بعضهم بل ان ذلك كان في زمن الخليفة عثمان بن عفان (رض) .

ويستبان من تتبع الاخبار ان خراسان بمجملها قد تلقت الدعوة الاسلامية

(١) تاريخ الامم والملوك (الطبري) ج ٣ ص ٢٤٨ – ٢٤٩ مط الاستقامة بمصر . (٢) الطبري ج ٣ ص ٣٤٢ مط الاستقامة بمصر .

بالقبول والايمان . وان كثيراً من مدنها قد دخل في الاسلام طوعاً او تلقى غزو المسلمين بالصلح ، وقد تحدث الكثير من المؤرخين عن اسلام خراسان ونوهوا به واعتبروه مثلاً طيباً حتى لقد كانت نظرة اهل (مرو) الى النبي محمد (ص) نظرة تجلة واحترام قبل ان يسلموا . ويستبان ذلك من تبادل الرسائل التي جرت بين مرزبان والاحنف الذي اقبل على محاربة (مرو) وحصارها ، يقول المرزبان في رسالته :

(... انه دعاني الى مصالحتك وموادعتك ما كان من اسلام جدي ، وما كان رأى من صاحبكم – يعني النبي محمداً (ص) – من الكرامة والمنزلة فمرحباً بكم وأبشروا وانا ادعوكم الى الصلح بيننا وبينكم .. الخ » [1] .

ويقول ياقوت وقد مرّ ذلك من قبل : « .. ثم اتى الاسلام فكانوا فيه – يعني الخراسانيين – أحسن الامم رغبة ، واشدهم اليه مسارعة ، منّاً من الله عليهم ، وفضلاً لهم . فاسلموا طوعاً . ودخلوا فيه سلماً . وصالحوا عن بلادهم صلحاً .. الخ » .

* * *

وفي سنة ٣٢ الهجرية وفي خلافة عثمان (ض) تم فتح (مروالروذ) و (طالقان) و (الجوزجان) و (طخارستان) من اعمال خراسان .

وفي سنة ٣٧ الهجرية بعث الامام علي (ع) بعدما رجع من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي عاملاً من لدنه على خراسان ، فانتهى الى (ابرشهر) فامتنعوا عليه فبعث بخليد بن قرة اليربوعي فحاصر اهل (نيسابور) فصالحوه وصالحه اهل (مرو) ، وقيل بل ان المبعوث كان خليد بن طريف .

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٣٥٥ مط الاستقامة بمصر .

في عهد بني أميــة

والى هنا كان لا يزال شمال خراسان وما وراء النهر من بلاد الترك لم يدخل الاسلام بعد ، وكان على البصرة والكوفة والمشرق وسجستان وفارس والسند ، والهند ، زياد بن ابيه عاملاً من قبل معاوية بن ابي سفيان واليه يعود تعيين العمال في تلك الجهات .

الحكم بن عمرو الغفاري

وكان اول عامل عينه زياد في خراسان على عهد بني امية هو الحكم بن عمرو الغفاري وكان ذلك سنة ٤٧ هـ فغزا الحكم جبال الغور وفراوندة وقهرهم بالسيف عنوة وفتحها واصاب فيها مغانم كبيرة . وكان اول من شرب من نهر جيحون مولى للحكم اغترف الماء بترسه وشرب ثم ناول الحكم المـاء فشرب الحكم وتوضأ به وصلى بالناس ، وقفل من غزوته هذه ومات بمرو ودفن بها ، وكان من خيار الناس عدلاً وتقى .

غالب الليثي – وخليد الحنفي

فوجه زياد غالب بن فضالة الليثي عاملاً من قبله على خراسان سنة ٤٨ هـ على ماروى البعض . ويرى البعض الآخر ان الحكم بن عمرو الغفاري قـد استخلف على عمله بعد موته انس بن ابي اياس وكتب بذلك الى زياد ، ولكن زياداً عزل أنساً وولى مكانه خليد بن عبدالله الحنفي شهراً واحداً ثم عزله .

ربيع الحارثي – عبد الله بن الربيع

وولى زياد بعد عزله خليد بن الحنفي:الربيع بن زياد الحارثي وذلك في اوائل سنة ٥١ هـ ففتح الربيع (بلخ) صلحاً . وفتح قهستان عنوة . وقتل الاتراك . ومات الربيع بن زياد الحارثي في سنة ٥٣ هـ بعد امارة دامت سنتين

واشهر واستخلف ابنه عبد الله بن الربيع فولي شهرين ثم مات هو الآخر بعد ان استخلف خليد بن عبدالله الحنفي .

عبيد الله بن زياد

وفي سنة ٥٣ هـ مات زياد في الكوفة بعد ان اتسعت منطقة اماراته وضمت اليه امارة الحجاز ، فقدم ابنه عبيد الله بن زياد وهو شاب في نحو الخامسة والعشرين الشام وكان ذلك في آخر سنة ٥٣ هـ وهو يطمع ان يوليه معاوية احدى الامارات ، فقال له معاوية : لو كان ابوك قد استعملك لاستعملتك انا ، فقال له عبيدالله : انشدك الله ان يقولها الي احد بعدك : لو ولاّك ابوك وعمك لوليتك ! ! ويبدو ان معاوية قد افحمه قول عبيد الله واعجبه فعهد اليه بامارة خراسان .

وعبيد الله هذا هو الذي تولى بعد ذلك امارة البصرة والكوفة وحارب الامام أبا عبدالله الحسين (ع) وقتله في عرصة كربلاء وحز رؤوس اصحابه وسبي عيالاته وبعث بالرؤوس والسبايا الى يزيد بن معاوية في الشام .

وقدم عبيدالله خراسان وقطع النهر الى جبال بخارى على الابل فكان اول من قطع جبال بخارى في جند ، وفتح بخارى ، وأقام بخراسان سنتين .

أسلم بن زرعة

وعهد بالامارة الى اسلم بن زرعة الكلابي فاقام بخراسان اميراً سنتين

سعيد بن عثمان

وفي سنة ٥٧ هـ عهد بالامارة الى سعيد بن عثمان بن عفان وقد قطع سعيد نهر جيحون الى سمر قند ، وقاتل اهل (الصغد) وصالحوه .

عبد الرحمن بن زياد

وفي سنة ٥٩ هـ وّلى معاوية بن ابي سفيان عبد الرحمن بن زياد بن ابيه خراسان ، وحين قدم خراسان اخذ اسلم بن زرعة امير خراسان الاسبق وحبسه واغرمه ٣٠٠ الف درهم ، وقد اقام سنتين اقاله بعد ذلك يزيد بن معاوية الذي ولي الخلافة بعد ابيه سنة ٦١ هـ ، وكان عبد الرحمن قد استخلف على خراسان قيس بن الهيثم بعد خروجه من خراسان .

سلم بن زياد

وفي سنة ٦١ هـ وّلى يزيد بن معاوية سلم بن زياد بن ابيه سجستان وخراسان معاً ، وكان على سجستان اخوه عبّاد بن زياد بن ابيه ، فاقاله سلم وعين محله أخاه الآخر يزيد بن زياد على سجستان ، وتجهز سلم بن زياد بعدة الاف من جيش البصرة وكان اخوه عبيدالله بن زياد يومذاك والياً على البصرة وخرج سلم بالجيش نحو خراسان ، وقبض على قيس بن الهيثم الذي كان قد استخلفه اخوه عبد الرحمن بن زياد حين خرج من خراسان وزجه في السجن .

عبد الله بن خازم

ولما مات يزيد بن معاوية ولحق به معاوية بن يزيد خرج سلم بن زياد من خراسان فاشلاً وقد وّلى بكل ناحية من خراسان اميراً وناطها بقبيلة من القبائل العربية فادى ذلك الى التنافس للاستيلاء على امارة خراسان واقتتلت الجيوش العربية ووقعت الحرب بين مضر ووائل ودامت سجالاً حتى سنة ٦٥ هـ . وقد اورد المؤرخون ان عدد القتلى من بكر بن وائل بلغ ثمانية آلاف في المعركة التي خاضها عبدالله بن خازم في سبيل الاستيثار بالحكم حتى خضعت له معظم القبائل واصبح اميراً على خراسان بعد قتال مرير بين بكر بن وائل ومضر وانصارهما ، وظل ابن خازم اميراً على خراسان نحو عشر سنوات .

وفي سنة ٦٥ كان الحجاز والعراق قد بايع عبدالله بن الزبير خليفة فايد عبدالله بن الزبير امارة عبدالله بن خازم على خراسان وكان الجو قد صفا لابن خازم بعد عدد من الحروب بين تميم وربيعة وصار لعبدالله بن خازم شأن كبير في خراسان بعد عدد من الغزوات والفتوحات بحيث ادى الى ان يكتب له عبدالملك ابن مروان في سنة ٧٢ هـ يمنّيه بامارة خراسان لمدة عشر سنوات بكل خراجها ومحصولها بغية استمالته اليه ونقضه لبيعة عبدالله بن الزبير فسخر ابن خازم بعبد الملك .

وتقول بعض الروايات إن ذلك كان في سنة ٧٣ هـ . وحين قتل عبدالله ابن الزبير بعث عبدالملك بن مروان برأسه الى عبدالله بن خازم بخراسان . على سبيل الشماتة فوضعه ابن خازم في طست وغسّاه . وحنّطه . وكفنه . وصلى عليه . وارسله الى آل الزبير بالمدينة لدفنه . وقال بعضهم ان الرأس كان لمصعب بن الزبير وليس لعبدالله ، وكان ابن خازم من اشهر شجعان العرب واهيبهم .

بكير بن وشاح

وللتنكيل بعبد الله بن خازم ارسل عبدالملك بن مروان الى بكير بن وشاح وكان بكير خليفة ابن خازم على مرو يمنّيه بما منّى به عبدالله بن خازم ويعده بان يوليه خراسان عشر سنوات بكل خراجها ان هو ثار في وجه ابن خازم وتغلب عليه . فصدع بكير بن وشاح بالامر وقتل ابن خازم ومثل به تمثيلاً فظيعاً وارسل برأسه الى عبدالملك وتولى هو امارة خراسان .

أمية بن عبد الله بن أسيد

وفي سنة ٧٤ هـ . عزل عبد الملك بن مروان (بكير بن وشاح) من امارة خراسان لما وقع بينه وبين القبائل العربية من مشاحنات وولّى أميّة بن عبد الله ابن خالد بن اسيد ، وقد كثرت الفتن والحروب بين اتباع أميّة واتباع بكير ابن وشاح من القبائل حتى قتل أمية (بكير بن وشاح) . وقد غزا أميّة في

سنة ٧٧ هـ ، بلخ وعبر النهر .

المهلب بن أبي صفرة

وفي سنة ٧٨ عزل عبد الملك بن مروان أمية بن أسيد عن خراسان وناط حكمها وحكم سجستان بالحجاج بن يوسف الثقفي بالاضافة الى امارة البصرة والكوفة ، فولى الحجاج المهلب بن ابي صفرة امارة خراسان من قبله ، وقدم المهلب خراسان سنة ٧٩ هـ ، وغادرها امية بن عبد الله في هذه السنة ، وفي سنة ٨٠ هـ ، عبر المهلب نهر بلخ وظل يحارب الترك في شمال خراسان حتى سنة ٨٢ هـ ، وقد توفي المهلب بخراسان ودفن فيها .

يزيد بن المهلب

وخلف المهلب على امارة خراسان ابنه يزيد بن المهلب ، وفي سنة ٨٥ هـ ، عزل عبد الملك بن مروان يزيد بن المهلب بطلب من الحجاج ، وكان يزيد ذا جاه وذا كرم ، وله مكانة وحشمة ، وقد خشي الحجاج مكانته بعد ان رأى رسوخ قدمه في خراسان فنحاه ، وزج به وباخوته في السجن (بواسط) حتى اتيح لهم ان يهربوا من السجن ويستجيروا بسليمان بن عبد الملك في خلافة الوليد وهو في فلسطين .

قتيبة بن مسلم

واستعمل عبد الملك بن مروان قتيبة بن مسلم بناء على طلب الحجاج ، وقدم قتيبة خراسان في سنة ٨٦ ، وقضى في امارة خراسان عشر سنوات ، وقد عبر قتيبة النهر ، وحارب الترك فيما وراء النهر ، وفتح خوارزم ، وبخارى ، وسمرقند ، والصغد [illegible] واخضع اهم البقاع فيما وراء النهر ، قاتل ، وصالح ، وعاهد [illegible] رقعة خراسان في امارته حتى اجتازت حدود الصين ، وهو الذي [illegible] الطريق بين العراق وخراسان من (قومس).

بعد ان كانت من فارس وكرمان ، وقد أخذ المؤرخون على قتيبة نقضة العهود في بعض المصالحات ، كما اخذ عليه العرب قسوته التي رووا عنها الشيء الكثير ، ففي حرب ملك (خام جرد) فيما وراء النهر جيء لقتيبة بأربعة آلاف أسير فقتل بين يديه الف أسير ، وعن يمينه قتل الفاً ، وعن يساره الفاً ، وخلف ظهره قتل الفاً [1] .

وعند قيام سليمان بن عبد الملك بالحكم دعا قتيبة في خراسان الى خلع سليمان ولم يبايعه ، وكانت القبائل العربية قد سئمت حكم قتيبة فاتخذت من تمرده على سليمان بن عبد الملك ذريعة وثارت تحت زعامة وكيع بن ابي سود التميمي وقتلت قتيبة في مرو .

عودة يزيد بن المهلب

وعاد يزيد بن المهلب الى امارة خراسان مرة اخرى من لدن سليمان ابن عبد الملك ، وكان ذلك في سنة ٩٧ هـ ، وغزا يزيد بن المهلب دهستان ، وجرجان بجيش مؤلف من اهل الكوفة واهل البصرة واهل الشام ، واهل خراسان فيما يقارب مائة الف مقاتل سوى الموالي والمماليك ، واستولى على دهستان من بلاد الترك ، واخضع جميع الجهات المتمردة عليه والتي نقضت عهوده وعهود الولاة من قبله ، وقد اخذ عليه التأريخ شدته وقسوته في الحرب ومعاملته الاسراء كما اخذت على قتيبة ذلك قبله .

الجراح بن عبد الله

وحين تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة في سنة ٩٩ هـ ، عزل يزيد بن المهلب من امارة خراسان ، واستدعاه اليه ، وحبسه ، وطالبه باعادة الأموال التي جباها وتصرف بها ، وعيّن الجراح بن عبد الله اميراً على خراسان .

---

(١) تاريخ الامم والملوك (الطبري) ج ٥ ص ٢٤٧ مط الاستقامة — القاهرة .

عبد الرحمن القشيري

وبلغ عمر بن عبد العزيز شيئاً عن ظلم الجراح للناس فعزله في سنة ١٠٠ هـ ، وعين عبد الرحمن بن نعيم القشيري محله اميراً .

سعيد خذينة

وفي سنة ١٠١ هـ ، توفي عمر بن عبد العزيز فخلفه يزيد بن عبد الملك ، وفي سنة ١٠٢ عهد يزيد بن عبد الملك امارة الكوفة ، والبصرة ، وخراسان الى اخيه مسلمة بن عبد الملك ، فعين هذا من قبله ختنه (سعيد خذينة) اميراً على خراسان ، وقد حارب (سعيد خذينة) ختن مسلمة الترك ، وكان لبني تميم تحت قيادة المسيب شأن كبير في تلك الحرب .

سعيد الحرشي

وفي سنة ١٠٣ هـ ، وكان يزيد بن عبد الملك قد عزل اخاه مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وعين مكانه عمر بن هبيرة ، فعزل عُمَرُ هذا سعيدَ خذينة عن خراسان وولى عليها سعيد بن عمرو بن الاسود الحرشي ، فحارب الحرشي اهل (الصغد) واخضع الاتراك ممن نقضوا العهد ، وحاصر حصن (خجندة) وفتحه .

مسلم بن سعيد

وفي سنة ١٠٤ عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان وولاها مسلم بن سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي ووقعت في سنة ١٠٦ معارك بين القبائل العربية حول بلخ وما وراء النهر فقد كانت العصبية قد بلغت القيمة في تلك السنة وقد قتل من القبائل العربية عدد كبير لتعصب كل قبيلة لقبيلتها .

اسد بن عبد الله القسري

وفي سنة ١٠٦ عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق وخراسان وولى خالد بن عبد الله القسري فولى هذا اخاه أسد بن عبد الله القسري امارة خراسان ، فتعصب اسد بن عبد الله على مضر وضربهم بالسياط ، وحلق رؤوسهم وشتم اكابرهم ونكّل بهم ، وحين كثرت الشكاوى من جوره عزله هشام عن امارة خراسان .

أشرس بن عبد الله

وفي سنة ١٠٩ استعمـــل هشام اشرس بن عبد الله على خراسان وكانت سمعته حسنة حتّى لقد كان يسمى بالرجل (الكامل) لفضله ، ولما قدم اشرس كانت سمعته الطيبة قد سبقته الى خراسان فكبّر الناس فرحاً بقدومه ثم ما لبث ان تغير وتبدل ، وقد غزا الترك ، وقاتل اهل بخارى والسغد وكانت الحرب بينه وبينهم سجالاً .

الجنيد بن عبد الرحمن

وفي سنة ١١١ عزل هشام بن عبدالملك اشرس عن خراسان ، وولى الجنيد بن عبدالرحمن الامارة ، فحارب الجنيد ما وراء النهر ، وبخارى ، وكانت له وقعة كبيرة مع ملك الترك خاقان سميت بوقعة (الشعب) وفي سنة ١١٦ هـ مات الجنيد بخراسان ودفن فيها .

عاصم بن عبد الله

وحين مات الجنيد ولى هشام بن عبد الملك عاصم بن عبدالله الهلالي امارة خراسان فوقعت بينه وبين القبائل العربية التي كان يقودها الحارث بن سريج معارك عنيفة راح ضحيتها كثير من القبائل العربية .

أسد بن عبد الله

وفي سنة ١١٧ هـ عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبدالله عن خراسان وضم هذه الامارة الى عامله في العراق خالد بن عبدالله ، فولى خالد هذا اخاه أسد بن عبدالله اميراً على خراسان من قبله ، وحين قدم اسد خراسان اعلن الحرب على الحارث بن سريج ومن تبعه من القبائل العربية التي كانت تدعو للبيعة على سنة الله ورسوله وقسا اسد على القبائل العربية من الجيوش وعلى الجيوش الخراسانية غير العربية ، واتخذ مدينة (بلخ) مقراً له سنة ١١٨ هـ ونقل الدواوين اليها ، ومنها غزا الترك وتغلب على (خاقان) ملكهم وقتل خاقان ، كما قتل أسد بشراً كثيراً على حد تعبير (الطبري) واستولى على غنائم كثيرة في وقعة (سان) من (الختل) ، وقد بقي الحارث بن سريج هو وتابعوه من القبائل يقيمون في شمال خراسان يدعون لمن يبايع على سنة الله ورسوله .

جعفر بن حنظلة ــ جديع الكرماني

وفي سنة ١٢٠ مات أسد بن عبدالله بعد ان استخلف جعفر بن حنظلة وولى جديع بن علي الكرماني . وقد سمي بالكرماني لولادته في كرمان وفي نفس هذه السنة عزل الكرماني من امارة خراسان وولي نصر بن سيار .

نصر بن سيار

ويظهر من استعراض تاريخ خراسان ان اول استقرار نسبي شاهدته خراسان كان في اوائل حكم نصر بن سيار فقد عمرت خراسان في ابتداء امارته عمارة لم تعمر قبل ذلك في ايام من سبقوه من العمال وقد وضع نصر بن سيار الخراج عن الناس . وأحسن الولاية والجباية ، ومع ذلك فلم يخل حكمه من قسوة فقد غزا ما وراء النهر ، واسر (كور صول) وقتله ، ثم صب عليه النفط واحرقه . وفي سنة ١٢٥ هـ كان هشام بن عبد الملك قد مات وخلفه

الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكانت خراسان تابعة ليوسف بن عمر عامل بني امية على العراق ، واول عمل عمله الوليد ان كتب الى نصر يطلب منه ان يتخذ له من الآلات الموسيقية البرابط والطنابير وان يجمع له اباريق الذهب والفضة ، وكل صناجة بخراسان يقدر عليها ، وكل بازي وبروذن فاره ، ويستعرض بهم اهل خراسان ، كما كتب الوليد للاقطار بان يبايعوا لابنيه : الحكم ، ثم لعثمان بعده ، فاخذ نصر بن سيار البيعة من اهل خزاسان لهما ، وفي هذه السنة نفسها فصل الوليد خراسان عن تابعية يوسف بن عمر عامله في العراق وولى خراسان كلها لنصر بن سيار مستقلاً ، وقد عزّ هـذا الامر على يوسف بن عمر فاشترى نصر وعماله في خراسان من الوليد بالمال واستعاد بذلك تابعية خراسان له مرة اخرى .

وفي هذه السنة نفسها اي سنة ١٢٥ كان يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قد لجأ بعد مقتل ابيه زيد في العراق الى (بلخ) متخفياً عند الحريش بن عمرو فلاحقه نصر بن سيار في جميع البلدان الخراسانية ، وما زال به حتى قتله في احدى المعارك ، وسلبه ، وقطع رأسه .

وحين قتل الوليد بن يزيد خلفه في الحكم يزيد بن الوليد بن عبد الملك فابقى نصر بن سيار على امارة خراسان ، وقد أمن يزيد الحارث بن سريج ، واطلق نصر بن سيار من كان محبوساً عنده من اهل الحارث وقومه ، وكان الحارث يدعو دائماً الى كتاب الله وسنة رسوله فيعارضه عمال خراسان ، وقد كثر تابعوه استجابة لدعوته ، واعتزل ومن معه واقام بشمال خراسان .

وفي الايام القصيرة التي تولى فيها ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلافة بعد موت يزيد بن الوليد كان نصر بن سيار لم يزل اميراً على خراسان ، وقد بقي اميراً كذلك في خلافة مروان حتى زوال دولة بني امية .

وحين تولى مروان بن محمد الخلافة عارض الحارث خلافته ولم يبايعه ، وطلب من نصر بن سيار ان يدعو الى كتاب الله وسنة رسوله لان الخروج على

التعاليم الاسلامية من قبل العمال قد تجاوز الحدود فلم يوافق نصر بن سيار الحارث فوقعت الحرب بين نصر والحارث والكرماني ، وقد استولت القبائل على (مرو) واحتدم القتال بين القبائل العربية ، وذهبت في هذه المعـــارك ضحايا كثيرة ، وقد مات نصر بن سيار في سنة ١٣١ بساوه ودفن فيهـــا ، وكان آخر عامل لبني أمية في خراسان .

العوامل التي قوضت حكم بني أمية

في خراسان

كان هناك تباين جد كبير بين الدعوة الاسلامية وفلسفتها واهدافها — التي كانت تساوي بين الشريف والوضيع امام الشريعة الاسلامية ، وتحفظ للمسلمين وحتى لغير للميسلمين نفوسهم ، واحوالهم ، واعراضهم ، وحرياتهم الدينية الكاملة — وبين ما كان ينتهج الامراء والعمال والحكام الذين كان يستعملهم بنو أمية على خراسان ، فقد كان جميع هؤلاء الامراء والحكام باستثناء القليل القليل منهم لا يعملون بابسط الامور مما كان يدعو اليه الاسلام ، فكانوا يفرضون الجزية حتى على المسلمين ، وكانوا يستولون على اموال الخراج ، واموال الرعايا ، ويؤلفون منها ثروات كبيرة لانفسهم ، وكانوا يسجنون ، ويعذبون خصومهم باصناف العذاب ، ويقسون في التعذيب بما تقشعر منه الابدان وفق ميولهم ودون محاكمة او مقاضاة على خلاف نهج الخلفاء الراشدين الذي كان يحمل الخليفة عمر بن الخطاب (ض) ان يقاضي حتى ابنه امام القضاء ، وكان امراء خراسان يقتلون الاسرى بالمئات بل بالألوف ، ويمثلون بالجثث ، ويطوفون بالرؤوس محمولة على القنوات في الاقطار الاسلامية خروجاً على التعاليم الدينية التي تحرم مثل هذه الاعمال ، وكان الكثير من اولئك الامراء والحكام مبتلين بداء العصبية التي يشجبها الدين الاسلامي وينهى

عنها ويكافحها حتى لقد كان الامير الأموي يفرق بين القبائل العربية فيعهد بشؤون الدولة والولاية الى احدى القبائل واحلافها ، ويحرم القبائل العربية الاخرى لا لسبب الا للعصبية ، الى غير ذلك مما يفسد طبيعة الدين الاسلامي ودعوته ، واهدافه التي يعتز بها الاسلام بين مختلف الاديان السماوية ، فكان هذا اهم الاسباب التي دعت لتقويض الحكم الاموي في خراسان في حين كان الامويون ينتخبون عمالهم لامارة خراسان انتخاباً ، وينتقونهم انتقاءً ، ويبعثون بهم الى خراسان باعتبارهم خير قادة لخير ثغر من ثغور المسلمين ، فكيف لو كانوا من عرض الناس ومن سائر الطبقات ؟ فحين تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة استعرض كثيراً من الرجال حتى وقع اختياره على يزيد بن المهلب فنقله من امارة العراق الى امارة خراسان في حين كان في اشد الحاجة اليه في العراق ثقة به.واعتماداً عليه .

وكان للخراسانيين من الحضارة والثقافة ما يستطيعون ان يميزوا بها حقيقة الدين الاسلامي ، ويدركوا ان الفساد كله في الامراء والحكام وليس على الدين الاسلامي اي مأخذ من المآخذ ، ولذلك حين منّي وكيع بن ابي سود ــ القائم على حرب خراسان بجعل خراج جانب نهر بلخ لحيّان مادام وكيع والياً ، وما دام حيّان حياً ــ قال حيان لقومه من العجم : « هؤلاء يقاتلون على غير دين » [١] .

ومن بعض الشواهد على ان الدين كان لعقاً على السنة خلفاء بني أميــة وحكامهم وانه لم يتجاوز حدود الصوم والصلاة هو ان عمر بن عبد العزيز حين بلغه خبر استعمال يزيد بن المهلب على خراسان وهو من خيار امراء بني امية وقادتهم ــ وكان عمر حينذاك في عرفات بالحج ــ قال عمر : « العجب لامير المؤمنين ــ يعني سليمان بن عبد الملك ــ استعمل رجلاً على افضل ثغر للمسلمين فقد بلغني عمن يقدم من التجار من ذلك الوجه انه : يعطي الجارية من جواريه

---

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٥ ص ٢٧٧ مط الاستقامة .

مثل سهم الف رجل، أما والله ما الله أراد — يقصد سليمان — بولايته »[1] .

ولم يراع خلفاء بني أمية في توليتهم الامراء اهداف الاسلام بقدر ما كانوا يراعون مصلحتهم الشخصية وتحقيق ميولهم ورغباتهم الخاصة ، وبلغ من الامران كان لا يمتنع البعض من الخلفاء من اخذ الرشوة في مثل تلك التعيينات وتولية الامارات ، ومن ذلك كان استعمال هشام بن عبد الملك الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان سنة ١١١ هـ لان الجنيد كان قد أهدى لامرأة هشام قلادة فيها جوهر فاعجبت هشاماً فاهدى الجنيد لهشام قلادة اخرى فاستعمله هشام على خراسان[2] .

وحين فصل الوليد بن يزيد بن عبد الملك امارة خراسان عن العراق وجرّدها من حكم يوسف بن عمر عامله على العراق وخصّها بنصر بن سيار سنة ١٢٥ اشترى يوسف بن عمر اعادة تابعية خراسان له من الوليد بالمال !! .

وكان خلفاء بني أمية وعمالهم يعتبرون اموال المسلمين اموالهم الخاصة ، وممتلكات الاسلام ممتلكاتهم الموروثة فيهبون ما يشاؤون لمن يشاؤون ، ولقد أطعم عبد الملك بن مروان : عبد الله بن خازم امارة خراسان سبع سنين ، وقيل عشر سنين إذا ما بايعه عبد الله بن خازم ، وحين رفض عبد الله بن خازم ذلك أطعم عبد الملك خراسان بكير بن وشاح ، وقد اصاب (بكير) اموالاً كثيرة من خراسان .

وبلغ الخروج على مبادىء الاسلام والشريعة الاسلامية عند الامراء والعمال الذين استعملهم الامويون على خراسان أن طالب غير واحد من قواد العرب وشيوخ القبائل في خراسان بوجوب تجديد البيعة واخذها على الرضا لمن يبايعهم على سنة الله ورسوله ، ومن هؤلاء كان الحارث بن سريج

---

(١) تاريخ الامم والملوك (الطبري) ج ٥ ص ٢٩٠ مط الاستقامة — القاهرة . (٢) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١٥٦ مط صادر ودار بيروت .

الذي طالب عاصم بن عبد الله الهلالي امير خراسان بوجوب اخذ البيعة على سنة الله ورسوله فقال له قطن بن عبد الرحمن بن جزي الباهلي – ومن قوله هذا يستبان مبلغ التطرف في عدم المبالاة بالدين – قال قطن : « يا حارث ، انت تدعو الى الكتاب والسنة ، والله لو ان جبريل عن يمينك ، وميكائيل عن يسارك ما اجبتك »[1] فاعتزل الحارث القوم وتبعه الكثير وبايعه الكثير على سنة الله ورسوله ، وحارب ، وبقي على رأيه ينشد الخليفة الذي يرضى بأن يبايع على سنة الله ورسوله ، ونزل بقومه شمال خراسان .

وفي عهد يزيد بن الوليد آمن يزيدُ الحارثَ فدخل الحارث (مرو) وعرض عليه نصر بن سيار آخر عامل لبني أمية على خراسان ان يبايع ، فقال له الحارث :

« خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور ، وانت تريدني عليه » . وانضم الى الحارث ثلاثة آلاف ، وقد اطلق نصر بن سيار المساجين من اهل الحارث واولاده ، وعرض عليه ان يوليه ويعطيه مائة الف دينار فلم يقبل الحارث وارسل الى نصر يقول :

« اني لست من الدنيا واللذات في شيء ، انما اسألك كتاب الله والعمل بالسنة ، واستعمال اهل الخير ، فان فعلت ساعدتك على عدوك »[2] .

والحارث هذا الذي حكى جانباً من جوانب الدعوة الاسلامية والهدف الذي يرمي اليه الاسلام لم يكن وحده الذي أيّد رأي الخراسانيين المستمد من حضارتهم والمدرك ان ما عليه هؤلاء الحكام والامراء مغاير كل المغايرة لحقيقة الاسلام ودعوته فقد كانت هناك صور لبعض المسلمين يتمثل فيها الاسلام بحقيقته وجوهره يعود لها الفضل في تأييد الرأي القائل بأن هؤلاء الحكام ابعد ما يكونون عن حقيقة الاسلام ونزعته واهدافه وهي صور كثيراً ما يجدها

---

(١) الطبري ج ٥ ص ٤٢٨ مط الاستقامة . (٢) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٢٨ مط صادر ودار بيروت .

الواجدون بين الطبقات العامة وسائر افراد المجتمع .

فحين تولى الحكم بن عمرو الغفاري امارة خراسان من لدن زياد بن ابيه الذي كانت امارته تشمل العراق وايران كتب زياد الى الحكم بن عمرو يقول : « ان امير المؤمنين – يعني معاوية بن ابي سفيان – قد كتب الي ان اصطفي له البيضاء والصفراء فلا تقسمن شيئاً من الذهب والفضة » ولكن الحكم لم يلتفت الى قول زياد ورفع الخمس وقسم الغنائم بين الناس وكتب الى زياد يقول : « اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين معاوية ، ولو ان السماء والارض كانتا رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً والسلام » [1] .

واصاب يزيد بن المهلب تاجاً بجرجان فيه جوهر فقال : أترون احداً يزهد في هذا التاج ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع الازدي ، وقال له : خذ هذا التاج فهو لك ، قال : لا حاجة لي فيه !! قال : عزمت عليك ، فأخذه وخرج ، ولكنه لم يبعد كثيراً عن مجلس يزيد حتى اعطاه لسائل فقير ..!

ومثل هذا ما روي انه كان على اقباض (خجندة) علباء بن احمر اليشكري فاشترى رجل منه جونة (خابية) بدرهمين ، فوجد فيها سبائك ذهب فرجع الى اليشكري ورد الجونة له واخذ الدرهمين .. !!

ان مثل هذه الروايات وسبق بعض الصحابة وبعض التابعين وتابعي التابعين دخول خراسان في اول عهدها بالاسلام بالاضافة الى خصب افكار الخراسانيين وفهمهم الامور فهماً عقلياً قد زاد الخراسانيين يقيناً بأن هؤلاء الذين استعملهم بنو أمية على خراسان غير الذين يدعو اليهم الاسلام وانهم والاسلام من حيث الهدف والفلسفة على طرفي نقيض .

لقد قدم الى أسد بن عبد الله سنة ١٠٩ هـ ، وهو في السوق برجل كانوا

---

(١) البلدان لليعقوبي ص ٢٤٨ – ٢٤٩ مط ليدن .

قد طلبوا اليه ان يتنصل من دعوته لسنة الله ورسوله وكانت على غير ما يرى بنو أمية فلم يقبل الرجل فأشرف عليه اسد بنفسه وفي السوق نفسه وضرب عنقه والرجل يرتل قائلاً : « رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً » ! !

نماذج من الرشوة والإثراء

ومن اهم عوامل الفساد وسوء الحكم كان الاختلاس ، والسرقة ، والاثراء على حساب الرعية عند الحكام والقواد والامراء ، وقلما اصبح ثغر من ثغور المسلمين نهباً للحكام والامراء في عهد بني امية كخراسان ، وقد كانت خراسان – كما قد مرّ – على جانب كبير من الثروة والذخيرة والجواهر . وكان هذا مما يطمع الحكام فيها فيمدون ايديهم اليها بشراهة وبشيء كثير من الظلم والقسوة حتى اذا انتهى دور هؤلاء الحكام وعادوا من خراسان عادوا ولديهم من الاموال الملايين فضلاً عن العقود والجواهر والذهب والفضة .

وحين اقبل عبد الرحمن بن زياد على يزيد بن معاوية وكان قد ولي خراسان في زمن معاوية قال له يزيد – وكان قد بلغه ما قد جنى من خراسان وحصل عليه – :

– كم قدمت به معك من المال من خراسان ؟

قال : عشرون الف الف درهم ! !

قال : ان شئت حاسبناك وقبضناها منك ورددناك على عملك ، وان شئت سوغّناك وعزلناك .

قال : بل وتسوغني[1] .

---

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٢٣٤ مط الاستقامة .

وكان أمية بن عبدالله بن خالد امير خراسان في سنة ٧٧ هـ ، يقول : «ما اكتفي بخراسان وسجستان لمطبخي » !![1] وقد اخذ أمية الناس بالخراج واشتد عليهم وكان لا بد له ان يعمل كل هذا ما دام على مثل ما ذكر من البذخ والاسراف الذي لا يكفي كل الخراج لمطبخه .

وفي غزوة قتيبة لبيكند ، وبيكند هذه بلدة من بلدان بخارى أصابوا فيها من آنية الذهب ، والفضة ما لا يحصى فأذابوا الآنية والاصنام ورفعوها الى قتيبة ثم رفعوا اليه خبث ما اذابوا (اي النفاية)فوهبها قتيبة للبعض فجاء منهم من يشتري منهم هذه النفاية ودفع بها المشترون اربعين الفاً !!! فاعلم قتيبة بذلك فرجع عن هبته وأمر ان تذاب (النفاية) التي كان قد وهبها فأذيبت فخرج منها خمسون ومائة الف مثقال على ما روى الطبري ، واصابوا في (بيكند) ما لم يصيبوا بخراسان .

ولقد علم عمر بن عبدالعزيز : ان يزيد بن المهلب قد اصاب من خراسان ستة آلاف الف (أي ستة ملايين درهم) في إحدى غاراته ، واحتفظ بها لنفسه فكتب بذلك الى سليمان ، ومع ذلك فلم يردّ يزيد المبلغ الى بيت المال على ما روى المؤرخون .

وحضر أسد بن عبدالله امير خراسان سنة ١٢٠ هـ ، المهرجان ببلخ فقدم عليه الامراء والدهاقين بالهدايا فكان ممن قدم عليه ابراهيم بن عبدالرحمن الحنفي عامله على هراة وخراسان ، ومعه دهقان هراة وقد قدّما هدية قوّمت بألف الف ، وكان فيما قدما به قصران ، قصر من ذهب وقصر من فضة ، واباريق من ذهب واباريق من فضة ، وصحاف من ذهب وصحاف من فضة ، وقد أقبلا وأسد جالس على السرير ، واشراف خراسان على الكراسي فوضعا القصرين ثم وضعا خلفهما الاباريق والصحاف والديباج المروي ، والقوهي ، والهروي وغير ذلك حتى امتلأ السماط ، وكان فيما جاء به

---

(١) تاريخ الامم والملوك ١٣٢ مط الاستقامة .

الدهقان (أسداً) كرة من ذهب فقسمها أسد بن عبد الله على الرؤساء.

وقلّما عيّن أمير على خراسان ولم يلاحق العمال الذين كانوا قبله واتباعهم اذا وجدهم هناك، متهماً اياهم بالسرقة والاختلاس، وكثيراً ما يزج بهما في السجن ويعذبهم، ويغرمهم، وينكّل بهم اسوأ تنكيل، وقد فعل سلم ابن زياد حين ولي خراسان سنة ٦١ هـ، الشيء الكثير من هذا بالحارث بن قيس بن الهيثم.

وحين وليّ سعيد بن خذينة على خراسان سنة ١٠٢ هـ، اخذ العمال الذين ولّوا ايام عمر بن عبد العزيز فحبسهم وقال لقد رفع الي عنهم ان عندهم اموالاً من الخراج فضمنهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري، بسبعماية الف واطلقهم، وقد رفع اليه ان ثمانية من العمال الذين كان قد استعملهم يزيد ابن المهلب على كور خراسان ومقاطعاتها ان عندهم اموالاً قد اختانوها من المسلمين فحبسهم وعذب بعضهم، ومات بعضهم تحت العذاب.

وفي ولاية عاصم بن عبد الله على خراسان سنة ١١٦ هـ، زج في السجن العمال الذين كانوا على عهد الجنيد وعذبهم بمثل هذه التهم.

ولما عين سلم بن زياد والياً على خراسان كان اخوه عباد بن زياد عاملاً بسجستان فخاف عبّاد اخاه سلم لأن سجستان كانت تابعة لخراسان وعلم ان ليس له مقام في سجستان بعد تعيين اخيه سلم اميراً على خراسان وسجستان قام بتقسيم ما في بيت المال في عبيده، وسلّف بما فضل ممن اتاه طالباً، وخرج من سجتان، وكان سهم كل مملوك من مماليكه – وكانوا الف مملوك – عشرة آلاف[1].

واستعارت امرأة سلم بن زياد– الرجل الذي سمى اهل خراسان اولادهم

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٩٦ مط صادر – تاريخ الامم والملوك ج ٤ من ٣٦٢ مط الاستقامة.

باسمه لما بلغهم عن صلاحه – لقد استعارت من زوجة صاحب (الصغد) الخراسانية حليها ولم تعدها اليها وذهبت بها [١] ، وغير هذا الشيء الكثير مما قد نمر على بعضه عند استعراضنا للمظالم .

نماذج من الظلم والقسوة

وعامل آخر لا يقل شأناً عن العبث بأموال المسلمين والسرقات والنهب الذي كان يقوم به عمال بني أمية وقوادهم في خراسان ان لم يزد عليه ألا وهو الظلم والقسوة فقد لقيت خراسان من ظلم الولاة والعمال ما قد يتجاوز حدود الوصف المألوف في البطش وكان من ذلك الظلم وتلك القسوة ان استخلف قتيبة على سمرقند بعد أن فتحها عبد الله بن مسلم واوصاه قائلاً : « لا تدعن مشركاً يدخل باباً من ابواب سمرقند الا مختوم اليد ، وان جفت الطينة قبل ان يخرج فاقتله .!! وان وجدت معه حديدة !! سكيناً فما سواه فاقتله !! ، وان اغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها احداً منهم فاقتله ، وقال : هذا العداء ، لاعداء عيرين ، لانه فتح خوارزم وسمرقند في عام واحد ، وذلك ان الفارس اذا صرع في طلق واحد عيرين قيل عادى بين عيرين » [٢] .

وكان الاتراك كثيراً ما يصالحون المسلمين ثم ينتقضون عهودهم ويقلبون لهم ظهر المجن ، فحاصرهم يزيد بن المهلب في (البحيرة) ستة اشهر ، وارسل (صول) ملك الترك يطلب المصالحة على ان يخرج بنفسه وماله وبثلثماية من اهل بيته وخاصته ، ويترك له (البحيرة) فأجابه يزيد الى ذلك ، ودخل يزيد الى البحيرة وقتل من الاتراك اربعة عشر الفاً صبراً ، وعفا عن الباقين !!

ودعي ادريس بن حنظلة لاحصاء ما في (البحيرة) فلم يقدر على احصاء

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٩٧ مط صادر – ودار بيروت . (٢) الطبري ج ٥ ص ٢٥٤ – ٢٥٥ مط الاستقامة .

ما فيها [١] . وتمردت منطقة (جرجان) للمرة الثانية ، ونقضت العهد الذي اعطته ليزيد بن المهلب فأقسم لئن ظفر بهم ان لا يقلع عنهم ، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ويختبز من ذلك الطحين ويأكل منه !! فقصدهم يزيد بجنده ، وهجم على معسكر الترك ، فاعطوا بايديهم ، ونزلوا على حكم يزيد ، فسبي ذراريهم ، وقتل مقاتلتهم ، وصلبهم فرسخين الى يمين الطريق ، وفرسخين الى يساره ، وقاد منهم اثني عشر الفاً الى وادي جرجان وقال : من طلبهم بثأر فليقتل منهم من يشاء ، فكان الرجل من جيش يزيد يقتل الأربعة والخمسة ، وقد أجرى الماء على الدم ، وعليه ارحاء ليطحن بدمائهم تبريراً ليمينه ، فطحن ، وخبز ، وأكل ، وقيل قتل منهم اربعين الفاً !! [٢] .

ومن فظائع القسوة التي عامل بها امراء الامويين الناس افراداً او جماعات عرباً أو عجماً في خراسان ما يشيب لهولها الاطفال ، فهذا أسد بن عبد الله امير خرسان في عهد هشام بن عبد الملك سنة ١١٧ يقبض على جماعة وشي بهم كدعاة لبني العباس ويزج بهم في السجن ويخرج منهم موسى بن كعب ويأمر به فيلجم بلجام حمار ، ويأمر باللجام ان يجذب فجذب حتى تحطمت اسنانه ، ثم يقول : اكسروا وجهه ، فيدق أنفه ، ثم وجأ لحيته ، فندر ضرس لـــه !!

ثم قبض أسد على عمار بن يزيد بنفس التهمة فأمر به فقطعت يده ، وقلع لسانه ، وسملت عينه ، ثم سجنه ، وقتله بعد ذلك وصلبه !!

وحين فتح أسد قلعة (التبوشكان) من طخارستان العليا ، وفيها بنـــو برزي التغلبيون وهم اصهار الحارث بن سريج الذي كان يلح على وجوب تطبيق التعاليم الاسلامية والمبايعة على سنة الله ورسوله ، فقتل مقاتلتهم ، وقتل بني برزي وسبى عامة اهلها من العرب والعجم والذراري وباعهم بالمزايدة

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٣ مط صادر . (٢) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٤ – ٣٥ مط صادر ودار بيروت .

في سوق بلخ .. !!

وعند الاستيلاء على بلخ ، وكان اهل بلخ قد خانوا على حكم أسد بن عبد الله كتب أسد الى عامله (الكرماني) ان يصيّر الذين بقوا عنده من الاسراء أثلاثاً ، فثلثاً يصلبهم ، وثلثاً يقطع ايديهم وارجلهم ، وثلثاً يقطع ايديهم دون ارجلهم ، ففعل عامله ذلك ، وأخرج اثقالهم ، فباعها بالمزايدة ، اما الذين قتلهم ، وصلبهم فقد كانوا اربعمائة [1] !!

وكان امراء خراسان يتفننون في شروط الجزية وفرض الاتاوة ، على غير سنة الله ورسوله ويعقدون شروط الصلح ليثقلوا كاهل المصالحين آخذين بالاصعب والاعسر من الامور حتى ليتركوا في النفوس اسوأ الاثر للحكم ، فحين حاصر يزيد بن المهلب سنة ٩٨ هـ ، طبرستان صالح (الاصبهبذ) على ان يدفع له سبعمائة الف درهم ، واربعمائة الف نقداً ، ومائتي الف واربعماية حمار موقرة زعفران !! واربعماية رجل على رأس كل رجل برنس ، وعلى البرنس طيلسان ولجام من فضة ، وسرقة من حرير [2] الى ما هنالك من الشروط العجيبة !!

والمهلّب حين حاصر احدى مدن خراسان مما تلي خوارزم سنة ٦١ هـ ، سأل اهلها ان يذعنوا للطاعة ، فطلبوا اليه ان يصالحهم فصالحهم على نيف وعشرين الف الف ، وكان في صلحهم ان يأخذ منهم عروضاً فكان يأخذ الرأس من الماشية والدابة والرقيق بنصف أثمانها فبلغ قيمة ما أخذ منهم خمسين الف الف [3] اي خمسين مليوناً في حين المصالحة كانت على نيف وعشرين مليوناً

وهذا أشرس بن عبد الله السلمي حين قدم خراسان سنة ١٠٩ هـ ، اميراً من قبل هشام بن عبد الملك كبّر الناس فرحاً بقدومه لما كان قد بلغهم عن صلاحه وقد ركب حين قدم حماراً فقال له حيان النبطي : « ايها الامير : ان

---

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٥ ص ٤٤٢ مط الاستقامة . (٢) المصدر المتقدم ص٢٩٥.
(٣) تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٣٦٣ مط الاستقامة .

كنت تريد ان تكون والياً على خراسان فاركب الخيل ، وشدّ حزام فرسك ، والزم السوط خاصرته حتى تقدم النار وإلاّ فارجع ، قال اشرس : أرجع اذن ولا اقتحم النار ، وكان الامراء قبله يأخذون الجزية ممن اسلم وممن لم يسلم من السكان على حد سواء فرفع اشرس الجزية عمن أسلم ، ثم تبدلت حاله بعد ذلك فركب الخيل ، وكتب الى عماله بأخذ الجزية من الجميع بحجة ان في الخراج قوة للمسلمين ، فكتب له بعض عماله : ان الناس قد اسلموا ، وبنوا المساجد ، وجاءه دهاقين بخارى وقالوا له : ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً ؟ ولكن اشرس كتب الى عماله : ان يستمروا في اخذ الجزية ممن كانوا يأخذونها سابقاً اي ممن اسلم وممن لم يسلم .. ! !

ويقول الطبري : فألحّ العمال في جباية الخراج ممن اسلم ، واستخفوا بعظماء العجم ، وعومل الدهاقين معاملة سيئة ، فاقيموا وخرّقت ثيابهم ، والقيت مناطقهم في اعناقهم ، واخذوا الجزية ممن اسلم من الضعفاء ، وكان اشرس هذا هو الذي كبّر الخراسانيون فرحاً بقدومه .

واغلب عمال بني امية على خراسان كانوا يفعلون مثل هذا ، وحين أمر نصر بن سيار عامل بني امية على خراسان سنة ١٢١ هـ ، برفع الجزية عمن اسلم أتاه ثلاثون الف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم [١] .

وهناك قسم آخر من المظالم التي سلبت ثقة الخراسانيين بالحكام الامويين وبعثت الشكوك في ديانة الامراء واسلامهم وهو نقض العهود والرجوع عن الامان الذي يعطونه في المصالحة ، اذ طالما اعطى الامراء عهد الله للمسالمين والمصالحين من منافسيهم او محاربيهم او مزاحميهم على الولاية والامــارة والسلطة من القبائل العربية ثم نقضوا هذا العهد، ونكّلوا بهم ، وعذبوهم ، وقتلوهم شر قتل .

---

(١) الطبري ج ٥ ص ١٢١ مط الاستقامة بمصر .

فعندما قطع سعيد بن عثمان بن عفان والي خراسان من قبل معاوية سنة ٥٦ هـ ، النهر الى سمرقند صالحه اهل (الصغد) بعد الحرب ، واعطوه رهناً منهم خمسين غلاماً يكونون في يده من ابناء عظمائهم ، فعبر النهر ، واقام بالترمذ ، ولم يف لهم .

وفي سنة ١٠٤ هـ ، طلب (الديواشني) وهو دهقان اهل سمرقند النزول على حكم سعيد بن عمرو الحرشي امير خراسان من قبل يزيد بن عبد الملك فألطفه الحرشي واكرمه مكيدة ، ثم حين فرغ من احتلال (كس) خرج الى (ربنجن) فقتل الديواشني وصلبه على ناووس، وكتب على اهل (ربنجن) كتاب جزاء بمائة الف ان فقد المصلوب من موضعه، وبعث برأس الديواشني الى العراق ، واقتطع يده اليسرى ، وبعث بها الى طخارستان .

ولقد روى الراوون عن الحرشي هذا انه كان محتاراً في فتح (خزر) لان خزر كانت منيعة ، فقال له احدهم : ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال ؟ قال : بلى فقيل له : انه المسربل بن الخريت بن راشد لانه صديق ملك (سبقرى) ملك (خزر) وكان هذا الملك يحب (المسربل) وجاءه المسربل مؤمناً له ولقومه ان يترك الحرب وينزل بأمان، فاقتنع وصالح فآمنوه وبلاده ، وعاد الحرشي الى (مرو) من هذه الغزوة ومعه (سبقرى) الملك وفي الطريق قتل الحرشي سبقرى وصلبه ومعه أمانه ..!!

العصبية والكبرياء

وعامل آخر شارك في هدم الدولة الاموية وكره الخراسانيين للامويين وتقويض حكمهم وهو العنجهية التي اتصف بها الحكام الامويون والعصبية القبلية التي سببت كثيراً من الثورات بين القبائل العربية في خراسان الامـــر الذي طالما هدد الأمن والاستقرار سنين طويلة ، فهذا اسلم بن زرعة حين كتب له عبيد الله بن زياد سنة ٥٦ هـ ، بولاية خراسان للمرة الثانية ـ وقد كان العامل عليها يومذاك سعيد بن عثمان بن عفان ـ طرق اسلم سعيداً ليلاً

واخبره بخبر تعيينه في محله اميراً ، واتفق ان اسقطت في تلك الليلة جارية لسعيد بن عثمان غلاماً فكان سعيد يقول : (لأقتلنّ به رجلاً من بني حرب يريد آل معاوية —) ثم قدم على معاوية شاكياً اليه اسلم بن زرع فغضبت القيسية ، ودخل همام بن قبيصة النمري فنظر اليه معاوية محمر العينين فقال له : يا همام ان عينيك لمحمرتان ؟ قال همام كانتا يوم صفين اشد حمرة ! ! قدّم معاوية ذلك ، وكفّ سعيد عن الشكاية[1] .

وكان اسد بن عبد الله اميراً على خراسان سنة ١١٧ هـ ، كما قد مر وقد قدل له جماعة اتهموا ببث الدعوة العباسية في خراسان فحملته العصبية القبلية على ان يأخذ البعض بالتهمة ويتغاضى عن البعض الآخر ، وقد جيء اليه بلاهز بن قريط ، فقال لاهز : والله ما في هذا الحق ان تصنع بناهذا وتترك اليمانيين والربعيين ، فضربه أسد ثلثمائة سوط ، ثم قال اصلبوه[2] .

واول ما تسلم نصر بن سيار العهد بامارته على خراسان سنة ١٢٠ هـ ، استعمل مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم على (بلخ) واستعمل وشاح بن بكير ابن وشاح على (مرو الروذ) والحارث بن عبد الله بن الحشرج على (هراة) وزياد بن عبد الرحمن القشيري على (ابر شهر) وابا حفص بن علي — وهو ختنه — على (خوارزم) وقطن بن قتيبة على (الصغد) ، قال رجل من اهل الشام من اليمانية : ما رأيت عصبية مثل هذه ؟ فقال : بلى التي كانت قبل هذه ، فلم يستعمل اربع سنين الا مضرياً ..[3] ! !

ولم تنج خراسان من شرور العصبية والغطرسة والكبرياء حتى في عهد عمر بن عبد العزيز الرجل التقي الورع . وكان عمر بن عبد العزيز قد عرف ما لقيت خراسان من عربها وعجمها من فساد حكامها واستبدادهم وعصبيتهم . لذلك كتب الى القائم بالخراج يقول له :

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٢٨ مط الاستقامة . (٢) المصدر المتقدم ج ٥ ص ٤٤٠ مط الاستقامة .
(٣) المصدر المتقدم ج ٥ ص ٣٢٠ مط الاستقامة بمصر .

« ان للسلطان اركاناً لا يثبت الا بها ، فالوالي ركن ، والقاضي ركن ، وصاحب بيت المال ركن ، والركن الرابع انا ، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم الي ، ولا أعظم عندي من ثغر خراسان » .

وقد احسن عمر بن عبد العزيز الظن بالجراح بن عبد الله فاستعمله والياً على الثغر الذي هو أهم واعظم الثغور عنده وارسله الى خراسان ، وبعد أن أقام الجراح بخراسان ارسل الى عمر بن عبد العزيز وفداً ممن يتوسم فيهم عمر الصلاح والصدق ليطلعه على احوال خراسان في عهد عامله الجراح ، وحين تكلم الوفد قال احدهم وهو من الموالي : « يا امير المؤمنين : عشرون الفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد اسلموا من اهل الذمّة يؤخذون بالخراج ، وأميرنا عصبي جاف ، يقوم على منبرنا فيقول : أتيتكم حفياً وانا اليوم عصبي ، والله لرجل من قومي أحب الي من مائة من غيرهم ؟ »[1].

ويقول الطبري : وكان الجراح يقول : انا والله عصبي عقبي — يريد من العصبية — وقد عزله عمر بن عبد العزيز .

واستعان عمر بأبي مجلز لما بلغه من صلاحه في ترشيح خلف للجراح على خراسان ، وعين عبد الرحمن بن نعيم ، وعبد الرحمن القشيري على خراسان وكتب عمر لأهل خراسان : « اني استعملت عبد الرحمن على حربكم ، وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار الا ما اخبرت عنهما ، فان كانا على ما تحبون فاحمدوا الله ، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله » وقد سارع الناس في خراسان الى الاسلام ودخل الآلاف منهم في الاسلام على عهد عمر ابن عبد العزيز .

ولقد عزّ وجود العمال الصالحين والامراء الذين يقيمون شرائع الاسلام

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٥١ مط صادر .

حتى في عهد هذا الرجل التقي الصالح فكيف بالعهود الاخرى .

وتجاوز الاستهتار والعنجهية والغطرسة الحدود المألوفة حتى كان الامير على خراسان كثيراً ما يرى في نفسه نداً للخليفة ليبرهن على منزلته بما ينزل من القسوة دون اهتمام بالخليفة واوامره ، فهذا معقل بن عروة وقد ارسل من العراق عاملاً على (هراة) فمضى الى هراة ولم يتح له ان يمر بالحرشي امير خراسان في مرو فأرسل (الحرشي) فجيء به وجلده مائتين وحلقه ؟ لأنه لم يمر به اولاً ويسلم عليه ! !

وارسل جميل بن عمران للتفتيش على اعمال خراسان في امارة الحرشي سنة ١٠٤ هـ ، وحين علم الحرشي بأن جميلاً لم يرقه وضع خراسان وحكم الحرشي فيها دس له السم في بطيخة وأماته ! !

وبلغ من الكبرياء والغرور والاستبداد ان مخلّد بن يزيد بن المهلب كان عاملاً على (بلخ) وقد تلقى رسالة من حيان سنة ٩٨ هـ ، يبدأ فيها حيان اسمه فيستهل الرسالة قائلاً : « من حيّان مولى مصقلة الى مخلد بن يزيد » فشكاه المخلّد الى ابيه يزيد بن المهلب امير خراسان فاغرم يزيد حياناً مائتي الف درهم جزاء لجرأته في تقديم اسمه على اسم ابنه مخلّد ! !

فكان من جراء ذلك ان كثرت الفتن والحروب بين القبائل العربية وسقط عدد كبير من القتلى لا سيما في سنة ٦٥ هـ ، بين قبائل مضر ووائل وغيرهم ، وبين بني تميم وربيعة ، وعادت العصبية كأشد ما تكون بين اليمانية والنزارية ، وقد تساقطت الالوف من القتلى في سنة ١٢٦ وما بعدها من السنين ، وتمكنت العصبية الجاهلية من نفوس القبائل بسبب امرائهم ، وأهمل البلـد ، وعم الفساد ، وفقد العدل .

ولقد حدث الرجل الذي بعث به قتيبة سنة ٩٣ هـ ، الى الحجاج في العراق ليبشره بفتح (سمرقند) قال : ان الحجاج قد وجهني الى الشام ، لأنقل الخبر الذي نقلته له الى الخليفة لكي يسمعه مني — قال . ودخلت المسجد قبل طلوع

الشمس وكان الى جنبي رجل ضرير فسألته عن شيء من امر الشام ، فقال لي أأنت غريب ؟ قلت : أجل ومن خراسان ، قال : ما اقدمك ؟ فأخبرته ، فقال « والذي بعث محمداً بالحق ما افتتحتموها الا غدراً ، وانكم يا اهل خراسان الذين تسلبون بني أمية ملكهم ، وتنقضون دمشق حجراً حجراً »[1] .

* * *

كان هذا وامثاله هو الذي جعل خراسان تعتقد ان الدين الاسلامي شيء لا يمثله اغلب هؤلاء الحكام بأي وجه من الوجوه بل ولا يمثله اغلب الخلفاء الامويين ، فلا ريب في ان الخراسانيين كانوا قد عرفوا القرآن ، وتفقهوا في الدين ، وقد اقام في هذا الدور من الفتح الاسلامي عدد كبير من مشاهير اهل الحديث والرواة من العرب في خراسان ، وسكنوا بها ، وماتوا فيها ودفنوا هناك ، ومن هؤلاء لفيف من الصحابة منهم : بريدة بن الحصيب الاسلمي المدفون بمرو ، وابو برزة الاسلمي ، والحكم بن عمرو الغفاري ، وعبد الله بن خازم الاسلمي المدفون بجوين ، وقثم بن العباس المدفون بسمرقند[2] وجمع من التابعين الذين تولوا شرح اهداف الاسلام وفلسفته وتعاليمه .

ولا ريب في ان الخراسانيين قد عرفوا شيئاً كثيراً عن سيرة النبي (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين (رض) فعلموا ان هناك طبقة غير هؤلاء الخلفاء والحكام هي التي تمثل الشريعة الاسلامية وتعاليمها ، وهي وحدها التي تأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ، ولقد آن الاوان للبحث عن تلك الطبقة بعد ان بلغ السيل الزبى ، ولا ريب ان الخراسانيين كانوا قد سمعوا الشيء الكثير عن آل النبي وعترته من الرواة الذين كانوا يغدون ويروحون بين الحجاز والعراق وخراسان ، وكانوا يسمعون بأن اولئك وحدهم الذين اتخذوا من القرآن وتعاليمه قانوناً عاماً ، وكانت خراسان ، وخراسان الوسطى — وهي خراسان

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٥٧٤ مط صادر . (٢) الادب الفارسي للدكتور محمد محمدي ص ١٥٧ — الجامعة اللبنانية ببيروت .

الحالية ــ وعاصمتها (مرو) اطوع ما تكون واكثر ما تكون ايماناً بالله ورسوله ، والا لما حارب جيشها مع الجيوش العربية جنباً الى جنب بمثل ذلك الاخلاص والتفاني الذي ابدوه في محاربة الترك وما وراء النهر ، وقد عرف دعاة العباسيين للخراسانيين هذا الايمان الى جانب ما امتاز به الجيش الخراساني من القوة والشجاعة والمقدرة ، فاتخذ العباسيون من خراسان موطناً للتبشير بدعوتهم ، ونظراً لقرب العباسيين للنبي (ص) فقد كان من السهل اعتبارهم وجهاً من وجوه العلويين ان لم يكونوا الصورة الكاملة للعلويين الذين أحسن رؤساؤهم وأئمتهم تمثيل الاسلام بكامل شروطه، والذين ثاروا في وجه الأمويين غير مرة مستنكرين نهجهم الخارج على الشريعة الاسلامية كثورة ابي عبد الله الحسين (ع) وثورة زيد بن علي بن الحسين وغيرهما من الثورات وما لقي العلويون من الاضطهاد والتشريد والعذاب ،

كل هذا كان معروفاً عند الخراسانيين كما كان معروفاً في جميع الاقطار الاسلامية فأصغى الخراسانيون للدعوة العباسية بكل جوارحهم وآمنوا بأهدافها كثورة في وجه الظلم يقوم بها الهاشميون دون ان يكون هناك فرق بين عباسي وعلوي في هذه الدعوة وهو فرق ظهر بعد ذلك حين ظفر العباسيون بالخلافة وحدهم .

الدعوة العباسية

كانت خراسان بناء على ما مر خير تربة لغرس بذور الثورة في وجه الحكم الاموي فراح بنو العباس يوفدون بين آونة واخرى بعض رجالاتهم للاتصال بالخراسانيين واثارة نخوتهم وتحفيزهم على جمع شملهم والثورة في وجه الامويين ، وقد شخص ابو مسلم الخراساني سنة ١٢٩ هـ ، (واسمه عبد الرحمن بن مسلم) من خراسان الى ابراهيم الامام —وكان يختلف منه الى خراسان ويعود اليه— وكان ابراهيم الامام يقول لأبي مسلم : « انك منا اهل البيت »[١] .

وطاف ابو مسلم باصقاع خراسان مبشراً ، وهيأ في كل مكان رجالاً للنهوض بالامر وجمع الاموال ، وكان يرسل بما يجتمع لديه من الاموال التي يجمعها من الشيعة الذين آمنوا بالدعوة الى الامام ابراهيم ، وينفق البعض منها في تنظيم الحركة واعداد الثورة ، وكان يتلقى من الامام ومن سائر جهات خراسان الكتب والاخبار المؤيدة لحركته حتى اذا تكاملت عنده الأسباب دخل مدينة (مرو) وهناك أطلع الوجوه والأكابر على توافق الانظار عند الخراسانيين ورجالاتها من التأييد وما كان قد تلقى من كتب الامام من التشجيع

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٤٨ مط صادر ودار بيروت .

فأيدته (مرو) العاصمة ، وناطت به رياسة الدعوة ، وتوحدت الكلمة في الدعوة الى خلع خلافة بني امية ،وكثر هناك اتباع ابي مسلم ،واتسعت حركته فوجه وفوداً ودعاة من لدنه ال طخارستان ، وبلخ ، وخوارزم ، وطالقان ، وقد احكم امر الدعوة للثورة واسلوبها واستخدم الوجوه المؤتمنة ، والمعروفة بالصلاح كسباً للرأي العام وتوحيده حتى اتاه في ليلة واحدة أهل ستين قرية مبايعين [١] وفي نحو اليوم الخامس من رمضان عقد ابو مسلم اللواء – الذي بعث به الامام والذي دعي (بالظل) – على رمح ، وعقد الراية التي دعيت (بالسحاب) على رمح وهو يتلو :

« أُذِنَ للَّذينَ يُقاتلون بِانهم ظُلموا وأنَّ اللهَ على نَصْرِهم لَقَدير »

ثم لبس السواد هو وسليمان بن كثير ، واخوة سليمان والموالي ، ومن اجاب الدعوة ، واوقدوا النيران – وكان هذا الايقاد علامة اتفقوا عليها مع شيعتهم في سفيذنج – فاجتمع اليه القوم في كل صوب ، وحينذاك بادر ابو مسلم بتحصين حصن (سفيذنج) ورمّمه ، وسدّ الدروب التي تصل اليه حذراً من الجيوش الاموية ، فقد عرف ابو مسلم بحسن القيادة والتدبير وزادت هذه الشهرة بمقدرته يوماً بعد يوم كما عرف الى جانب حسن قيادته وشجاعته بالبلاغة والخطابة ونفوذ كلامه في النفوس .

وكان عيد رمضان قد حلّ فأقام دعوة طعام واسعة وأمر سليمان بن كثير ان يصلي بالناس والمبايعين من الشيعة ، ونصب له منبراً بالعسكر ، ثم كتب الى نصر بن سيار امير خراسان ما يلي :

« اما بعد ، فان الله تباركت اسماؤه عيّر اقواماً في القرآن فقال : وَأَقْسَمُوا بالله جَهدَ أيمانِهم لَئِن جاءَهُم نَذيرٌ لَيكونُنَّ أهدى من إحدى الأمَم ، فلما جاءهُم نَذيرٌ ما زادَهم الا نُفورا إستكباراً في الأرضِ ومَكرَ السَّيء ، ولا يَحيقُ المَكرُ السَّيءُ إلا بأهلِه فَهَل يَنظرون الا سُنةَ الأوّلين فلن

(١) المصدر المتقدم ص ٣٥٨ .

تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تبديلا ، ولَنْ تَجِدَ لِسُنّةِ اللهِ تحويلا » .

وكان جواب نصر بن سيار ان ارسل جيشاً لمحاربة ابي مسلم فتغلب عليه ابو مسلم وهزمه فكان ان قويت دعوة ابي مسلم لخلع مروان آخر خلفاء بني امية ودعا الى خلعه علانية حينذاك .

وكان لسلوك ابي مسلم بين الناس شأن آخر في اجتذابهم فقد كان ابو مسلم ينزل في خباء ولم يتخذ له حرساً ولا حجاباً،وقد عظم امره عند الناس وقالوا « ظهر رجل من بني هاشم له حلم ووقار وسكينة » فانطلقت فتية من اهل (مرو)نسّاك يطلبون الفقه الى ابي مسلم فسألوه عن نسبه فقال : « خيري خير لكم من نسبي » وسألوه اشياء من الفقه فقال : « أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ، ونحن الى عونكم احوج منا الى مسألتكم فاعفونا » .

وارسل ابو مسلم جيشاً الى (هراة) فاستولوا عليها ، وطردوا عاملها ، واتسعت حركته اكثر ، اما نصر بن سيار فقد بث في القبائل روح العصبية ودعاهم الى جمع الكلمة لمحاربة ابي مسلم غير العربي ، ووقعت الحرب ، وكان ابو مسلم اذا هزم جيش نصر بن سيار وأسر من اصحابه الاسراء كساهم وداوى جراحهم واطلقهم [1] فكان هذا عاملاً آخر على نجاح الدعوة .

وفي سنة ١٣٠ هـ ، كان ابو مسلم قد تغلب على (مرو) العاصمة ودخلها فاتحاً ونزل دار الامارة ، ودعا هناك الى البيعة ، وكان نص البيعة كما يلي :

« ابايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، والطاعة للرضا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق ، والعتاق ، والمشي الى بيت الله الحرام ، وعلى ان لا تسألوا رزقاً ولا طعماً حتى يبتدئكم به ولاتكم »[2] .

---

(١) ابن الاثير ج ٥ ص ٣٧٠ . (٢) المصدر المتقدم ص ٣٨٠ .

واستبشر الخراسانيون واحسنوا الظن بالدعوة . وايقنوا ان عهد الظلم والفتك والفساد باسم الاسلام وشريعته سيذهب بذهاب الامويين وحكامهم ، لا سيما ونصوص البيعة التي جاء بها ابو مسلم كانت واضحة وصريحة ، بأنها دعوة الى كتاب الله وسنة رسوله ، يشترط فيها الرضا بمن يبايع على هذا من آل بيت رسول الله . فاندفعوا بحماس منقطع النظير الى جمع الاموال وارسالها الى العراق لتموين الثورة وتغذيتها ، وهبوا يجنـــدون انفسهم ، ويبذلون ارواحهم لترسيخ هذا الهدف الذي يرمي اليه الاسلام ، وكان ابو مسلم الخراساني يبذل قصارى الجهد في جمع المال وتحويله الى الكوفة . ويحشد الجيوش بأقصى ما يملك من قوة واستطاعة مقابل الجيوش الاموية المحاربة ، ومقابل جيوش الترك فيما وراء النهر ، فبمال الخراسانـــيين ، وبايمانهم بالاسلام ، وبجيوشهم قامت الدعوة العباسية على ما توقع محمد بن علي بن عبد الله وعلى ما اشار اليه داود بن علي وابو جعفر المنصور وغيرهم من خلفاء العباسيين [1] ، ولولا الخراسانيون لما تم شيء من هذا ، يقول الدكتور زكي محمد حسن عن ذلك : « ... ولا غرو فقد قامت الدولة العباسية عـــلى اكتاف الايرانيين في خراسان »[2] . ولم يدر الخراسانيون ان هذه البيعة هي الاخرى ستكون حبراً على ورق ، وان سيرة الحكام العباسيين والخلفـــاء العباسيين في الغالب ستكون كسيرة الخلفاء الامويين وعمالهم ، جمعاً للثروة على حساب الشعب ، وتقتيلاً في النفوس ، وتمثيلاً بالجثث . وتعذيباً للخصوم والمنافسين على غير سنة الله ورسوله وشريعة الاسلام فيما سنمر عليه بايجاز فيما يأتي :

والتحق قحطبة بن شبيب بجيش ابي مسلم ، وهو احد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم ابراهيم الامام فقد عهد اليه ابو مسلم بقيادة الجيوش الخراسانية ،

---

(١) معجم البلدان — مادة خراسان — تاريخ الامم والملوك — الكامل لابن الاثير ج ٥ ص٤١٩ .

(٢) الفنون الايرانية — الدكتور زكي محمد حسن — ص ١٤ مط دار الكتب المصرية — القاهرة .

فكان أينما حل بجيشه دعا اتباع بني امية من الجيوش وجلّهم من مضر الى المبايعة على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى الرضا من آل محمد فاذا ابوا ولم يجيبوه قاتلهم ، وقد جرى قتال عظيم بين الجيوش الخراسانية والاموية ادى الى ان يبلغ عدد القتلى حول مدينة طوس وحدها نحو بضعة عشر الفاً !! اما المعركة التي قتل فيها (نباتة) فقد بلغ عدد القتلى فيها عشرة آلاف نسمة . !!

وقسا قحطبة قسوة قواد الامويين فقتل من اهل جرجان ما يزيد على ثلاثين الفاً .

وهرب نصر بن سيار بجيشه من مدينة الى اخرى وانسحبت جيوشه حتى خرج من خراسان كلها وسار بمن معه من الجيش الى (الري) منتظراً المدد من جيوش العراق ، وهناك مات نصر ودفن بساوه سنة ١٣١ هـ ، بعد ان اصبحت كل خراسان تحت قبضة ابي مسلم الخراساني وإمرته ، وقد بايعته كل خراسان ودون استثناء على النص الذي اوزده وعلى الرضا من آل محمد وانضم اليه بعض اليمانيين ، وبجيش خراسان هذا فتح قحطبة وابنه الحسن (همدان) و(اصفهان) و(نهاوند) وسائر جهات ايران ، ثم فتح بعد ذلك العراق ، ومات غريقاً في الفرات ، وتولى ابنه الحسن بن قحطبة قيادة الجيش وكان ابو مسلم يدير حركة الجيوش من مقره بخراسان وينصب العمال والولاة وينفق على الجيوش في جميع الجهات مما كان يجمع من الاموال ، وهو الذي عين أبا مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي على البصرة بعد فتحها .

وبويع ابو العباس السفاح سنة ١٣٢ في مسجد الكوفة اول خليفة من بني العباس ، فصعد المنبر بعد الصلاة وخطب ، وكان موعوكاً فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر وقام عمه داود بن علي على مراقي المنبر واتم خطبته بخطبة امتدح فيها اهل خراسان واعترف بفضلهم وقال فيما قال :

« يا اهل الكوفة ، إنّا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى

اباح الله شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا ، وابلج بهم حجتنا ، واظهر بهم دولتنا ، واراكم الله بهم ما لسّم تنتظرون »[١] .

وفي معركة (الزاب) ومروان بن محمد آخر خلفاء الامويين يقود جيشه — وقد رأى جيش خراسان وبسالته التي طوت كل هذه البلدان وجاءت تحاربه في عقر داره — قال رجل كان مع مروان :

« لعن الله (ابو مسلم) حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم ؟ »[٢] .

وحين اشتدت المعركة وعبد الله بن علي يقود الجيوش قبال مروان نادى عبد الله :

« يا اهل خراسان ! يا لثارات ابراهيم »[٣] .

وقتل مروان آخر خلفاء بني أمية — على ما روى الطبري — بصيحة استفزازية من عامر بن اسماعيل الحارثي باللغة الخراسانية إذ نادى وهو يحمل على مروان قائلاً : « يا جوانكتان دهيد »[٤] .

وفي حرب المنصور لابن هبيرة وحصاره لواسط كان يحوط حجرة المنصور عشرة آلاف من اهل خراسان ، وكان السفاح لا يقطع امراً دون ابي مسلم .

يقول البرفسور (رينولد . أ . نكلسن) :

« لقد حكم العباسيون الذين احيطوا بحرس خاص قوي من جند خراسان الذين كانوا يعولون على اخلاصهم »[٥] .

وعلى ان الخلافة العباسية قد قامت بناء على ما مر على اكتاف الخراسانيين

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٤١٥ مط صادر . (٢) المصدر المتقدم ص ٤١٨ . (٣) المصدر المتقدم . (٤) الطبري ج ٦ ص ٩٧ — والاصوب ان تكون الصيغة على هذا النحو (يا جوانك تن دهيد) ومعناها ايها الفتيان احملوا بجلد وشجاعة وصبر ، او اعطوا المعركة الحل المطلوب (المؤلف)
(٥) تاريخ الادب العباسي ص ٢٥ ترجمة الدكتور صفاء خلوصي .

واهم فقد بدأ العباسيون ينهجون نهج الامويين في خراسان ومع الخراسانيين ، فقد قتل السفاح وزيره أبا سلمة لمجرد اتهامه بالميل الى العلويين بعد ان كان العباسيون يسمون ابا سلمة (بوزير آل محمد) ، وقتل المنصور أبا مسلم الخراساني لمجرد تخوفه من شخصيته بعد ان كان العباسيون يسمون ابا مسلم (بأمير آل محمد) ، وكان ابراهيم الامام يقول له : : « انك منّا اهل البيت » بالاضافة الى سفك الدماء والتشريد والتعذيب والسلب والنهب الذي يقرأه القارىء في تاريخ العباسيين بخراسان .

عمال العباسيين في خراسان

وكان ابو مسلم الخراساني اول عامل خراساني لأول خليفة عباسي في خراسان والجبال ، وذلك في سنة ١٣٢ كما كان خالد بن برمك ــ وكان قد وافق الحملة الخراسانية من خراسان حتّى تم القضاء على بني امية ــ اول خراساني تولى ديوان الخراج .

وفي امارة ابي مسلم الخراساني خرج شريك بن شيخ المهري ببخاري على حكومة العباسيين ، ونقم على ابي مسلم قائلاً : « وما على هذا اتبعنا آل محمد ان تسفك الدماء ، وأن يعمل بغير الحق » وتبعه على رأيه اكثر من ثلاثين الفاً ، فوجه اليه ابو مسلم زياد بن صالح الخزاعي وقتله .

وفي امارة ابي مسلم تم فتح ارض (فرغانة) والدخول الى بلاد الترك ، والانتهاء الى ملك الصين .

وفي سنة ١٣٣ هـ ، وجّه ابو مسلم زياد بن صالح الى حرب الترك فوقع القتال على نهر (طراز) فظفر المسلمون بهم وقتلوا منهم زهاء خمسين الفاً ! ! واسروا نحو عشرين الفاً ، وهرب الباقون الى الصين .

وفي سنة ١٣٤ هـ ، اقبل جيش الصين ونزل في (طلخ) فأخرج ابو مسلم ياد بن صالح الى حربه وانجده بجيش من الخراسانيين ووقعت معركة كبيرة

انتهت بانهزام الصينيين وتوغل جيش المسلمين في الصين [١].

وفي هذه السنة نفسها غزا ابو داود خالد بن ابراهيم اهل (كش) وقتل ملكها (الاخريد) وهو سامع مطيع، وقتل اصحابه، واخذ منهم من الأواني الصينية المنقوشة المذهبة ما لم ير مثلها، ومن السروج ومتاع الصين كله من الديباج والطرف شيئاً كثيراً فحمله الى ابي مسلم وهو بسمرقند، وقتل عدة من دهاقينهم !! وانصرف ابو مسلم الى (مرو). بعد ان أمر ببناء سور سمرقند.

وفي سنة ١٣٥ خرج زياد بن صالح على ابي مسلم فخرج ابو مسلم لحربه حتى تم له قتله، واكتشف ابو مسلم في هذه الحملة ان السفاح كان قد ارسل سباع بن النعمان الأزدي الى زياد بن صالح يأمره بأن يثب على ابي مسلم ويقتله ان حانت له فرصة، وان زياداً لم يثب الا بتحريض من السفاح ولكنه اخفق وقتل.

وفي سنة ١٣٦ كتب ابو مسلم الى السفاح يستأذنه في القدوم الى الحج وكان منذ قيامه بالثورة لم يفارق خراسان فكتب اليه السفاح باذنه على ان لا يصحب معه اكثر من خمسماية جندي، ويبدو ان السفاح كان يحاذر من ابي مسلم، فكتب له ابو مسلم بأنه قد وتر الناس، وانه ليس آمناً على نفسه ما لم يتخذ الحيطة الكافية من زيادة عدد الجنود فاذن السفاح له بألف جندي، ولا يبعد ان يكون ابو مسلم قد حاذر بطش السفاح به خصوصاً وقد كان مسبوقاً بذلك في ثورة زياد بن صالح عليه، لذلك سار في ثمانية آلاف وقد فرقهم بين نيسابور والري وخلّف على خراسان أبا داود في محله، وتلقاه السفاح بالبشر والاكرام، واذن له بالحج.

وكان المنصور قد اقنع السفاح بوجوب الغدر بأبي مسلم حذراً من شخصيته

---

(١) فتح العرب للصين — للدكتور دي، ايم، دنلوب ترجمة يوسف يعقوب مسكوني ص ١٠ مط شفيق — بغداد

ومكانته في الاوساط الخراسانية ، وامتنع السفاح في اول الامر ثم رضي وسأل المنصور : ولكن كيف نقتله ؟ قال المنصور : اذا دخل عليك وجاذبته الحديث ضربته انا من خلفه ضربة قتلته بها ، قال وكيف بأصحابه ؟ قال ابو جعفر : لو قتل لتفرقوا وذلّوا ، ثم ندم السفاح على ذلك وأمر أبا جعفر بالكف عنه [١] .

وحج ابو مسلم ، وكان الحاج بالناس ابو جعفر المنصور ، ومات السفاح ، وبويع المنصور بالخلافة وهو بمكة ، وقيل ان ابا مسلم كان قد تقدم على ابي جعفر المنصور في الرجوع من الحج لذلك عرف بخبر موت السفاح قبل ان يعرف المنصور فكتب للمنصور :

« عافاك الله ومتع بك ، انه أتاني أمر أفظعني ، وبلغ مني مبلغاً لم يبلغه مني شيء قط ، وفاة امير المؤمنين ، فنسأل الله ان يعظم اجرك ، ويحسن الخلافة عليك ، انه ليس من اهلك احد اشد تعظيماً لحقك ، واصفى نصيحة لك ، وحرصاً على ما يسرك : مني »[٢] .

وكان السفاح قبل ان يموت بعث بعمه عبد الله بن علي في غزوة الصائفة للحرب مع الروم ومعظم جنده من الخراسانيين فلما مات السفاح دعا عبد الله الناس الى نفسه وتابعه الكثير .

وعند عودة المنصور الى العراق دخل عليه ابو مسلم ، وكان المنصور جازعاً فقال له ابو مسلم ما هذا الجزع وقد اتتك الخلافة ؟ قال انما اتخوف شرّ عمي عبد الله بن علي وشغبه علي ، قال ابو مسلم : لا تخفه فأنا اكفيكه ان شاء الله فان عامة جنده ومن معه هم من اهل خراسان ولا يعصونني ، فسرّي عن المنصور .

وروى ابن الاثير ان ابا مسلم بعد عودته من الحج قال للمنصور : « ان شئت جمعت ثيابي في منطقي وخدمتك ، وان شئت اتيت خراسان فأمددتك

---

(١) الطبري ج ٦ ص ١١٩ – ابن الاثير ج ٥ ص ٤٥٩ .   (٢) الكامل ج ٥ ص ٤٦٤ .

بالجنود ، وان شئت سرت الى حرب عبد الله بن علي » فأمره المنصور بالمسير لحرب عمه عبد الله فسار ابو مسلم بالجنود ولم يتخلف عنه احد .

وكان عبد الله بن علي قد خشي ان لا يناصحه اهل خراسان الذين كانوا معه فأمر بقتلهم فقتل منهم نحواً من سبعة عشر الفاً ! ! فكان هذا دليلاً آخر عند الخراسانيين بأن الحكم في عهد العباسيين هي كالحكم في عهد الامويين كلاهما خارج على حدود الاسلام والشريعة الاسلامية .

والتحم الجيشان جيش ابي مسلم وجيش عبد الله ، وبعد عدة شهور مضت بين كرّ وفر وحرب قاسية تغلب ابو مسلم وفرّ عبد الله بن علي، وآمن ابو مسلم الناس بعد الهزيمة ، وأمر بالكف عنهم ، وعاد بجيشه الى حلوان ، وهي بالقرب من حدود السواد من بغداد ، وساءت ظنون ابي مسلم بالمنصور كما ساءت ظنون ابي جعفر بأبي مسلم فأرسل المنصور من يطمن ابا مسلم ويستدعيه اليه ولكن ابا مسلم لم يعد ، وتبادلا الرسائل وكتب له ابو مسلم يقول :

« اما بعد فاني اتخذت رجلاً اماماً ودليلاً على ما افترض الله على خلقه ، وكان في محلّة العلم نازلاً ، وفي قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً ، فاستجهلني بالقرآن [1] فحرّفه عن مواضعه طمعاً في قليل قد نعاه الله الى خلقه فكان كالذي دلّى بغرور ، وأمرني ان أجرد السيف وارفع الرحمة [2] ولا اقبل المعذرة ، ولا اقيل العثرة ، ففعلت توطيداً لسلطانكم حتى عرّفكم الله من كان جهلكم ، ثم استنقذني الله بالتوبة ، فان يعف عني فقدماً عرف

(١) والمعروف عن ابي مسلم انه كان على جانب كبير من الثقافة الدينية روى عن الكثير وروى عنه الكثير فقد سمع الحديث عن عكرمة ، وابي الزبير المكي ، وثابت البناني ، ومحمد بن عبد الله بن عباس ، والسدير ، وروى عنه ابراهيم بن ميمون الصائغ ، وعبد الله بن المبارك وغيرهما – المؤلف .

(٢) وكان ابو مسلم على ما روى البعض قد قتل في سبيل استقامة الدولة العباسية وترسيخ قدمها نحو ستمايـة الف نسمة صبراً

به ونسب اليه ، وان يعاقبني فبما قدمت يداي ، وما الله بظلام للعبيد » .

وما زال به المنصور يوفد له الوفود وهو بحلوان ويكتب له ويطمنـه ويؤمّنه حتى قدم عليه ولم يأخذ بمشورة الذين حذروه من غدر المنصور واشاروا عليه بالرجوع الى خراسان .

وكان المنصور قد دعا بأربعة من خاصته فأخفاهم عنده ، ودعا أبا مسلم لتناول الغداء معه ، وهناك طلب منه ان يريه السيف الذي قاتل به جيش عمه عبد الله بن علي فدفع ابو مسلم بسيفه اليه ، وحينئذ صفـّق المنصور ــ وكانت تلك علامة بهجوم المختبئين عليه ، وهكذا انتهت حياته قتيلاً بتلك الصورة [1] .

واوصى المنصور حينذاك بتوجيه الجيش الخراساني كل قسم منهم الى جهة وفرقهم قبل ان يعرفوا بمقتل ابي مسلم ، وامر لهم بالجوائز .

ابو داود

وفي سنة ١٣٧ هـ ، استعمل المنصور ابا داود خالد بن ابراهيم على خراسان . وكان ابو مسلم قد استخلفه في مكانه عند خروجه للحج وكان المنصور قد كتب له سراً قبل ان يقتل ابا مسلم بأنه سيستعمله على خراسان اميراً ما دام حياً اذا قطع صلته بأبي مسلم .

وحين بلغ خبر مقتل ابي مسلم خراسان قام (سنباد) وهو مجوسي من (اهروانه) احدى قرى نيسابور مطالباً بدم ابي مسلم ، ولقيت دعوته رواجاً فكثر اتباعه وكانت عامتهم من اهل الجبال ، وتغلب على نيسابور ، وقومس ، والري ، وتسمى بفيروز اصبهبذ ، فوجه اليه المنصور جيشاً كبيراً التقى به بين همدان والري وتغلب عليه ، وكان عدد القتلى من اتباع سنباد على ما روى المؤرخون نحو ستين الفاً ! ! وقد سبيت ذراريهم ، ونساؤهم ، ثم قتل سنباد بعد ذلك .

---

(١) لم نأخذ من هذه الحوادث الا بعض ما له مساس بتاريخ خراسان .

واصبح ابو داود خالد بن ابراهيم موضع اعتماد المنصور ، فحين قبض المنصور على اتباع اعمامه سليمان بن علي ، وعبد الله بن علي ، وعيسى بن علي قتل المنصور بعضهم بمحضره وارسل بالآخرين الى خراسان ليقتلهم ابو داود فقتلهم ابو داود .

وظل الجيش الخراساني ينتدب لكل مهمة مستعصية . ففي سنة ١٣٨ هـ . جهز المنصور خازم بن خزيمة بثمانية آلاف من (المروروذية) في حرب (ملبد) في طريق الموصل .

عبد الجبار الازدي

وفي سنة ١٤٠ هـ ، مات ابو داود عامل المنصور على اثر حادث عصيان من بعض الجيش فسقط من احدى الشرفات وانكسر ظهره ومات ، فاستعمل المنصور عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي على خراسان ، ولما قدمها اتهم جماعة من قواد الجيش بالدعاء الى ولد علي بن ابي طالب كان بين المتهمين مجاشع بن حريث الانصاري عامل بخارى ، وابو المغيرة خالد بن كثير عامل قوهستان ، والحريش بن محمد الذهلي فأخذهم وقتلهم ، وحبس جماعة منهم وبدأ يلح على عمال ابي داود في استخراج ما عندهم من الاموال كما كان يفعل عمال الامويين من قبل وقد بدأ عهد بني أمية في طريقة الحكم يتجدد دوماً فما كأن هناك بيعة ، ونصوص بيعة ، وكتاباً لله ، وسنة لرسوله ، وقد ساء ظن الناس بالحكام العباسيين كما ساء بالامويين من قبل . واضطر المنصور الى استدعاء عبد الجبار فتمرد عبد الجبار عليه ، ولما بلغ ذلك اهل (مرو الروذ) ثاروا في وجه عبد الجبار ، وحاربوه . وقاتلوه قتالاً شديداً حتى انهزم منهم ولجأ الى معطنة فتوارى فيها فعبر اليه المجشّر بن مزاحم من اهل (مرو الروذ) وأسره وحمله الى المنصور ومعه ولده واصحابه ، فبسط المنصور عليهم العذاب حتى استخرج منهم الاموال ثم امر فقطعت يدا عبد الجبار . ورجلاه وضرب عنقه . كما كان يفعل خلفاء بني امية .

المهدي

والمنصور اول من تنبّه الى اهمية خراسان في دعم الخلافة العباسية بالأموال والرجال ، واول من فكر في السياسة التي تضمن له ولاء هذه الامارة وتمدّه بالجيش ولا ريب انه قد افاد من تمرد عبد الجبار الازدي عليه فرشح في هذه المرة ابنه المهدي وارسله الى الري وطبرستان وعهد اليه امارة خراسان وارسل معه خالد بن برمك ليعينه على ادارة الامارة فكان مما قاله خالد للمهدي هو : إن اباك يريد منك ان تكون ولي عهده ، وان ولاية العهد تتطلب منك ان تأخذ من الاموال التي تجبيها على قدر ما يكفيك وتقسم الباقي على مأموريك وجيوشك على ان يكون ما تجبيه من اموال الناس وما تدفعه لمأموريك متفقاً مع مبادىء العدل ، وعلى ان تمشي مع الناس في حكمك بالاحسان والمعروف[1] .

وكان ذلك سنة ١٤١ هـ ، والمهدي لم يزل فتى لم يتزوج بعد ، وكان المهدي قد سار الى خراسان ونزل نيسابور ، وغزا من هناك طبرستان ، وبعد قتال مرير طلب الاصبهذ الامان وسلم له قلعة طبرستان المنيعة ، واخلص له اهل (مرو) وتفانوا في سبيله .

وفي سنة ١٥٠ هـ ، تمرد اهل (هراة) تحت قيادة (استاذ سيس) وانضمت اليه باذخيس ، وسجستان ، وبعض جهات خراسان ، والتقى بهم اهل (مرو الروذ) في قيادة الاجشم المروزذي وقاتلوهم دفاعاً عن العباسيين ، .ووجه المنصور خازم بن خزيمة الى المهدي فولاه المهدي القيادة في حرب (استاذ سيس) وضم اليه بقية القواد، ووقعت المعارك ودارت الدائرة على (استاذ سيس) وقد روى المؤرخون ان عدد القتلى من اتباع (استاذ سيس) قد بلغ سبعين الفاً ! ! اما عدد الاسرى، فقد كان اربعة عشر الفاً ، اما استاذ سيس فقد نجا بنفسه ويقول البعض ان استاذ سيس هذا هو جدّ المأمون لامه .

---

(١) اكرام الناس في تاريخ آل برمك – بالفارسية ص ١٥ مط بمبي – مكتبة الحاج حسين ملك

حميد بن قحطبة

وتوجه المهدي الى الحج ثم اقتضى بعد ذلك ان يتوجه الى (الرقة) لذلك استعمل المنصور حميد بن قحطبة على خراسان وكان ذلك في سنة ١٥٢ ه ، فغزا حميد (كابل) واخضع الجانب الشرقي من خراسان ، وبقي اميراً على خراسان الى سنة ١٥٩ وهي السنة التي مات فيها ، وكان ذلك في خلافة المهدي .

ابو عون عبد الملك

وفي سنة ١٥٩ ه ، استعمل المهدي على خراسان أبا عون عبد الملك بن يزيد وقد وقف الخراسانيون في هذه السنة موقفاً حازماً في تأييد المهدي بخلع عيسى بن موسى الذي كان يجب ان تعود الخلافة اليه بعد المهدي بمقتضى البيعة السابقة فحصروا ولاية العهد بعد المهدي بموسى بن المهدي حتى اضطر عيسى ابن موسى الى التنازل عن ولاية عهده ومبايعة موسى بن المهدي ولياً للعهد ، وقد دفع له المهدي لقاء ذلك عشرة آلاف الف اي (عشرة ملايين) وقيل بل عشرين الف الف وقطائع كثيرة . وصعد المهدي المنبر واعلن الناس بما اجمع عليه اهل بيته وانصاره من اهل خراسان (كذا) .

وفي كتاب العهد الذي كتبه عيسى للمهدي على ما روى الطبري جاء فيه : انه عهد يكتبه لامير المؤمنين المهدي ولولي عهده موسى بن المهدي ، ولاهل بيته ، وجميع قواده وجنوده من اهل خراسان (كذا) .

ثم يقول في العهد : وقد جعلت للمهدي وولي عهده ولعامة المسلمين من اهل خراسان(كذا) وغيرهم الوفاء ... الخ وهذا ما يستدل به على قيمة خراسان وشأنها في كيان الدولة الاسلامية بحيث ينصون عليها في البيعة وفي الوصية .

وفي سنة ١٦٠ ه ، خرج يوسف بن ابراهيم على المهدي بخراسان آخذاً على المهدي السيرة التي يسير عليها في خلافته ، واجتمع معه على ذلك جمع كثير من الاتباع ، فتوجه اليه يزيد بن مزيد واقتتل الجيشان وتغلب عليه يزيد وأسره

وبعث به من خراسان الى المهدي ، فأمر المهدي بقطع يدي يوسف ورجليه ، وضرب عنقه ، واعناق اصحابه وصلبهم على جسر دجلة الاعلى ، وتولى هرثمة قتل يوسف بنفسه لان يوسف كان قد قتل اخاً لهرثمة بخراسان .

ولم ترض سيرة ابي عون عامل خراسان المهدي فما لبث ان سخط عليه وعزله . والمعروف ان ابا عون كان اول عامل عاش في خراسان عيشة تقشف وزهد وكان بيته مبنياً باللبن حتى لقد ندم المهدي على عزله وتعجب وقال : كنت اظن ان بيته مبني بالفضة والذهب .

معاذ بن مسلم

وفي سنة ١٦٠ استعمل المهدي معاذ بن مسلم اميراً على خراسان ، وفي ايام ولايته كان خروج (حكيم المقنع) بخراسان مبشراً بدعوة دينية ترمي الى القول بتناسخ الأرواح وقد آمن به كثير حتى قوي وصار الى ما وراء النهر من بلاد الترك فحاربه معاذ بن مسلم ومعه عقبة بن مسلم وسعيد الحرشي الذي تولى اخيراً قيادة حربه وحصره بمدينة (كش) وشدد الحصار عليه ، وحين يئس (المقنع) شرب سماً وسقاه نساءه واهله فمات وماتوا معه خشية ان يؤول بهم الامر الى السبي ، واحتل الحرشي قلعته ، واحتز رأسه ، وبعث به من خراسان الى المهدي .

المسيب بن زهير

وفي سنة ١٦٣ عزل المهدي معاذ بن مسلم من امارة خراسان وولاها المسيب بن زهير ، وفي سنة ١٦٦ هـ ، اضطربت خراسان على المسيب ابن زهير فعزل من امارتها .

الفضل بن سليمان

واستعمل المهدي الفضل بن سليمان الطوسي سنة ١٦٦ هـ ، ووجه في

سنة ١٦٧ ابنه وولي عهده موسى الى جرجان لحرب المتمردين بطبرستان ، ويستبان من الحوادث انه قد بدا للمهدي ان يعهد بولاية العهد من بعده الى هرون فقد ذكر بعض المؤرخين ان المهدي قد كتب لابنه موسى بجرجان ان يتنازل عن ولاية العهد لاخيه هرون وكان ذلك في سنة ١٦٩ ولكن موسى تنمّر ولم يلبّ طلب ابيه ، فصمم المهدي على الخروج بنفسه الى جرجان ومعالجته الامر هناك ، وفي الطريق اعتل المهدي ومات ، وقيل بل انه مات في خروجه للصيد ولم يكن يقصد جرجان .

وبقي الفضل اميراً على خراسان حتى سنة ١٧١ هـ ، في خلافة هرون الرشيد ، وقد استدعاه الرشيد واستوزره الى جانب يحي بن خالد .

جعفر بن محمد — العباس — الغطريف — حمزة

واستعمل هرون الرشيد بعد استدعاء الفضل بن سليمان الطوسي : جعفر ابن محمد بن الاشعث ، وفي سنة ١٧٣ أقدم الرشيد جعفر بن محمد الاشعث من خراسان وولاها ابنه العباس بن جعفر بن محمد ثم عزله سنة ١٧٥ وولاها خاله الغطريف بن عطاء ، وفي سنة ١٧٦ عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان وولاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي ، وفي سنة ١٧٧ عزل الرشيد حمزة بن مالك .

الفضل بن يحي

وفي هذه السنة ١٧٧ هـ ، ولى الرشيد امارة خراسان الفضل بن يحي بن خالد اضافة الى ما كان قد ولاه سابقاً من بلاد الجبال والري وسجستان ، ولم تكن خراسان على ما يرام من حيث الاستقرار فكان عهد الفضل أول عهد عرفت فيه خراسان الامن والاستقرار والعدل والعمران منذ اول عهدها بالعمال الامويين حتى ذلك التاريخ من العهد العباسي فقد روى الطبري ان الفضل حين قدم خراسان سنة ١٧٨ والياً احسن السيرة . وبنى المساجد ،

والرباطات ، وغزا ما وراء النهر ، واخضع ملك (أشروسنة) وكان ممتنعاً ، واتخذ بخراسان جنداً من اهل خراسان سماهم العباسية ، وجعل ولاءهم لهم ، وقد بلغت عدتهم خمسماية الف رجل ، وقد قدم منهم بغداد عشرون الفاً فسمّوا ببغداد (الكرنبية) وخلف الباقي منهم بخراسان على اسمائهم ودفاترهم وفي ذلك مما قاله مروان بن ابي حفصة :

ما (الفضلُ) الا شهابٌ لا أفولَ له ... عندَ الحروبِ اذا ما تَأفَلُ الشهبُ
أمستْ يدٌ لبني ساقي الحجيج بها ... كتائبٌ ما لها في غيرِهِمْ أرَبُ
كتائب لبني العباسِ قد عرفَتْ ... ما ألّفَ (الفضلُ) منها العُجم والعربُ
أثبتَّ خمسَ مئينٍ في عِدادِهمُ ... من الالوفِ التي أحصتْ لكَ الكُتُبُ
يُقارِعونَ عن القومِ الذينَ هُمُ ... أولى بأحمدَ في الفُرقان إن نُسِبوا [1]

وقد وجّه الفضل أحد قواده الى (كابل) فافتتحها ، وغنم غنائم كبيرة ، وازدهرت خراسان وعمرت ، وساد الامن جميع ربوعها ، وكثرت هبات الفضل ، وعطاياه . واصبحت خراسان اكثر من اي وقت ولاء للعباسيين وتعلقاً بهم في عهد الفضل بن يحي ، وقد اشار الى ذلك بعض الشعراء عند عودة الفضل من خراسان سنة ١٧٩ ، وقد تضمنت احدى قصائد مروان بن حفصة هذا الازدهار ، وسيادة العدل واستتباب الامن ، واطمئنان النفوس في بعض ما جاء منها اذ يقول :

نفى عن خراسانَ العدو كما نفى ... ضُحى الصُبح جلبابَ الدجى فَتفرّدا
لقد راعَ من أمسى (بمرو) مسيره ... الينا وقالوا شَعبُنا قد تبدّدا
على حين ألقى قفلَ كلِ ظلامةٍ ... واطلقَ بالعفوِ الأسيرَ المقيّدا
وأفشى بلا من مع العدلِ فيهمُ ... أياديَ عُرفٍ باقياتٍ وعُوّدا
فَأذهبَ روعاتِ المخاوفِ عنهم ... واصدرَ باغي الامن فيهم واوردا

---

(١) تاريخ الامم والملوك (الطبري) ج ٦ ص ٤٦٢ مط الاستقامة .

وبذلك اعاد الفضل الاطمئنان الى النفوس وزال ذلك الاضطراب الذي كان سائداً خراسان يوم ارسل الفضل ليعيد اليها السكينة .

يقول عمر بن عبد الرزاق : وفي هذه المدة التي شغل فيها الفضل امارة خراسان كانت خراسان مضرب المثل في سيادة العدل ، وتقدير اهل العلم ولحسن اختياره للذين ولاهم الحكم في المدن ممن عرفوا بحسن التدبير والتقوى عمّ العدل جميع نواحي خراسان ، وانتعشت الاحوال الاقتصادية لحد كبير حتّى لهجت جميع الالسن بفضله واحسانه وعدله وحسن تدبيره [١] .

منصور – جعفر بن يحي – عيسى بن جعفر

وفي سنة ١٧٩ ولى الرشيد منصور بن يزيد بن منصور الحميري امارة خراسان ولم تمض سنة حتّى ولاها جعفر بن يحي ولكن امارة جعفر لم تدم اكثر من عشرين يوماً حتّى عزله الرشيد وولى عيسى بن جعفر .

المأمون

وفي سنة ١٨٢ بويع لعبدالله بن الرشيد بولاية العهد بعد اخيه الامين وسمي بالمأمون وولاه الرشيد امارة خراسان وما يتصل بها الى همدان ، وحينما حج الرشيد سنة ١٨٦ سجل هذه البيعة في كتاب تضمن وصيته من بعدهوقد كتبه الأمين بطلب من ابيه بخطه يقول فيه :

« هذا كتاب لعبدالله هارون امير المؤمنين كتبه محمد بن هارون (الأمين) وقد ولاني العهد من بعده ، وولى عبد الله (المأمون) العهد والخلافة بعدي برضى مني طائعاً غير مكره ، وولاه خراسان وثغورها وكورها ، وحزبها ، وجندها ، وخراجها وطرزها ، وبريدها ، وبيوت اموالها ، وصدقاتها ،

---

(١) تاريخ آل برمك لعمر بن عبد الرزاق الكرماني – بالفارسية – ص ١٧ – ٢٠ مط باريس فرنسا ، مكتبة الحاج حسين الملك .

وعشرهـــا ، وعشورها ، وجميع اعمالها في حياته وبعـــده » ، الى ان يقول :

« .. فان حدث بأمير المؤمنين (هارون) حدث الموت ، وافضت الخلافة الى محمد بن امير المؤمنين (الامين) فعلى محمد انفاذ ما امره به هارون في تولية عبد الله (المأمون) خراسان ، وثغورها ومن ضمّ اليه من أهل بيت مير المؤمنين » — ثم يعين المنطقة فيقول — « من لدن الري الى اقصى عمل خراسان ليس لمحمد (الامين) ان يحوّل عنه قائداً ولا مقوداً ، ولا رجلاً واحداً ممن ضم اليه امير المؤمنين ولا يُحوّل عبد الله المأمون ، عن ولايته التي ولاها اياها هارون من ثغور خراسان وأعمالها كلها ما بين عمل الري مما يلي همذان الى اقصى خراسان وثغورها ، وبلادها ، وما هو منسوب اليها ، ولا شخصه اليه ،ولا يفرق احداً من اصحابه وقواده عنه ، ولا يولي عليه احداً ، ولا يبعث عليه ولا على احد من عماله وولاة اموره بندار ولا محاسباً ولا عاملاً » . الى ان يقول :

« فان اراد محمد (الامين) خلع عبد الله (المأمون) عن ولاية العهد من بعده او عزل عبد الله عن ولاية خراسان وثغورها واعمالها والذي من حد عملها مما يلي همذان والكور التي سماها امير المؤمنين في كتابه ... الخ فلعبد الله ابن هارون الخلافة بعد امير المؤمنين ، وهو المقدم على محمد بن امير المؤمنين وهو ولي الأمر بعد أمير المؤمنين والطاعة من جميع قواد امير المؤمنين هارون من اهل خراسان واهل العطاء ... الخ [١] » .

ومن هذه الوصية يستبان قدر خراسان واهميتهـــا بين جميع الاقاليم الاسلامية الاخرى ومبلغ ما كان يعتمدها الخلفاء بحيث ينص الرشيد على خلع خلافة ابنه الامين اذا اراد ان يخل بشروط الولاية على خراسان .

---

(١) ملخص من عصر المأمون ج ٢ ص ٢٤٤ ، والطبري ج ٦ ص ٤٧٦ واليعقوبي .

علي بن عيسى

وكان علي بن عيسى بن ماهان قد فوض اليه الرشيد امارة خراسان باسم المأمون سنة ١٨٣ هـ ، وكان قد استشار يحي بن خالد في تعيينه فأشار عليه يحي بأن لا يفعل ، ولكن الرشيد لم يعمل بمشورته واستعمل علي بن عيسى على خراسان ، فلما شخص علي بن عيسى الى خراسان ظلم الناس ، وضيّق عليهم ،وجمع اموالاً طائلة ، ووجه الى هرون مما جمع هدايا قيل انه لم يجمع مثلها قط من الخيل والرقيق ، والثياب ،والمسك ، وصنوف الاموال ، فجلّ هرون قدر علي بن عيسى وقال ليحي بن خالد على سبيل الدعابة : « هذا الذي اشرت علينا ان لا نوليه هذا الثغر فخالفناك فيه فكان في خلافك البركة ، فقد ترى ما انتج رأينا فيه وما قل من رأيك » .

فقال يحي : « يا امير المؤمنين جعلني الله فداك ، انا وان كنت أحب ان اصيب في رأيي ، وأوفق في مشورتي ، فأنا احب من ذلك ان يكون رأي امير المؤمنين أعلى ، وفراسته أثقب ، وعلمه اكثر من علمي ، ومعرفته فوق معرفتي ، وما احسن هذا واكثره ان لم يكن وراءه ما يكره امير المؤمنين ، و ما اسأل الله ان يعيذه ويعفيه من سوء عاقبته ، ونتائج مكروهه » .

قال الرشيد : « وما ذاك لأعلمه ؟ »

قال « ذاك اني احسب ان هذه الهدايا ما اجتمعت له حتى ظلم فيها الاشراف واخذ اكثرها ظلماً وتعدياً ، ولو امرني امير المؤمنين لأتيته بضعفها الساعة من بعض تجار الكرخ » .

قال الرشيد : « وكيف ذاك ؟ »

قال يحي : « قد ساومنا (عوناً) على السقط الذي جاءنا به من الجوهر واعطيناه به سبعة آلاف الف فأبى ان يبيعه ، فابعث اليه الساعة بحاجبي يأمره ان يرده الينا لنعيد فيه نظرنا ، فاذا جاء به جحدناه وربحنا سبعة آلاف ثم كنا

نفعل بتاجرين من كبار التجار مثل ذلك ، وعلى ان هذا اسلم عاقبة واستر امراً من فعل (علي بن عيسى) في هذه الهدايا بأصحابها فاجمع لامير المؤمنين في ثلاث ساعات اكثر من قيمة هذه الهدايا بأهون سعي ، وأيسر امر ، واجمل جباية،مما جمع (علي بن عيسى) في ثلاث سنوات » [1] فسكت الرشيد ولم يعلق بشيء على كلام يحي بن خالد .

وفي سنة ١٨٣ خرج (ابو الخصيب) بمدينة (نسا) من خراسان فسوى علي بن عيسى أمره وآ نه واكرمه ، وفي سنة ١٨٥ عاد (ابو الخصيب) فتمرد وخرج واستولى على طوس ، ونيسابور ، وزحف على مرو ، وقوي امره ، فخرج علي بن عيسى بن ماهان من (مرو) لحربه وكان ذلك في سنة ١٨٦ وقتله في (نسا) وسبى نساءه وذراريه .

وقبيل خروج (ابي الخصيب) للمرة الثانية كان قد خرج (حمزة الشاري) فوثب (عيسى بن علي) وهو ابن علي بن عيسى على حمزة الشاري واتباعه وقد قدر المؤرخون عددهم بعشرة آلاف مقاتل فظفر بهم عيسى بن علي وقتلهم ، وبلغ كابل ، و زابلستان ، والقندهار .

ولقد اصاب يحي بن خالد في رأيه حين اشار على الرشيد بعدم استعمال علي بن عيسى ، فقد عاث علي بن عيسى في خراسان ووتر اشرافها ، واخذ اموالهم ، واستخف برجالهم ، فكتب الكثير من كبراء القوم والدهاقين والاشراف وسكان الكور والدساكر يشكون ظلم علي بن عيسى الى الرشيد ، ويستغيثون بالله من جوره وسوء سيرته ، وقد قيل للرشيد ان علي بن عيسى قد اجمع على خلافك فشخص الرشيد الى الري، وهناك اعاد تثبيت البيعة لأولاده واعاد تثبيت النص على ان تكون خراسان ضمن ولاية (المأمون) التي يجب ان لا يعارضه فيها احد . وقد قدم عليه علي بن عيسى في الري ، وجاء معه من خراسان بالاموال والهدايا والطرف من المتاع والمسك والجوهر ،

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٥٠٥ — ٥٠٦ مط الاستقامة .

وآنية الذهب والفضة ، والسلاح والدواب على ما يعدّد المؤرخون ، واهدى الى جميع من كان مع الرشيد من ولده واهل بيته، وكتابه، وخدمه،وقواده على قدر طبقاتهم ومراتبهم ، فرضي عنه الرشيد ، ورده الى خراسان وكان ذلك في سنة ١٨٩ .

وفي سنة ١٩٠ خرج رافع بن الليث بن نصر بن سيار وتبعه من الاتراك عدد كبير وقد تم له قتل عيسى ن علي بن عيسى وهو القائد الذي ولاه ابوه علي بن عيسى قيادة الجيش لقتال رافع بن ليث ، فساق علي بن عيسى الجيش لقتال رافع وكتب الى الرشيد انه اضطر الى ان يبيع حلي نسائه وينفق الثمن في حرب رافع ، في حين كان يبلغ الرشيد ان علي بن عيسى يجمع مالاً كثيراً وانه قد أذلّ الاعالي من خراسان واشرافهم ، وكان يستولي على اموال الناس قسراً ، حتى لقد اشترى مرة درقة ثمينة على كره من صاحبها بثلاثة آلاف ولم يدفع له ثمنها ! فأقام صاحبها حولاً ينتظر ركوب علي ن عيسى ليراه وليبلغه بعدم تسلمه ثمن الدرقة ، وحين ركب علي ن عيسى عرض له الرجل واخبره ، فصاح به علي بن عيسى وقذف أمّه ، الى غير ذلك مما استحوذ عليه من الضياع والعقار والجواهر في حين يقول انه اضطر ان يبيع حلي نسائه لضيق ذات يده .

وقوي سلطان علي بن عيسى وبدرت منه بوادر تدل على الخلاف على الرشيد حتى لقد خشي الرشيد ان يعصي عليه لو امر بعزله او استدعائه اليه ، وكانت ثورة (رافع بن الليث) في شمال خراسان قد اتسعت فاتخذ منهـا الرشيد حجة لمعالجة الوضع مع علي بن عيسى واحتال عليه بأن عيّن (هرثمة ابن اعين) كقائد ووزير لعلي بن عيسى واوفده الى خراسان ليساعد علي بن عيسى في حرب رافع بن الليث في الظاهر ، اما في الباطن فقد كتب الرشيد لهرثمة بن اعين عهداً بالامارة على خراسان ، وجهزه بالجيش والهدايا والاموال ليقدمها الى علي بن عيسى ليستعين بها في حرب رافع بن الليث ظاهراً ثم ليقبض عليه وينهي قضيته .

هرثمة بن اعين

واقبل ابن اعين في سنة ١٩١ الى خراسان متظاهراً بأنه إنما جاء فلكي يدعم قوات علي بن عيسى في اخماد ثورة رافع بن الليث . وقد احسن هرثمة تمثيل الدور . وأحسن التدبير ففوض الى من يعتمد عليهم الوثوب على علي ابن عيسى واولاده واصحابه في الوقت المناسب ووفق الخطة التي اختطها . وقد تم له ذلك بكل سهولة وقبض عليه ، واستصفى ماله فاذا به ثمانون الف الف الف (ثمانون مليوناً) هذا عدا ثلاثين الف الف كان قد خبأها ابنه عيسى قبل ان يقتل في احد البساتين .

وحين قدم الرشيد خراسان سنة ١٩٣ وافوه هناك بخزائن علي بن عيسى وكان يحملها ١٥٠٠ بعير !!

وهناك في المسجد بمرو خطب هرثمة وقرأ عهد الرشيد وكتابه الذي كتبه الرشيد بخطه الى علي بن عيسى والذي جاء فيه :

« يا ابن الزانية ، رفعت من قدرك ، ونوهت باسمك . واوطأت سادة العرب عقبك ، وجعلت ابناء ملوك العجم خولك واتباعك . فكان جزائي : أن خالفت عهدي . ونبذت وراء ظهرك امري . حتى عثت في الارض . وظلمت الرعية ... وقد وليت هرثمة بن اعين مولاي ثغر خراسان وأمرته ان يشد وطأته عليك وعلى ولدك وكتابك ، وعمالك . ولا يترك وراء ظهوركم درهماً ، ولا حقاً لمسلم ، ولا معاهد الا اخذكم به حتى ترده الى اهله »[١] .

وكان هرثمة قد أعد معه عدداً كبيراً من القيود الحديدية . وقد زج به جميع من قبض عليهم . وارسل علي بن عيسى مقيداً الى الرشيد ، فحبسه الرشيد في داره ثم استعمله الأمين حيث آلت اليه الخلافة مشاوراً وقائداً حتى قتل في معركة الري .

---

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص٥١٤ مط الاستقامة بمصر .

هارون في خراسان

وكان رافع بن الليث قد استفحل امره في شمال خراسان ، وبدا ان وضعه اصبح خطيراً بحيث استدعى الرشيد ان يشخص بنفسه الى خراسان ويعالج امر ابن الليث عن كثب ، ولم تكن صحة الرشيد على ما يرام ولكن خراسان كانت كل شيء في الاقطار الاسلامية . فقدم من (الرقة) متجهاً لى خراسان ، و م يكن في النية استصحاب احد من اولاده ، فقد استخلف ابنه القاسم في (الرقة) ومحمد الامين في (بغداد) . وكانت نيته استبقاء عبد الله المأمون في العراق ، فجاء الفضل بن سهل الذي دعي بعد ذلك (بذي الرياستين) الى المأمون وقال له : انت لست تدري ما يحدث بالرشيد في سفره الى خراسان ، وهي ولايتك ، واخوك الامين هو المقدم عليك ، وان أحسن ما يصنع بك ان يخلعك وهو ابن زبيدة [1] واخواله بنو هاشم ، وزبيدة واموالها ، فاطلب اليه ان يشخصك معه ، فسأل المأمون اباه الاذن فأبى عليه ، فقال له (ذو الرياستين) : قل له انك عليل ، وانما اردت انا ان اخدمك اذا سرت معك ، ولست بمكلف اياك شيئاً فأذن له الرشيد . وسار معه المأمون والفضل بن سهل يلازمه [2] .

---

(١) المعروف ان ام المأمون خراسانية الاصل . (٢) الفضل بن سهل السرخسي من خراسان وهو وزير المأمون ، وصاحب تدبيره ، اتصل بالمأمون في صباه ، واسلم على يده وكان عالماً وسياسياً ومن ابرز رجال العلم والفكر، ومن الذين كان يركن اليهم المأمون ويأخذ برأيهم ويعتمدهم في اسراره واحكامه ، ولقد قال مؤدب المأمون للفضل ذات يوم في ايام الرشيد : ان المأمون لجميل الرأي فيك ، واني لاستبعد ان يحصل لك من جهته الف الف درهم يوماً ما ، فاغتاظ الفضل من ذلك وقال له : ألك علي حقد ؟ ألي اليك اساءة ؟ فقال المؤدب لا والله ما قلت هذا الا محبة لك ؟ قال والله ما صحبت المأمون لاكتسب مالا قل او جل ، ولكن صحبته يمضي حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب ، قال المؤدب : فوالله ما طالت المدة حتى بلغ ما امل ، ويقول احمد فريد الرفاعي في (عصر المأمون) ج ١ ص ٢١٣ مط دار الكتب المصرية « حسبك من امر الفضل بن سهل لتعلم ما لهذا الرجل من همة وثابة ، وعزيمة مرهفة مضاءة ، ومطالع واسعة ، وحسبك ان نذكر لك ما وصفه به احد معاصريه وهو ابراهيم بن العباس لتقدر الرجل ، وتقدر كفايته ، قال في بعض =

والتحم جيش هرثمة وجيش رافع بن الليث ، وتم فتح (بخارى) وأسر ابن الليث اخو رافع وجيء به الى الرشيد ، وكانت علّة الرشيد قد اشتدت عليه . فطلب الرشيد قصاباً وقال له : لا تشحذ مداك بل أبقها على حالها غير مسنونة وقطّع هذا الفاسق وعجّل به ، ولا تبق عضواً من اعضائه في جسمه وانا حيّ ! ! وقد قطعه القصاب حتّى جعله اشلاء ، وعدّت الاعضاء المقطعة فاذا هي اربعة عشر عضواً .. ! [١] .

والمنقول ان الرشيد اراد ان يعمل بجبريل بن بختيشوع ما عمل بأخي رافع ابن الليث وهو حي لانه غلط وأخطأ في كيفية علاجه على ما ظن الرشيد فدعاه اليه ، ولكن جبريل توسل اليه ان ينظره الى الغد وهو ضمين بأنـــه سيصبح في عافية وسيشفى ولكن الرشيد مات في نفس اليوم .

ومن قبل عمل بابن المقفع بأمر من ابي جعفر المنصور مثل هذا . فقد أمر عامل المنصور بتنور فأسجر ثم امر بابن المقفع فقطع منه عضو ثم القي في التنور وابن المقفع ينظر حتّى اتى على جميع جسده ، ثم اطبق عليه التنور[٢] .

وساءت ظنون الرشيد بهرثمة فعهد للمأمون ان ينزل (مرو) ويباشر العمل بنفسه قبل وفاته بنيف وعشرين يوماً ، فتولى المأمون الامر واقتصر عمل هرثمة على حرب رافع بن الليث .

وحين وصول الرشيد خراسان واشتداد وطأة العلة عليه نزل في منزل الجنيد بن عبد الرحمن في ضيعة له تعرف (بسناباذ) ومات في القصر القائم بذلك البستان ودفن فيه ، وكان ذلك في جمادى الآخرة ، من سنة ١٩٣ هـ .

= ما قال من مقطوعة طويلة :

يمضي الامور على بديهته	وتريه فكرته عواقبها
فيظل يصدرها ويوردها	فيعم حاضرها وغائبها
واذا الملت صعبة عظمت	فيها الرزية كان صاحبها
واذا جرت بضميره يده	ابدت به الدنيا مناقبها »

وقد قتل الفضل في الحمام بخراسان مغتالا سنة ٢٠٢ هـ .

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ٥٢٦ مط الاستقامة . (٢) كتاب الوزراء والكتاب ص ١١٩

خراسان والمأمون

وفي السنة التي مات فيها هارون وهي سنة ١٩٣ بويع لابنه محمد الامين ببغداد ، والمأمون في (مرو) بخراسان وقد اخذت البيعة للأمين فيها ، ولكنه لم يمر بعض الوقت من هذه السنة حتى دب الخلاف بين الاخوين الامين الخليفة والمأمون ولي العهد ، والسبب في ذلك هو ان (الامين) كان قد كتب حين بلغه تدهور صحة ابيه كتباً ارسلها مع بكر بن المعتمر واوصاه ان لا يسلمها الى اصحابها في خراسان الا بعد وفاة ابيه هارون ، وكان من هذه الكتب كتاب كتبه الأمين الى اخيه صالح بن الرشيد الذي كان يومذاك بمعية ابيه بخراسان يوصيه فيه بأن ينصب ويعزل من يرى من القواد والعمال ، وان يحمل له المال من خراسان ، وان يمكن الفضل بن الربيع ، وكان الفضل ابن الربيع في معية هرون بخراسان — وقد فوض الامين للفضل في كتابه جميع الحقوق التي كان هرون قد خصها بابنه المأمون في خراسان الى نهاية الحدود من همدان ، فكان هذا هو مبدأ الخلاف بين الاخوين ، اذ شق على المأمون ان يتدخل الامين في شؤونه وقد بدأ يرى ان الذين تلقوا هذه الكتب من الامين سواء من اولاد الرشيد او القواد والزعماء صاروا يحلون انفسهم من بيعة المأمون كصاحب خراسان وواليها الذي لا يخلع ، وقائد الجيش الذي لا ينازع حسب العهد الذي اخذه الرشيد للمأمون .

وقد اوقع الفضل بن الربيع ما يشبه الفوضى في امارة خراسان ، ودعا

القواد ، والعمال والقبائل وجيوشها الى مغادرة خراسان والالتحاق بالامين ليفتّ في عضد المأمون ويضعف من شأنه ويجعله امام الامر الواقع ، وقد سجل على الفضل بن الربيع وهو يغادر خراسان الى بغداد بقوله : « لا آدع ملكاً حاضراً لآخر لا يدرى ما يكون من امره » ورحل ورحل معه جمع لهم شأن وقوة كان لا يخلو ارتحالهم من خطر على المأمون .

وجمع المأمون من بقي معه من قواد ابيه واهل بيته واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بأن يلحقهم بالجيش ويردهم بالقوة من عرض الطريق ، ودخل عليه الفضل بن سهل (ذو الرياستين) وقال له : ان فعلت بما اشاروا به عليك جعلت هؤلاء هدية الى (الامين) ، ولكن الرأي ان تكتب اليهم كتاباً ، وتوجه اليهم رسولاً وتذكّرهم بالبيعة وتسألهم الوفاء ، وتحذرهم الحنث وما يلزمهم في ذلك في الدين والدنيا ، وان رسلك تقوم مقامك فتستبرىء ما عند القوم ...

وعمل المأمون برأي الفضل) ولحق رسولان له بالقوم في نيسابور وعرضا على القوم وصية المأمون ، فلقيا منهم ما لا يسر ، فقد سبّوا المأمون ، ونالوا منه ، وحاولوا قتل الرسولين فرجعا .

فقال الفضل بن سهل للمأمون : انهم اعداء وقد استرحت منهم ، فاصبر وانا اضمن لك الخلافة ، فقال المأمون لقد فعلت وجعلت الامر اليك فقم به .

ويقول الطبري : بل قال الفضل : والله لاصدقنك ان هؤلاء القواد والامراء —وسماهم الفضل— انفع لك مني ان قاموا لك بالامر لرئاستهم المشهورة ، ولما عندهم من القوة على الحرب فمن قام بالامر كنت انا خادماً له حتى تصير الي محبتك وترى رأيك فيّ ، فلقد لقيتهم في منازلهم وذكّرتهم البيعة التي في اعناقهم ، وما يجب عليهم من الوفاء .

ويقول الطبري : فقال الفضل وكأني جئتهم بجيفة على طبق ، فقال المأمون للفضل حين ذاك : فقم انت بالامر ، فقال الفضل : فالرأي ان تبعث الى

من بالحضرة من الفقهاء فتدعوهم الى الحق والعمل به ، واحياء السنة وتقعد على اللبود وترد المظالم .

ففعل المأمون ، وبعث الى الفقهاء بمشورة من الفضل ، واكرم القواد والملوك وابناء الملوك ، — ويقول الفضل : فكنا ندعو كل قبيلة الى نقباء ورؤساء الدولة كاستمالتنا الرؤوس ، وحططنا عن خراسان ربع الخراج ؛ فحسن موضع ذلك منهم وسرّوا به — واقام المأمون على ما كان يتولى من عمل خراسان ونواحيها الى الري ، وكان قد اخذ البيعة لأخيه الامين كما مرّ وكاتب اخاه الامين واهدى اليه هدايا كثيرة ، وتواترت كتبه الى اخيه بالتعظيم والهدايا من الطرف والنفائس الخراسانية والمتاع ، والآنية ، والمسك ، والدواب والسلاح .

وفي سنة ١٩٤ حسّن الفضل بن الربيع للامين ، — وكان الفضل قد نكث عهده للمأمون وعاد من خراسان الى بغداد مع من عاد — ان يخلع المأمون من ولاية العهد ويعهد بها الى ابنه موسى من بعده .

وقد أيّد غير واحد من المؤرخين : ان مثل هذا الرأي لم يكن من رأي محمد الامين ولا من عزمه ولكن الفضل بن الربيع لم يزل يصغّر شأن المأمون في عين الامين ويزين له خلعه خوفاً من المأمون اذا ما انتهت الخلافة اليه ذات يوم ان يحاسبه على نقضه لبيعته بولاية العهد وامارة خراسان ، وحمله القواد بخراسان على نقض العهد ومغادرة البلاد الى بغداد ، وما زال الفضل يحسّن للأمين ذلك حتى ادخل في ذهنه فكرة الكتابة الى الاقطار بالدعاء لابنه موسى بعده ، وعزله لاخيه القاسم عن ولاية الجزيرة وكان الرشيد ، قد عهد بامارة الجزيرة الى القاسم وجعله ولياً للعهد بعد المأمون وترك امر تثبيته وعزله عن ولاية العهد الى المأمون نفسه اذا ما اصبح المأمون خليفة .

وكانت سيرة المأمون في خراسان قد حببته الى جميع السكان حتى حملت رافع بن الليث الثائر في شمال خراسان ان يطلب الأمان منه فأمّنه المأمون

وعاد هرثمة من ساحة الحرب وكان معه من القواد الذين قادوا الجيوش في حرب رافع بن الليث طاهر بن الحسين ، فولى المأمون هرثمة قيادة الحرس ، فأنكر (الامين) مثل هذا التعيين وغيره من التصرفات على (المأمون) وبعث بوفد عليه العباس بن موسى بن عيسى يطلب من المأمون ان يتنازل لابن اخيه موسى بن الامين عن ولاية العهد ، وقد قام العباس بهذه المفاوضة وذكر المأمون بأن جده عيسى بن موسى قد خلع نفسه في ظروف كهذه الظروف اجابة لطلب المهدي[1] فما يضر المأمون لو فعل ذلك وتنازل لابن اخيه ، وهنا صاح به (ذو الرياستين) قائلاً « ان جدك كان اسيراً في ايديهم . اما المأمون فهو بين اخواله وشيعته » ثم انزل كل عضو من الوفـد في منزل وراح (ذو الرياستين) بما عرف به من الدهاء يفاوض العباس رئيس الوفد حتى أقنعه بمبايعة المأمون بالخلافة ، وقال له ان لك عندي ولاية الموسم ولا ولاية اشرف منها ولك من مواضع الأعمال بمصر ما شئت ، فكان بعد ذلك حين عاد العباس الى بغداد يكتب من بغداد بالاخبار للمأمون ، وللفضل بن سهل ، ويشير عليهما بما يرتئي !!

يقول علي بن يحي السرخسي : ان العباس حين اوفد الى خراسان لاقناع المأمون على التنازل مرّ بي فوصفت له سيرة المأمون وحسن تدبير (ذي الرياستين) واحتماله الموضع فلم يقبل ذلك مني ، فلما رجع من (مرو) مرّ بي ، فقلت له : كيف رأيت (ذا الرياستين) ؟ قال اكثر مما وصفت[2] .

واكثر الفضل بن الربيع الدسّ والوقيعة على قدر ما استطاع حتى ابعد الشقة بين الأمين والمأمون واخيهما القاسم ، وقد ارسل بمن ينتزع العهدين اللذين كتبهما هرون وعلقهما في الكعبة ـ واللذين يتضمنان البيعة بالخلافة للأمين وولاية العهد وامارة خراسان للمأمون ـ ليمحو ما يستطيع من آثار هذين العهدين

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٣٠ مط السعادة بمصر . (٢) الطبري ج ٦ ص ٥٥٤ مط الاستقامة .

من النفوس فجيء بالعهدين من مكة الى الامين ، ومزقهما الأمين ،

وقد دارت مكاتبات ورسائل بين الامين والمأمون كما يريد الامين منها اعتراف المأمون بسيطرته على خراسان على خلاف ما تضمن العهد والبيعة وكان يطلب من المأمون بأن يبعث له بالاموال من خراسان ليكون ذلك اعترافاً او شبه اعتراف منه بتابعية خراسان للامين ، أما المأمون فكان يرد عليه في رسائله ردوداً مفعمة بالتواضع والطاعة ، وكان الغالب من تلك الرسائل يحبّرها الفضل ابن سهل بنفسه أو تكتب بمشورة منه .

وطلب الامين مرة من المأمون ان يفوض له أمر البريد في احدى الكور بخراسان فاستشار المأمون قواده ، واهل بيته فرجح اغلبهم التسليم بذلك والتساهل في مثل هذا الطلب الصغير الا الفضل بن سهل واخوه الحسن بن سهل اللذان قالا : من ذا الذي يضمن ان لا يكون هذا البريد عينا علينا ومركزاً تدار منه الحركات واثارة الشغب على امارة المأمون ؟ ومن ذا الذي يضمن ان لا يكون تنفيذ هذا الطلب منا مشجعاً لطلبات اخرى قد تتجاوز الحدود في حين ان مثل هذا الطلب ليس من حق الامين ولا من اختصاصه كما نصت على ذلك البيعة وجرى عليه العهد الذي أُخذ على الامين في حياة الرشيد .

وأحس (ذو الرياستين) بمحاولات مختلفة يقوم بها الامين بقصد توغل العيون والرسل الى خراسان وبذل الاموال لقلب الدولة على المأمون فاتخذ كل الوسائل والاحتياطات للحيلولة دون وصول هؤلاء الرسل والعيون والمكاتيب التي يكتبها الامين الى بعض من يرجو منهم الطاعة والانصياع له ، وذلك بأن ضبط (ذو الرياستين) الحدود فلم يكن يسمح بعبورها للمشبوهين ومن يشك في امرهم الا بعد اجراء تفتيش دقيق بحثاً عن المكاتيب وما يحملون من نقود تتجاوز كميتها الحدود المعقولة لاستعمالها في الرشوة ، وقد ثبت ان هذا التدبير كان نافعاً جداً ، وقد أفاد هذا التفتيش والعيون التي وضعت في مداخل الري ومداخل خراسان من قبل الفضل بن سهل كثيراً .

واستعان ذو الرياستين بعدد من القواد والاصحاب الذين يقيمون مع الامين ببغداد ليمدوه بما يعرفون من نيات الامين واخباره فكان يتلقى اخباراً متصلة عن كل شيء يهم امره المأمون وحكومته .

ولقد تأزم الوضع بين الامين والمأمون ، فالامين يتوخى عزل المأمون وتنصيب ابنه موسى ولياً للعهد والسيطرة على خراسان ، والمأمون يشتد في التمسك بحقه من البيعة والعهد الذي اخذه له ابوه الرشيد ، لذلك القى بكل ثقل المهمة على كاهل الفضل بن سهل (ذي الرياستين) واطلق يده في تدبير الامر اطلاقاً دون قيد .

وقد صار الناس في خراسان يشعرون ان عهد خراسان في ايام الفضل ابن يحي بن خالد قد بدأ يتجدد ، فقد ساد الاستقرار وعادت الطمأنينة الى النفوس ، واصبحت للمواطن حريته في التصرف بأمواله وادارة املاكه وتجارته وسائر اعماله بعد ان لقي من عمال العباسيين الأمرين كما لقوا من عمال الامويين ، ومردّ ذلك الى سيرة المأمون وعقله والى حسن تدبير الفضل بن سهل وفكره ، فتفانى الخراسانيون في محبة المأمون واحتفوا به وبالغوا في التنويه باسمه والدعاء له ، وشعروا بأن المعدل الذي يدعو اليه الاسلام بدأ يأخذ طريقه في ادارة الحكم .

يقول الطبري : ان الفضل بن ربيع لما اراد ان يزن أثر خلع المأمون ويزن ردّ فعله في نفوس الجيوش والسكان وعلى الاخص الخراسانيين اذا ما أقدم الامين على خلعه . سأل احد ارباب الرأي على سبيل المشاورة فيما يرى ويتكهن فلم يرجّح له هذا الرأي، واعتبره نقضاً للعهد ، وضرباً من ضروب الغدر[1] .

وحين سأله عن رأيه في جنود المأمون ؟ قال انهم قوم على بصيرة من امرهم لتقدم سعيهم وما يتعاهدون من خطبهم .

---

(١) ومن الحق القول ان زبيدة كما يدل التحقيق كانت على هذا الرأي ، وقد عبرت عن رأيها هذا في وصيتها لعلي بن عيسى الذي جهزه ابنها الامين لحرب المأمون .

وحين سأله عن السكان وعامتهم قال : انهم « قوم كانوا في بلوى عظيمة من تحيّف ولاتهم في اموالهم ، ثم في انفسهم . صاروا به الى الأمنية من المال ورفاهة في المعيشة ، فهم يدافعون عن نعمة حادثة لهم ، ويتذكرون بلية ، لا يأمنون العودة اليها فلا سبيل الى استفساد عظماء البلاد عليه ليكون محاربتنا اياه بالمكيدة من ناحيته ، ولا بالزحوف نحوه لمناجزته ، لمحبة الضعفاء له قد صاروا اليها لما نالوا به من الامان والنصفة . واما ذوو القوة فلم يجدوا مطعناً ، ولا موضع حجة ، والضعفاء السواد الأكبر »[1]. والمسؤول الذي سأله ابن الربيع وان كان من الذين يميلون للمأمون ولكنه صدق في قوله ، ولم يقل غير الحق .

ولكن مثل هذه المشورة لم تصد الفضل بن الربيع عن تصميمه فراح هو وعلي بن عيسى يحثان الامين على خلع المأمون حتى خلعه وقطع ذكره في الخطبة وأمر باسقاط ما كان قد ضرب من الدراهم والدنانير في خراسان باسمه ، واعلن ابنه موسى ولياً للعهد ، ثم أمر علي بن عيسى بن ماهان بالمسير لحرب المأمون .

معركة الري

وهنا كان لا بد للمأمون ان يتخذ الحيطة الكافية ، وكان من رأي الفضل الاسراع بتجنيد الجنود وتجهيزهم بالمؤن ، ولذلك تم تجهيز الجيش وتجنيده ، على الحدود وأمر الجيش ان لا يتجاوز الحدود المعينة ، وان لا يطلقوا يداً بسوء في عامة ولا مجتاز ، ثم اشخص الفضل طاهر بن الحسين من خراسان الى الري وفوض اليه القيادة وضم اليه بقية القواد ، واسرع طاهر بن الحسين الى الري ونزل فيها وقسم جنوده وعيونه في النقاط المعينة والمهمة وكان ذلك في سنة ١٩٥ .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٥٦٢ مط الاستقامة .

اما علي بن عيسى بن ماهان فقد خرج من العراق بخمسين الف محارب وهو عازم على دخول خراسان وأسر المأمون معتمداً على قوة جيشه وشجاعته وخبرته التامة بخراسان يوم كان عاملاً عليها من لدن الرشيد ، وتوغل جيشه في ايران واقبل على الري .

وهنا ولأول مرة رأى طاهر بن الحسين وجوب المناداة بخلع الامين وتنصيب المأمون خليفة حذراً من ان تكون لحملة علي بن عيسى على الري صفة شرعية ما دام قدقدمها باسم خليفة قد اخذت له البيعة من جميع الخراسانيين والتي توجب الطاعة على جميع المبايعين له ، فنادى بخلع الامين والدعوة للمأمون وكان اسم علي بن عيسى يدخل الرعب في النفوس لما رافق حكمه في خراسان ايام امارته من قساوة وتنكيل ، وكان علي بن عيسى يستصغر شأن طاهر بن الحسين ويستهزىء به كقائد يستطيع الوقوف امامه ، ولكن طاهر بن الحسين كان شجاعاً غير هياب ، وكان كثير الجلد وعلى جانب كبير من الاحاطة بفنون الحرب فلم تذهله هذه القوة الكبيرة التي جاء يقودها بطل من كبار ابطال الحروب وقائد ذو حنكة معروفة ، فخرج طاهر في اربعة آلاف محارب لمواجهة خمسين الفاً بعد ان امعن النظر ودرس وضع القتال في حالة وقوفه محاصراً ومدافعاً عن الري حتى يأتيه الامداد من خراسان او حالة القيام بهجوم من قبله ، وأحسن تنظيم الحملة وتوجيهها وتخطيط الجهات التي عينها للمعركة فالتحم الجيشان حتى انهزم جيش علي بن عيسى امام جيش طاهر ثم انتهت المعركة بقتل علي بن عيسى على يد خراساني يسمى (داود سياه) اي داود الأسود ، وهناك من يقول بأن قاتله رجل يسمى بطاهر الصغير[1] ، وقد قطع رأسه وجيء به الى طاهر بن الحسين ، فكتب طاهر ابن الحسين الى المأمون والى ذي الرياستين يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم : كتابي هذا الى أمير المؤمنين ، ورأس علي بن

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٢٦ مط السعادة بمصر .

عيسى بين يدي وخاتمه في اصبعي ، وجنده مصرّفون تحت امري والسلام » .

وحين تناول (ذو الرياستين) الكتاب دخل على المأمون وهنأه بالفتح ، وخرج الى الناس يأمرهم بأن يدخلوا على المأمون ، ويسلموا عليه بالخلافة ، فأعلنت حينذاك خلافة المأمون لأول مرة [1] واتخذ (مرواً) عاصمة له .

وارجف الناس ببغداد وخافوا غائلة هذا الأمر ، وندم محمد الامين على ما كان منه من نكث العهد وخلع اخيه المأمون ، على بعض القول . ومع ذلك فقد جهز عبد الرحمن بن جبلة الانباري عشرين الفاً من المقاتلة الى همذان ليقاتلوا طاهر بن الحسين ومن معه من الخراسانية [2] .

وكان للمأمون الف الف درهم كان الرشيد قـــد وصله بها وقد خلفها المأمون عند نوفل الخادم ببغداد وكان نوفل وكيلاً للمأمون والناظر في امـــر اولاده ببغداد ، وكان الامين قد حال بين التحاق اولاد المأمون بأبيهم ونقل امواله اليه عندما طلب المأمون منه ذلك . وقد أشار عليه الفضل بن الربيع بأن يصادر تلك الأموال والممتلكات التي تخص المأمون فصادرها .

احتلال بغداد وقتل الامين

وفي سنة ١٩٦ كان المأمون قد تركز خليفة وبويع له بأمرة المؤمنين وخطب له ، وكان الفضل بن سهل يشغل رياسة الحرب وامور الوزارة ولذلك لقبه المأمون (بذي الرياستين) منذ ذلك التاريخ .

وكان حامل اللواء بخراسان علي بن هشام ، وحامل القلم نُعيم بن حازم ، اما ديوان الخراج فقد عهد به الى الحسن بن سهل شقيق (ذي الرياستين) .

ويمضي طاهر بن الحسين في حرب جيش الأمين ويهزم جيش عبد الرحمن

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٢٤٥ مط صادر . (٢) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٢٦ مط السعادة بمصر .

ابن جبلة الانباري ويهزم في طريقه كل جيش يرسل به الامين لحربه حتّى يدخل حلوان من العراق .

وكان المأمون قد جهز جيشاً آخر من خراسان بقيادة هرثمة بن اعين ليحل محل طاهر بن الحسين لكي يقوم طاهر بن الحسين بجيشه في حرب جيوش الأمين في الاهواز وجنوب العراق التي كان يخشى من بأسها ، اذ عليها يتوقف القضاء على حكومة الأمين لما كان للبصرة وواسط والكوفة من اهمية كبيرة في دعم الخلافة .

وانتقل طاهر بن الحسين بجيشه الى الاهواز واستولى عليها وزحف منها على واسط فخضعت له البصرة والكوفة ، واينما صار حمل الناس على الاعتراف بخلع الأمين ومبايعة المأمون بالخلافة ، ونصب العمال والولاة من قبله على الموصل ، والكوفة ، والبصرة ، ومكة ، والمدينة ، واليمن .

ولما أخضع طاهر كل تلك الأقاليم والاقطار زحف هو وهرثمة بن اعين وبعض القواد الآخرين على بغداد وحاصروها ، وقد اشتد القتال داخل بغداد حتّى فتحها وقتل الأمين فيها .

وهنالك دخل طاهر المدينة ، وصلى بالناس ، وخطب للمأمون ، وكان ذلك في سنة ١٩٨ ، وكتب طاهر الى المعتصم ، وقيل بل كتب الى ابن المهدي :

« اما بعد . فانه عزيز علي ان اكتب الى رجل من اهل بيت الخلافة بغير التأمير ، ولكنه بلغني انك تميل بالرأي وتصغي بالهوى الى الناكث المخلوع ، فان كان كذلك فكثير ما كتبت اليك ، وان كان غير ذلك فالسلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته »[١] .

ولما وصل خبر قتل الامين الى المأمون بخراسان أذن للقواد ، وقرأ حينذاك الفضل بن سهل الكتاب عليهم فهنأوه بالظفر ودعوا له ، وفي (البداية والنهاية)

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٢٨٨ مط صادر .

انه حين جيء برأس الامين قال ذو الرياستين يؤلب على طاهر :
« أمرناه بأن يأتي به أسيراً فأرسل به الينا عقيراً ».
فقال المأمون : « مضى ما مضى » [١] .

وأمر طاهر بن الحسين بحمل موسى وعبد الله ابني الأمين إلى عمهما المأمون بخراسان رعاية لهما وكانت الفتن قد هدأت ، والشرور قد خمدت ، وأمن الناس ، وطابت الانفس على حد تعبير (البداية والنهاية) ، واستعمل المأمون الحسن بن سهل اخا الفضل (ذا الرياستين) على كل ما كان افتتحه طاهر من كور الجبال ، والعراق ، وفارس ، والأهواز ، والحجاز ، واليمن .

ولقي الفضل بن سهل واخوه الحسن بن سهل حظوة كبيرة عند المأمون وعند الخراسانيين فبفضل تدبيرهما تمت خلافة المأمون ، وتم الرخاء ، وتنسم الناس الحرية ، وازدهرت البلاد وشعرت خراسان في عصر المأمون بشيء كثير من الاطمئنان واستتباب الأمن وسيادة العدل ، اكثر مما اشير اليه قبل هذا ، كما لقي طاهر بن الحسين مثل هذه الحظوة عند المأمون وعند الخراسانيين اذ بقيادته للجيش الخراساني والجيوش الاخرى ، وبفضل تدابيره العسكرية وتخطيطه للمعارك تمّ للمأمون الظفر بالخلافة ، والقضاء على الخلافات القائمة في جميع الانحاء من اقصى مشرق خراسان الى اقصى نقطة في جنوب اليمن . وحين مات الحسين بن مصعب بن زريق والد طاهر بن الحسين بخراسان ، وكان طاهر (بالرقة) يعدّ العدّة للقضاء على نصر بن شبث العقيلي ، حضر المأمون بنفسه جنازة الحسين ، ونزل الفضل بن سهل بنفسه قبره ، ووجّه المأمون الى طاهر يعزّيه بأبيه .

---

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٣ مط السعادة .

الحالة الاجتماعية والرأي العام

كانت الخصومة بين العباسيين والعلويين على اشدها منذ انفرد العباسيون بالحكم وتسنموا كرسي الخلافة ، ولقد خشي العباسيون العلويين وخشوا مكانتهم في النفوس فنكـّلوا بهم اسوأ تنكيل ، واستعملوا معهم من وسائل الترهيب العجائب وانزلوا بهم من صنوف التعذيب والاذى والفظاعـــة في التقتيل ولا سيما في عهد المنصور وعهد الرشيد ما تقشعر منه الأبدان ومــا تضيق بوصفه الكتب ، وقد اورد قسماً من ذلك ابو الفرج الاصفهاني في كتابه (مقاتل الطالبيين) وكان العلويون يدعون الى مذهب وعقيدة تتلخص في المبايعة على سنة الله ورسوله قولاً وفعلاً ويرون في سيرة الامويين والعباسيين على تلك الصورة اموراً تخالف جوهر الاسلام واغراضه فكان الكثير منهم يثورون في كثير من الاوقات في وجه الخلفاء سواء في ايام الامويين او العباسيين مطالبين بتطبيق حدود الشرع الذي يضمن للناس الحرية والعدل والذي يلخصه قول الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لعمرو بن العاص حين أحسّ باخذه الناس بالقوة قائلاً لابن العاص : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ؟) فكان الناس يشدون ازر العلويين في ثوراتهم تنفيساً عما لحق بهم من الظلم ، وايماناً بالسيرة التي شب عليها عدد من أئمة العلويين مما كانت تمثل دعوة الاسلام ومبادئه التي افتقدوها في جميع خلفاء بني امية وخلفاء بني العباس باستثناء عمر ابن عبد العزيز ، وان وجود هذه الصور من العلويين في سيرتهم التي تمثل

ما يرمي اليه الاسلام من الاهداف هو الذي جعل الكثيرين يعتقدون ان الدين الاسلامي حقيقة ثابتة ، ودعوة روحية سماوية لم يمثلها إلا الخلفاء الراشدون والا طائفة من العلويين والمتقين وهم وحدهم مرآة هذا الدين ، ولولاهم لتضعضعت ثقة الناس بالدين نفسه لما كان يرتكب اولئك الخلفاء من المخالفات من قتل الاسرى صبراً ، والتمثيل بجثثهم ، وسلب اموال الناس ، وهتك الاعراض ، ومعاقرة الخلفاء للخمور ، والايغال في الفجور ، وملء القصور بالجواري والغلمان ، والافراط في تحقيق الشهوات .

والناس — باستثناء المؤمنين بالعقيدة — قسمان ، قسم وهو يمثل الأكثرية وهم الذين يخافون البطش والتنكيل فيجارون السلطة ويماشونها ويظهرون لها غير ما يبطنون ممن وصفهم شوقي في موقفهم من الامام ابي عبد الله الحسين ولسان حالهم يقول عن الحسين :

« لساني عليه وقلبي معه [1] » .

وقسم من الناس طامع يبيع الضمير بالمال ليشتري به نعيم الدنيا فيقترف من الذنوب الفاحشة ما يقترف كقاتل ابي عبد الله الحسين (ع) الذي دخل على يزيد بن معاوية فخوراً بقتله الحسين وهو يقول :

أوقِرْ ركابي فِضَّةً أو ذَهبا فقد قَتلتُ المَلِكَ المُحجَّبا [2]

يضاف الى ذلك ما يتصف به البعض من الخلفاء والعمال والامراء من الحقد والغل والقسوة التي يقف لهولها شعر الرأس ومن ذلك ما فعل الوليد فقد كتب الى عامله بالكوفة ، وكان قد صلب جسد زيد بن علي بن الحسين ، وبقي مصلوباً على جذعه امام باب الكوفة اربع سنوات — يقول له على ما اورد الطبري :

---

(١) رواية ليلى ومجنون لشوقي . (٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٨١ — مروج الذهب ج٢ ص ٦٥ — الشريشي ج ١ ص ١٩٣ (اعلام الزركلي) .

« اذا اتاك كتابي هذا فانظر عجل العراق – يعني به جسد زيد المصلوب – فاحرقه ثم انسفه في اليمّ نسفاً » ! !

وقد نفّذ عامله – وكان يوسف بن عمر – أمره وانزل زيداً من جذعه واحرقه بالنار ثم رضّه فجعله في قوصرة ، ثم جعله في سفينة ، ثم ذرّه في الفرات [١]

واشتدت النقمة على الحكم الاموي والعباسي وضاق الناس ذرعاً ونفد صبرهم فاهتبلها رهط من العلويين فرصة للصرخة باسم الاصلاح . وباسم المطالبة بحقهم بكونهم اولى بالخلافة من ابناء عمهم العباسيين ، وبداعي الثأر مما انزله بهم العباسيون من التعذيب والتقتيل والتشريد فظهر ابن طباطبا العلوي بالكوفة يدعو لى البيعة على الرضى من آل محمد (ع) ، وتغلب زيد بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي وهو الذي يسمى بزيد النار على البصرة . وتغلب الحسين بن الحسن الافطس على مكة ، ومحمد بن سليمان ابن دود بن الحسن بن علي على المدينة ، وظهر ابراهم بن موسى بن جعفر في اليمن ، ثم بويع لمحمد بن جعفر بن علي بن الحسن (ع) خليفة وكان قد امتنع من قبول هذه البيعة لما عرف به من عزوف عن الدنيا وانشغال بالزهد والتقوى ولكنه رضخ لما لقي من اصرار الناس حتى غلبه الجمهور على امره . الى غير ذلك من ظهور العدد الكبير من الثورات التي قام بها العلويون وغير العلويين باسم الاصلاح واستنكار سيرة الخلفاء العباسيين في حكم المسلمين فكان العباسيون واتباعهم يخمدون تلك الثورات بالقوة والقسوة والبطش الذي مرّ بعض امثاله ، فتزول الثورة وتبقى جذور الكراهية كامنة في النفوس ، وضج الناس الى الله لكثرة ما أصابهم من الفساد والخوف ، والتنكيل في جميع الاقطار الاسلامية وفي كثير من السنوات حتى لقد بلغ الحال في بغداد كان الفساق كثيراً ما يقطعون الطريق على المارة ، ويأخذون النساء والصبيان

---

(١) مقدمة الامام علي نبراس ومتراس ص ٣٢ .

من اهلهم علانية ، فلا يقدر ان يمتنع منهم احد ، وكم كانوا يطلبون من الرجل ان يقرضهم ، او يصلهم فلا يقدر على الامتناع ، وكانوا ينهبون القرى ولا يمنعهم السلطان ، بل يغريهم على ذلك لأنهم بطانته١ .

ولكثرة ما لقي الناس من هذا الجور والفساد قام رجل من (الحربية) يقال له سهل بن سلامة الانصاري من اهل خراسان ويكنى بأبي حاتم ودعا الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعمل بالكتاب والسنة ، وقد علق مصحفاً في عنقه وصار يبشر بدعوته بين الناس وسمي تابعوه (بالمتطوعة) وهي الدعوة التي كان يبثها العلويون بين الناس بصورة خاصة والتي حببت العلويين الى جماهير الامة ، وأجرت ذكر الصالحين منهم على ألسنة الناس ، واعتبرتهم الأكثرية من الامة الاسلامية — غير الطامعين والحاقدين والمنافسين — المثل الأعلى للاسلام والشريعة الاسلامية .

* * *

كان هذا مجمل الحالة يوم تولى المأمون الخلافة ، وكان هذا هو الحاصل من حكم العباسيين الى تلك الساعة ، تعلق شديد بالعلويين وايمان شديد بقيمهم ، وثقة ما بعدها ثقـــة بالغالبةمن أعلامهم وأئمتهم ، بكونهم معدناً اصيلاً له طابعه الخاص وجوهره الذي لا يتبدل على مرور الزمن .

يقول عباس محمود العقاد :

« ... وانك لتنحدر مع اعقاب الذرية في الطالبيين ابناء علي والزهراء مائة سنة ومائتي سنة ، واربعماية سنة ، ثم يبرز لك رجل من رجالها فيخيل اليك ان هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع واصله في الخصال والعادات كأنما هو بعد ايام معدودات لابعد المئات وراء المئات من السنين ، ولا تلبث ان تهتف عجباً : ان هذه لصفات علوية لا شك فيها ، لانك تسمع الرجل

---

(١) الكامل لأبن الاثير ج ٦ ص ٣٢٥ مط صادر .

منهم يتكلم ويجيب من يكلمه ، وتراه يعمل ويجزي من عمل له ، فلا يخطيء في كلامه ، ولا في عمله »[1] .

ثم يذهب العقاد في وصف العلويين فيقول :

« طبع صريح ، ولسان فصيح ، ومتانة في الأسر يستوفي فيها الخلق والخلق ، ونخوة لا تبالي ما يفوتها من النفع اذا هي استقامت على سنة المروءة والاباء »[2] .

هذه السيرة التي مشى عليها كل أئمة العلويين واللامعون من هذه الاسرة هي التي دعت الناس ممن لا يطمع ولا يخاف وعلى الاخص المظلومين وهم اكثرية الشعب ان يحتفوا بالعلويين ويثوروا معهم باسمهم في كثير من الأوقات فيقضي على ثورتهم الامويون والعباسيون بالمال والسيف وصنوف العذاب والتشريد .

هذه السيرة العلوية هي التي غرست في النفوس العقيدة واليقين بأن الخلافة هي من حق العلويين ، وان الامويين والعباسيين قد اغتصبوا هذا الحق ، وان الامة او الأكثرية من الامة على الاصح لن تهدأ حتى يعود هذا الحق لاهله كي يقوم الاسلام على قدميه ديناً عملياً لا خصام فيه ، ولا عصبية ، ولا نهب ، ولا سلب حرية ، ولا تجاوز على مال ، ولا قتل اسراء صبراً ، ولا تمثيل بالجثث ، ولا... ولا .

* * *

والمأمون رجل عالم ، وسياسي محنك فوض الرشيد امر تنشئته الى جعفر بن يحي البرمكي منذ صباه فوجهه جعفر توجيهاً جديراً بالخلافة من حيث الاحاطة والخبرة ، ويستخلص احمد فريد الرفاعي صفاته فيقول انه كان

(١) ابو الشهداء – عباس محمود العقاد ص ٥١ – ٥٢ (مقدمة الأمام علي نبراس ومتراس)
(٢) المصدر المتقدم .

وافر العلم ، غزير الاطلاع ، وليس ذلك بعزيز على خليفة ، ملأ عصره بأنواع المعارف الانسانية ونفخ فيه من روحه القوى ، حتى استطاع الباحث ان يَسِمَهُ بِسِمَتِه ، وان يرجع فضل الحضارة العباسية اليه ، ولقد كان محوطاً بشيوخ الاعتزال والكلام امثال ثمامة بن اشرس ، ويحي بن المبارك ، وكان متأثراً بما ترجم من اخلاقيات الفرس وآدابهم ، وفنونهم ، وفلسفة اليونان وعلومهم ، وقد اكتسب من نهج الخراسانيين خاصة قواعد المنطق في مناقشة المذاهب والأديان ، وتقديس حرية الفكر والرأي فنشأ عنده مـــا يشبه الميل الى العقيدة العامة بالعلويين .

اما ابن الاثير فيقول عنه : وكان المأمون شديد الميل الى العلويـــين . والاحسان اليهم ، وخبره مشهور معهم ، وكان يفعل ذلك طبعاً لا تكلفاً .

بيعة الامام الرضا بولاية العهد

وسواء كان الامر كما يقول ابن الاثير وغيره من المؤرخين عقيدة راسخة وطبعاً لا تكلفاً وكما يصفه البعض اعتدال في الميول فان الصلاح كان يتطلب ان يسعى لكسب رضا العلويين والتقرب الى تحقيق ميول الشعوب الاسلامية باستثناء الشام وبعض الجهات الاخرى استجابة لعقيدته في العلويين وكونهم اصحاب حق في الخلافة ، او اتباعاً لسياسة يكسب بها ثقة الغالب من الاقطار الاسلامية لتقوية سلطانه ونفوذ امره فصمم على ان يتقرب للعلويين ، وينتهج سياسة تخالف سياسة الامويين والعباسيين ، وقد امعن النظر فلم يجد في بني علي ولا في بني العباس احداً ، افضل ، ولا اروع ، ولا اعلم ، من الامام الثامن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع)

وكان الامام علي بن موسى يقيم في المدينة من الحجاز ،والمأمون يقيم (بمرو) من خراسان،فكتب المأمون الى علي بن موسى يستدعيه ويستقدمه الى خراسان .
وروى الصدوق ان الامام علي بن موسى اعتلّ عليه بعلل كثيرة معتذراً ،

ولكن المأمون ما زال يكاتبه ، ويسأله حتى تيقن الامام ان المأمون لن يكف عنه فأجاب رسول المأمون وكان الرسول رجاء بن ابي الضحاك الذي ارسله المأمون اليه على ما يقول البعض ، اما ابو الفرج فيقول ان رسوله كان الجلودي من اهل خراسان وطلب المأمون منه ان يشخص بالامام من المدينة ، وان يأخذ به على طريق البصرة والاهواز وفارس ، وامر رسوله ان يحفظه بنفسه في الليل والنهار حتى يقدم به على (مرو) ومعه جماعة من آل ابي طالب ، ويبدو ان سر هذا الحذر كله ناشئاً من خوف المأمون من شغب آله من العباسيين وغدرهم اذا ما علموا بنية المأمون .

وقدم الامام علي بن موسى حتى وصل نيسابور ، ونزل هناك في محلة تسمى بمحلة (القزويني) وفيها حمام وهو الحمام الذي عرف بحمّام الرضا وكانت هناك عين ماء قد قلّ ماؤها ، فأقام الرضا عليها من كراها واخرج ماءها حتى توفر ، واتخذ من خارج الدرب حوضاً ينزل اليه بالمراقي الى اصل العين وقد دخله (الامام) بعد توفر مائه ، واغتسل فيه ، ثم خرج وصلى على ظهره ، والناس يتناوبون ذلك الحوض ، ويغتسلون فيه ويشربون منه الماء التماساً للبركة ، ويصلون على ظهره ، ويدعون الله عز وجل في حوائجهم وهي العين المعروفة بعين (كهلان) ويقصدها الناس الى يومنا هذا [1] .

وخرج الامام بعد ذلك من نيسابور الى (سناباذ) ونزل هناك دار حميد ابن قحطبة امير خراسان المتوفى سنة ١٥٩ ، ودخل القبة التي دفن فيها هارون الرشيد ، وصلى هناك ركعات ، ودعا بدعوات ، ثم توجه الى (مرو) عاصمة المأمون قبل اتخاذ بغداد عاصمة له ، واستقبل من لدن المأمون بحفاوة كبيرة وقد بالغ المأمون في اكرامه وعظّم امره وانزله في دار خاصة وانزل الحاشية من آل ابي طالب في دار اخرى .

وجاء في (عيون الاخبار) ان المأمون عرض على الامام علي بن موسى

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ، اخرجه السيد محسن الأمين في اعيان الشيعة ج ٤ ق ٢ ص ١٢٤ .

الرضا الخلافة ، وجرت في ذلك مخاطبات ومحادثات كثيرة فلم تسفر عن نتيجة ، وابى الامام قبولها اباء شديداً .

ويقول (المفيد) ان المأمون قد انفذ الى الامام بأني اريد ان اخلع نفسي من الخلافة واقلّدك اياها فما رأيك في ذلك؟ فأنكر الامام هذا الامر[١] ، وقال اعيذك بالله يا امير المؤمنين من هذا الكلام وان يسمع به احد ، فرد عليه الرسالة ، وقال فاذا أبيت ما عرضت عليك فلا بد من ولاية العهد من بعدي ، فأبى الامام ذلك ايضاً اباء شديداً .

وفي رواية اخرى ان المأمون قد استدعى الإمام علي بن موسى الرضا وخلا به ومعه الفضل بن سهل (ذو الرياستين) وليس في المجلس غيرهم ، وقال : اني قد رأيت ان أولّيك امر المسلمين ، وأفسخ ما في رقبتي ، واضعه في رقبتك .

فقال له الامام : الله الله يا امير المؤمنين ، انه لا طاقة لي بذلك ولا قوة لي عليه . قال له : فاني مولّيك العهد من بعدي[٢] .

ويقول ابو الفرج الاصفهاني : ان المأمون حين همّ بذلك وجّه الى الفضل ابن سهل فاعلمه انه يريد العقد للامام علي بن موسى ، وامره بالاجتماع مع اخيه الحسن بن سهل على ذلك ففعل واجتمعا بحضرته ، وجعل الحسن بن سهل يعظّم ذلك عليه ويحذره من العاقبة وما قد يلاقي من العباسيين ومن اهل بيته إن هو أخرج الأمر من ايديهم ، مع ان الحسن بن سهل واخاه من الموالين للرضا فقال المأمون :

« اني عاهدت الله أن أخرجها الى أفضل آل ابي طالب إن ظفرت بالمخلوع ، وما أعلم احداً أفضل من هذا الرجل »[٣] .

---

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٥٠ . (٢) اعيان الشيعة ج ٤ القسم الثاني ص ١٣٢ مط ابن زيدون . (٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصبهاني ص ٥٦٣ مط دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

وحين أصرّ الامام علي بن موسى على الرفض دعا به المأمون ــ على ما قال ابو الفرج ــ وقال له قولاً شبيهاً بالتهديد ثم قال :

« إن عُمَرَ جعل الشورى في ستة أحدهم جدّك وقال : من خالف فاضربوا عنقه » [1] .

وما زال به المأمون حتّى اجابه الامام علي بن موسى على قبول ولاية العهد .

وجلس المأمون في يوم الخميس ، وخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسى (ع) وانه ولي عهده ، وقد سماه (الرضا) وامرهم بلبس الخضرة ، والعود لبيعته في الخميس الآخر على ان يأخذوا رزق سنة .

ويصف ابو الفرج الاصفهاني يوم أخذ البيعة للامام الرضا (ع) فيقول ولما كان ذلك اليوم ركب الناس من القواد والقضاة وغيرهم من الناس في الخضرة ، وجلس المأمون ، ووضع للرضا وسادتين عظيمتين حتّى لحق بمجلسه وفرشه ، وأجلس الرضا عليهما في الخضرة وعليه عمامة وسيف ، ثم امر ابنه العباس بن المأمون فبايع له اول الناس ، فرفع الرضا يده فتلقى بظهرها وجه نفسه وببطنها وجوههم ، فقال المأمون :

ــ ابسط يدك للبيعة .

فقال الرضا ــ ان رسول الله صلى الله عليه وآله : هكذا كان يبايع .

فبايعه الناس ، ووضعت البدر ، وقامت الخطباء والشعراء فجعلوا يذكرون فضل علي بن موسى وما كان من المأمون في أمره .

ويمضي ابو الفرج في قوله فيقول : ثم قال المأمون للرضا : قم فاخطب الناس، وتكلم فيهم ، فقال الرضا بعد حمد الله والثناء عليه :

---

(١) المصدر المتقدم .

« ان لنا عليكم حقاً برسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكم علينا حق به ، فاذا أديتم الينا ذلك وجب علينا الحق لكم » .

ولم يذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس ، وأمر المأمون فضربت له الدراهم ، وطبع عليها اسم الرضا ، وخطب له في كل بلد بولاية العهد ، وزوجّه المأمون ابنته (ام حبيب) وقيل بل زوجه اخته (ام حبيبة) وسمى (للجواد) ابن الرضا ابنته (ام الفضل) ، والمنقول عن ريان بن الصلت ان الذين لم يرضوا ببيعة المأمون للرضا كانوا يقولون ان الفضل بن سهل هو الذي اقترح على المأمون هذه البيعة ، ويقول ريان ان المأمون سألني ذات ليلة عما يقول هؤلاء الخاصة ؟ فذكرت له ذلك ، فقال المأمون : أتظن ان شخصاً يستطيع ان يقترح على شخص تنقاد له النفوس وبيده الحل والعقد ان يتنازل عنها لغيره ؟ قال ريان : لا والله ما هو الا ما قلت انت ولكن هؤلاء الخاصة يقولون ذلك [1] .

---

(١) الحديقة الرضوية ج ١ ص ٨٤ بالفارسية مط شركة جابخانه خراسان — من كتب آستان قدس بخراسان .

عهد المأمون للرضا بالخلافة من بعده

كتب المأمون هذا العهد بخطه وبانشائه ، وقد ظهّره الامام علي بن موسى الرضا (ع) بخطه ، وقال علي بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة) : انه رأى بعينه سنة ٦٧٠ هـ ، هـذا العهد بخط المأمون وعلى ظهره العهـد الذي كتبه الامام الرضا (ع) بخطه . وقد اورد الكثير من المؤرخين نص هذا العهد ، وهذه نسخته نقلها القلقشندي في (صبح الاعشى) عن صاحب (العقد) ابن عبد ربه .

نص العهـد

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد امير المؤمنين بيده لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده :

اما بعد ، فانّ الله عزّ وجلّ اصطفى الاسلام ديناً ، واصطفى له من عباده رسلاً دالّين عليه . وهادينَ إليه ، يُبشّر اولّهم بآخرهم ، ويُصدّقُ تاليهم ماضيّهم . حتى انتهت نبوّةُ الله الى محمد صلى الله عليه وسلّم على فترةٍ من الرسل ، ودروسٍ من العلم ، وانقطاعٍ من الوحي ، واقترابٍ من الساعة . فختم اللهُ به النبيين ، وجعله شاهداً لهم ، ومُهيمناً عليهم ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي (لا يأتيه الباطلُ من بينِ يَدَيْهِ ولا مـن

خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد) فأحلّ وحرّمَ ، ووعدَ وأوعد ، وحذّر ، وأنذر ، وأمر به ونهى عنه لتكون له الحُجةُ البالغة على خلقه و (ليَهلِكَ من هَلكَ عن بيِّنَةٍ ، ويحيا من حيّ عن بيِّنَةٍ ، وإنّ اللهَ لَسميعٌ عليم) فبلّغ عن الله رسالتَه ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمةِ والموعظةِ الحسنةَ والمجادلة بالتي هي أحسن ، ثم بالجهاد ، والغلظةِ حتى قبضَه الله اليه ، واختار له ما عنده صلى الله عليه ، فلما انقضت النبوّة ، وختم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحيَ والرسالة جعل قوام الدين ، ونظامَ أمرِ المسلمين بالخلافة ، واتمامها وعزّها ، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تُقــام بها فرائضُ الله وحدودهُ ، وشرائعُ الاسلام وسننهُ ويجاهد بها عدوّه ، فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده ، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ، ومعاونتهم على اقامة حق الله وعدله ، وأمْنِ السبلِ ، وحقنِ الدماء ، وصلاحِ ذات البين ، وجمعِ الالفة ، وفي إخلال ذلك اضطرابُ حبل المسلمين واختلالُهم ، واختلافُ ملّتهم ، وقهرُ دينهم ، واستعلاءُ عدوّهم ، وتفرقُ الكلمة ، وخسرانُ الدنيا والآخرة ، فحق على من استخلفه اللهُ في ارضه ، وائتمنه على خلقهِ ان يُوثرَ ما فيه رضا اللهِ وطاعته ، ويعدل فيما اللهُ واقفهُ عليه ، وسائلهُ عنه ، ويحكم بالحق ، ويعمل بالعدل فيما حمّلهُ الله وقلّدَه ، فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود عليه السلام :

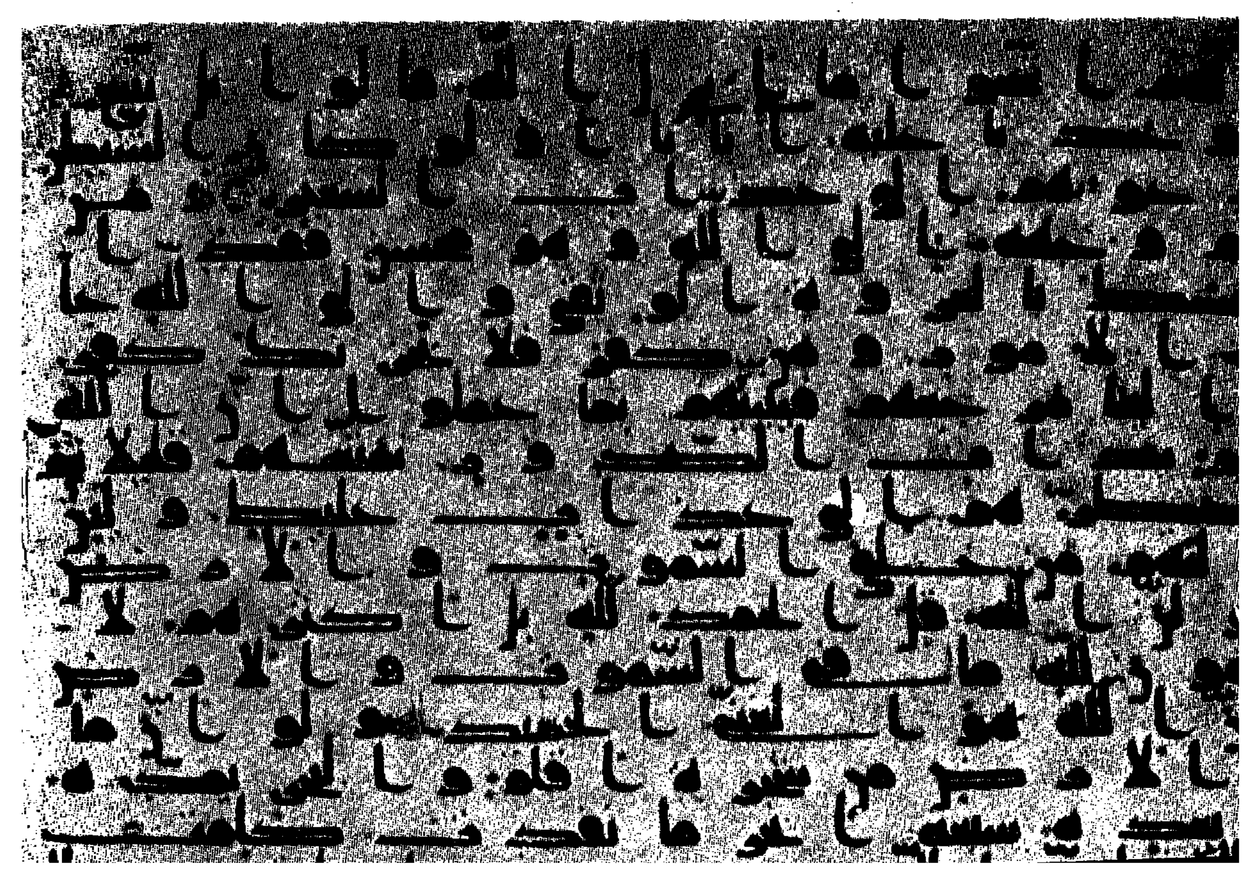
(يا داودُ إنا جعلناكَ خليفةً في الارض فاحكم بين الناسِ بالحقِ ولا تتّبعِ الهوى فيضلّكَ عن سبيلِ الله ، ان الذين يضلّون عن سبيلِ اللهِ لهم عذاب شديدٌ بما نسوا يومَ الحساب) وقال عز وجل :

(فوَربِّكَ لنسألنّهم أجمعين عما كانوا يعملون) .

وبلغنا ان عمر بن الخطاب قال (لو ضاعتْ سخلةٌ بجانبِ الفرات لتخوّفتُ ان يسألني الله عنها) وأيم الله ان المسؤولَ عن خاصةِ نفسه ، الموقوفَ على عمله ، فيما بين الله وبينه لمتعرضٌ لأمرٍ كبير ، وعلى خطرٍ عظيم ، فكيف بالمسؤول عن رعايةِ الأمّة ، وبالله الثقة ، واليه المفزع ، والرغبة في التوفيق

مع العصمة ، والتسديد والهداية الى ما فيه ثبوتُ الحجّة ، والفوزُ من الله بالرضوان والرحمة ، وأنْظَرُ الأئمة لنفسه ، وأنْصَحهُمْ في دينه ، وعباده وخلافته في أرضه مَنْ عمل بطاعة الله وكتابه ، وسنّة نبيّه عليه السلام في مدة ايامه ، واجتهد وأجهد رأيَهُ ونظرَهُ فيمن يولّيه عَهْدَهُ ، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده ، وينصبه عَلَماً لهم ، ومَفزعاً في جميع ألْفَتهِم ، ولمّ شَعثهم ، وحقن دمائهم ، والأمن باذن الله من فرقتهم ، وفساد ذات بينهم ، واختلافهم ورفع نزغ الشيطان وكيدهُ عنهم ، فان الله عزّ وجلّ جعل العهدَ بالخلافة من تمام امر الاسلام وكماله وعزّه ، وصلاح اهله ،وألهم خلفاءه من توسيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمتْ به النعمةُ ،

صفحة من المصحف المنسوبة كتابته الى الأمام الرضا (ع) نقلا من مجلة آستان قدس



وشملتْ منه العافية ، ونقض الله بذلك مكْرَ اهلِ الشقاقِ والعداوةِ والسعي في الفرقةِ ، والتربّصِ للفتنة ، ولم يزلْ اميرُ المؤمنين منذ أفضتْ اليه الخلافةُ فاختبرَ بشاعةَ مذاقيها وثقلَ محملها ، وشدّةَ مؤونتها ، وما يجب على من تقلّدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمّله منها فأنصبُ بدنَهُ ، وأسهرَ عينَه ، وأطالَ فكرَه فيما فيه عزُّ الدين ، وقمعُ المشركين ، وصلاحُ الأمّةِ ، ونشرُ العدل ، واقامةُ الكتاب والسنة ، ومنعه ذلكَ من الخفض والدعة ، ومحبّةَ ان يلقى اللهَ مناصحاً له في دينهِ وعبادهِ ، ومُختاراً لولايةِ عهدهِ ، ورعاية الامّةِ من بعدهِ ، أفضلَ من يقدر عليه في دينهِ وورعه وعلمه ، وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقّه مناجياً لله تعالى بالاستخارة في ذلك ، ويسأله إلهامَه ما فيه رضاه وطاعته ، في ليلهِ ونهارهِ ، ومُعمِلاً في طلبه والتماسه في اهل بيته من ولد عبدالله بن العباس ، وعلي بن ابي طالب — فِكرَه ونَظَرَه ، ومقتصراً ممن علم حالَه ومَذهبَه منهم على علمه ، وبالغاً في المسألة عمن خَفِيَ عليه أمرُهُ جهدَهُ وطاقتَه حتى استقصى أمورَهم معرفةً . وابتلى اخبارَهم مشاهدةً (واستبرى احوالَهم معاينة)[1] وكشف ما عندهم مُساءلةً ، فكانت خيرتُه بعد استخارته لله ، واجهادهِ نَفسَه في قضاء حقه في عبادهِ وبلاده في البيتين جميعاً (يقصد بيت بني العباس وبيت علي بن ابي طالب) ا عليَّ بنَ موسى بنَ جعفرَ بنَ محمد بنَ علي بنَ الحسين بن علي ابن ابي طالب ، لما رأى من فضله البارع ، وعلمهِ الناصع ، وورعه الظاهر ، وزهده الخالص ، وتخلّيه من الدنيا ، وتسلّمه من الناس ، وقد استبان له ما لم تزل الاخبار عليه متواطئة ، والالسن عليه متفقةً ، والكلمة فيه جامعةً ، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً ، وناشئاً ، وحدثاً ، ومكتهلاً ، فعقد له بالعقد والخلافة (من بعده واثقاً بخيرة الله في ذلك اذ علم الله انه فعله)[1] ايثاراً لله والدين ، ونظراً للاسلام والمسلمين ، وطلباً للسلامة ، وثبات الحجّة ،

---

(١) هذه الجملة المقوسة ليست في نسخة صبح الاعشى .

والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لربّ العالمين ، ودعا امير المؤمنين ولدَه ، واهلَ بيته ، وخاصّتَه ، وقواده ، وخدمه ، فبايعوه مسرعين مسرورين ، عالمين بايثار امير المؤمنين طاعةَ الله على الهوى في ولده وغيرهم ممن هو أشبَكُ به رَحِماً ، وأقرب قرابةً ، وسماه (الرضا) ، اذ كان رضاً عند امير المؤمنين ، فبايعوا مَعشر اهل بيت امير المؤمنين ومن بالمدينة المحروسة من قواده ، ، وجنده وعامة المسلمين لأمير المؤمنين وللرضا من بعده على اسم الله وبركته ، وحسن قضائه لدينه وعباده ، بيعةً مبسوطةً اليها أيديكم ، مُنشرحةً لها صدوركم ، عالمين بما اراد أمير المؤمنين بها ، وآثرَ طاعةَ الله ، والنظرَ لنفسه ولكم فيها ، شاكرين الله على ما ألهمَ أميرَ المؤمنين من قضاء حقه (من نصاحته) [١] في رعايتكم ، وحرصه على رشدكم وصلاحكم ، راجينَ عائدة ذلك في جمع أُلفتكم ، وحقن دمائكم ، ولَمّ شعثكم ، وسَدّ ثغوركم ، وقوة دينكم ، ورغم عدوّكم ، واستقامة اموركم ، وسارعوا الى طاعة الله وطاعة امير المؤمنين فانه الأمر (الذي) [١] ان سارعتم اليه وحمدتم الله عليه ، عرفتم الحظّ فيه ان شاء الله تعالى » [٢] .

وكتب هذا العهد بيد المأمون وبخطه في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ .

العهد الذي كتبه
الامام علي بن موسى الرضا

وقد ظهّر الامام علي بن موسى الرضا (ع) عهد المأمون بيده وبخطه بما يلي : - -

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الفعّال لما يشاء ، لا مُعقّبَ لحكمه ،

---

(١) هذه الجملة المقوسة هي من نسخة اخرى غير نسخة صبح الاعشى . (٢) صبح الاعشى للقلقشندي ج ٩ ص ٣٦٢ - ٣٦٦ مط وزارة الثقافة والارشاد القومي (المؤسسة المصرية العامة) القاهرة .

ولا رادّ لقضائه . يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور ، وصلاته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين ، اقول وانا علي الرضا بن موسى ابن جعفر : إنّ اميرَ المؤمنين عضده الله بالسداد ، ووفّقه للرشاد ، عرف من حقّنا ما جهله غيره فوصلَ ارحاماً قُطِعَتْ ، وأمن نفوساً فَزِعتْ ، بل أحياها وقد تلفتْ ، وأغناها إذ افتقرتْ مبتغياً رضى ربّ العالمين ، لا يريد جزاءً من غيره ، وسيجزي الله الشاكرين . ولا يضيع اجر المحسنين ، وانه جعل إليّ عهدَه ، والأمرةَ الكبرى إن بقيت بعده . فمن حلّ عقدةً أمرَ الله بشدّها ، وفَصمَ عروةً أحبّ الله ايثاقَها فقد أباح حريمه ، وأحلّ



المسكوكات التي سكت باسم الامام الرضا بالخط الكوفي منقولة الى جانبها بالخط الحالي للتوضيح نقلاً من مجلة (نامه آستان قدس)

محرمَه ، اذ كان بذلك زارياً على الامام . منتهكاً حرمةَ الاسلام . بذلك جرى السالف فصبر منه على الفلتات ولم يعترض بعدها على العزمات خوفاً من شتات الدين ، واضطراب حبل المسلمين ، ولقرب امر الجاهلية ، ورصد فرصة تُنتهز ، وبائقة تُبتدر ، وقد جعلت اللهَ على نفسي إذ استرعاني أمرَ المسلمين . وقلدني خلافتَه . العملَ فيهم . وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصةً بطاعته ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . وان لا أسفك دماً حراماً ، ولا ابيح فرجاً ، ولا مالاً الا ما سفكته حدود الله . واباحتـه فرائضه ، وان أتخيّر الكفاءة جهدي وطاقتي . وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه فانه عزّ وجلّ يقول : وأوفوا بالعهد إن العهدَ كان مسؤولا ، وان أحدثت او غيرت . او بدّلتُ كنتُ للغير مستحقاً .

وللنكال متعرضاً ، واعوذ بالله من سخطه ، واليه ارغب في التوفيق لطاعته ، والحؤول بيني وبين معصيته ، في عافية لي وللمسلمين ، والجامعة والجفـــر يدلان على ضد ذلك (وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ، إن الحكمُ الا لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين) لكني امتثلتُ أمرَ امير المؤمنين ، وآثرتُ رضاه ، واللهُ يعصمني واياه ، واشهدتُ على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً ، وكتبتُ بخطي بحضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والفضل بن سهل [1] وسهل ابن الفضل [2] ويحي بن اكثم [3] وعبد الله بن طاهر [4] وثمامة بن اشرس [5] وبشر ابن المعتمر [6] وحماد بن النعمان [7] في شهر رمضان سنة احدى ومائتين » [8] .

هياج العباسيين وخلع المأمون

قال علماء السير والمؤرخون : فلما تمت البيعة بولاية العهد للامام الرضا شغب بنو العباس ببغداد على المأمون وخلعوه من الخلافة وبايع الكثير منهم

---

(١) الفضل بن سهل وقد مر التعريف به من قبل ، وهو ابو العباس وزير المأمون والدعامة الكبرى في تثبيت خلافة المأمون ، جمع بين الوزارة وقيادة الجيش ، فلقب بذي الرياستين ، وقد حذر اخوه الحسن بن سهل المأمون من ثورة بني العباس عليه في بيعته للرضا بولاية العهد ، مع كونه من الموالين للامام الرضا ، وقتل الفضل بن سهل في الحمام قتله جماعة واتهم المأمون بقتله فقتل المأمون قاتليه وحزن عليه ، وهو من مواليد القرن الثاني . (٢) من الجائز ان يكون سهل هذا ابن الفضل بن سهل اذ لم نعثر فيما تحت ايدينا من المراجع على ترجمته . (٣) يحيى بن اكثم المروزي ، من كبار الفقهاء ، وقد ولي القضاء في زمن المأمون وكان له شأن كبير في الدولة لم يقتصر عـــلى القضاء وحده وذلك لقربـــه للمأمون وهو من مواليـــد القرن الثاني .

(٤) عبـــد الله بن طاهر مـــن اشهر الولاة في العصر العباسي تولى امارة خراسان ، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه ، وكان الى جانب حزمه من ارباب العلم والادب والمعرفة ، وهو من مواليد القرن الثاني . (٥) ثمامة بن اشرس النميري ، من الفصحاء البلغاء ، كان له بالرشيد اتصال شديد ثم اتصل بالمأمون ، وكانت له عقيدة خاصة تنزع الى الاعتزال بل قيل انه كان من المعتزلة ، عرض عليه المأمون الوزارة فأباها ، وهو من مواليد القرن الثاني . (٦) بشر بن المعتمر هو الاخر من مواليد القرن الثاني ، فقيه من اكبر فقهاء الكوفة وكان من جماعة المأمون . (٧) حماد بن النعمان لم نعثر له على ترجمة فيما تحت ايدينا من المراجع . (٨) اعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٤٢ — ١٤٤ مط ابن زيدون .

ابراهيم بن المهدي بالخلافة وحدث هنالك ما يشبه الفوضى ووقعت الحرب بين اصحاب ابراهيم واصحاب الحسن بن سهل الذي كان قد فوض له امر العراق وامارة الاقطار الاسلامية الغربية من قبل المأمون ، وكان الفضل بن سهل يتلقى الأخبار في بريد اخيه الحسن بن سهل كل يوم فيخفي – على ما يقولون – هذه الأخبار عن المأمون ويخفف من اهميتها ريثما تتم سيطرة اخيه وتخمد الفتنة خصوصاً وان بغداد كانت محاصرة آنذاك من قبل جنود اخيه الحسن بن سهل ، وان وقوف المأمون على تلك الاخبار المزعجة ربما كان يسبب اختلالاً آخر في الحكم بخراسان .

ويقول الطبري : ان الامام علي بن موسى الرضا هو الذي أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخوه الأمين ، وهو الذي اخبره بما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الاخبار ، وان اهـل بيته (العباسيين) ناقمون عليه اشياء ، وان الفضل لم ينقل له الحقائق ، وقال الرضا للمأمون ، ان من جملة ما ينقم الناس عليه هو مكان الحسن بن سهل في العراق ، ومكان اخيه الفضل بن سهل في خراسان ، ومكانه هو (اي الامام الرضا) ومكان بيعة المأمون له بولاية العهد من بعده[1] وقد استشهد الامام الرضا بعدد من الثقات المصلحين على ما كان يدور في العراق يومذاك : منها تنحية الحسن بن سهل لطاهر بن الحسين عن العمل والزامه القعود بجيشه في الرقة ، وهو الذي أبلى في طاعة المأمون وحارب ، وفتح ، وقاد اليه الخلافة مزمومة حتى اذا وطأ الامر أُخرج من ذلك كله وصيّر في زاوية من الأرض بالرقة ، وانه لو كان طاهر بن الحسين ببغداد لما ثارت الفتن[2] .

وقال سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ان الامام علي بن موسى الرضا (ع) قال للمأمون : « يا امير المؤمنين النصح لك واجب ، والغش لا

---

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ١٤٧ ،ط الاستقامة . (٢) المصدر المتقدم .

لا يحلّ لمؤمن . ان العامّة تكره ما فعلت معي ، والخاصة تكره الفضل بن سهل ، فالرأي ان تنحينا عنك حتى يستقيم لك الخاصة والعامـــة فيستقيم امرك[1] » .

توجه المأمون لبغداد

واشير على المأمون بالرحيل من خراسان الى العراق . وحاول الفضل ابن سهل صرفه عن رأيه محذراً اياه مما قد يقع له في العراق ، خصوصاً وانه المتهم بقتل اخيه الامين وانه هو الذي احدث هذا الحدث الكبير الذي اخرج الخلافة من بني ابيه بعده وعهد بها الى الامام الرضا ، وهو حدث يجمع على خلافه العامة والفقهاء والعلماء وآل العباس — على ما قال الفضل — وان قلوبهم متنافرة عنه ، وان من الرأي السديد ان يقيم بخراسان حتى تسكن قلوب الناس على هذا . ولكن المأمون لم ينزل على هذا الرأي ولم ينزل على رأي الامام الرضا في حلّه من البيعة ، وخلعه من ولاية العهد ، ويبدو انه كان قانعاً من ان اثارة الفتن مقتصرة على بني العباس وان الرأي العام مستصوب لما فعل ولذلك صمم على التوجه الى العراق والاشراف بنفسه على شؤون الدولـــة .

وأعدت عدّة الرحيل من (مرو) . وارتحل ومعه الامام الرضا (ع) والفضل بن سهل ، وكبار القادة ، وفي مدينة (سرخس) مدينة الفضل بن سهل وموطن آبائه . وهي من اشهر مدن خراسان شدّ قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام يغتسل وضربوه بالسيوف حتى مات وكان ذلك في سنة ٢٠٢ وقيل بل في سنة ٢٠٣ . وقبض على قاتليه وكانوا من حشم المأمون وضربت اعناقهم وبعث المأمون برؤوسهم الى الحسن بن سهل (بواسط) في العراق ومع ذلك فقد اتهم بعض المؤرخين المأمون بقتله ، وقالوا انه هو الذي امر اولئك القتلة بقتله حين رأى استفحال امره ، وان قتله سيكون عاملاً

---

(١) اعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٧٠ مط ابن زيدون .

من عوامل التقرب الى الخاصة والقواد ورجال الدولة ، وكادت تحدث بسبب هذه الاشاعة فتنة كبيرة في خراسان فاستجار المأمون بالرضا (ع) فخرج الامام الرضا وخطب القوم فتفرقوا واخمدت الفتنة [١] .

وفاة الامام الرضا

وفي طريق المأمون الى العراق وقبل وصوله مدينة طوس بسبعة منازل على ما روى الصدوق في (العيون) عن ياسر الخادم اعتلّ ابو الحسن الرضا (ع) وقال ياسر : اننا دخلنا طوس وقد اشتدت بالامام العلة ، فبقينا بطوس اياماً فكان المأمون يأتيه في كل يوم مرتين ، واشتدت علّته ، وقد ذهب عدد من المؤرخين الى ان اعراض السم كانت بادية ظاهرة على الامام ، وقد اتهم المأمون بسمه بالعنب تخلصاً من عهده وتقرباً الى بني العباس من اهل بيته .

وروى المفيد في (الارشاد) وفي (خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال) عن سفن بن ماجة القزويني ، وكلاهما من علماء السنة : ان الامام الرضا مات مسموماً بطوس ، واورد السيد محسن الامين روايات اخرى تشير الى وفاة الامام الرضا مسموماً ، وقد اشار ابن الأثير في الجزء السادس الى هذه الروايات واستبعد رواية سمه .

وروى ابن خلكان انه قد اكل عنباً واكثر منه ، وقيل بل كان مسموماً فاعتل منه ومات [٢] .

ويروي ابو الفرج الاصفهاني عن ابي الصلت الهروي قائلاً : دخل المأمون الى الرضا يعوده فوجده يجود بنفسه فبكى وقال :

أعزز علي يا اخي بأن اعيش ليومك وقد كان في بقائك أمل ، وأغلظ

---

(١) العيون للصدوق – اخرجه السيد محسن الامين باعيان الشيعة ج ٤ ق ٢ ص ١٧٨ .
(٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٣٢ مط السعادة .

عليّ من ذلك وأشد : ان الناس يقولون : اني سقيتك سماً ، وأنا الى الله من ذلك بريء .

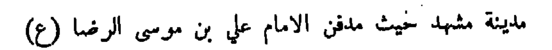
فقال الرضا : صدقت يا امير المؤمنين انت والله بريء .

ثم خرج المأمون من عنده . ومات الرضا ، فاهتزت الدولة لموته الفجائي الذي جاء عقب مقتل الفضل ويقول احمد فريد الرفاعي انــه من المعقول في مثل هذه الاحوال ان تنتشر الاشاعات ، كما انه من المعقول ايضاً في مثل هذه الاحوال ان يصعب الوقوف على الحقيقة لتضارب الاشاعات . وتناقض الاراجيف واختلاف وجهات النظر[١] .

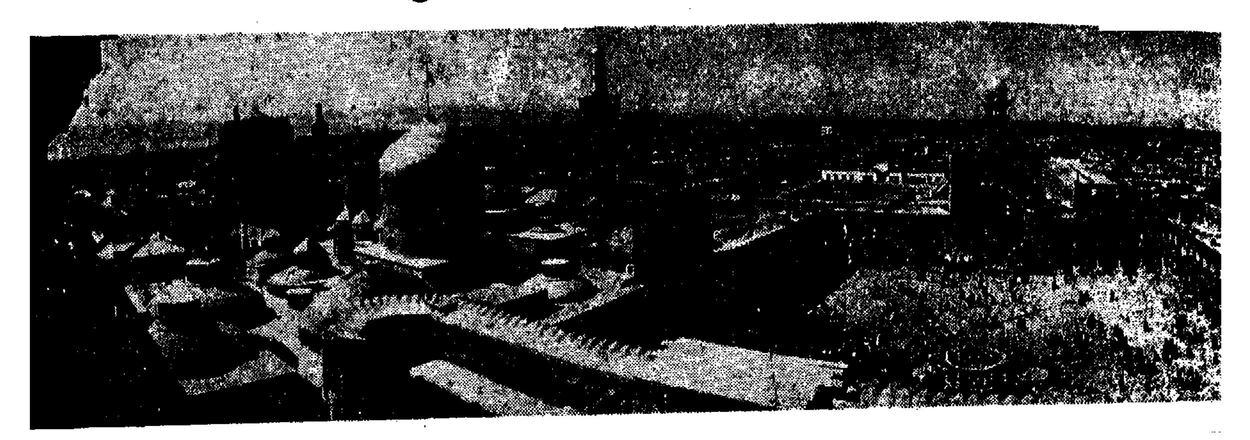
وجاء في كتاب (وفاة الامام الرضا) ان الامام الرضا كان ينصح المأمون بابعــاد الفضل بن سهل والحسن بن سهل عنه وينهــاه عن الاصغاء اليهما فعرفا ذلك عنه فجعلا يحطبان عليه عند المأمون ويذكران له عنه ما يبعده منه ويخوفانه من جهل الناس ولم يزالا كذلك حتى قلبا رأيه فيه وعزم على قتله[٢] الى غير ذلك من الروايات المتضاربة .

وحضر المأمون الامام الرضا قبل ان يحفر قبره ، وامر ان يحفر الى جانب ابيه[٣] وكان ذلك في ضيعة من ضياع طوس المعروفة (بسناباذ) وقــد مر ذكرها في بستان من قصر الجنيد بن عبد الرحمن[٤] .

(١) عصر المأمون ج ١ ص ٢٦٨ مط دار الكتب . (٢) وفاة الامام الرضا مخطوطة لمؤلفها الشيخ حسين القطيفي من مخطوطات مكتبة (استان قدس) . (٣) مقاتل الطالبيين ص ٥٧١ – ٥٧٢ .
(٤) هو عامل هشام بن عبد الملك على خراسان وقد مر ذكره .



مدينة مشهد حيث مدفن الامام علي بن موسى الرضا (ع)



ويقول الطبري : وكتب المأمون في شهر ربيع الأول ٢٠٣ هـ الى الحسن بن سهل يعلمه ان علي بن موسى بن جعفر مات ، ويعلمه ما دخل عليه من الغم والمصيبة بموته ، وكتب الى بني العباس والموالي ، واهل بغداد يعلمهم بموته وأنهم انما نقموا بيعته له من بعده ، ويسألهم الدخول في طاعته ، فكتبوا اليه والى الحسن بن سهل الجواب باغلظ ما كتب جواب لاحد ، ولكن المأمون لم يعبأ بهم لانه كان يعلم انهم انما يمثلون انفسهم ولو علم ان هذا هو رأي الامة للزم داره في خراسان ولما توجه الى بغداد .

وكان المأمون هو الذي صلى على علي بن موسى ، واشتهرت قرية سناباذ منذ ذلك اليوم ، وسميت بالمشهد ، واطلق عليها هذا الاسم وذكرها بعضهم بالنسبة فقال (مشهد خراسان) وهي اليوم ثانية مدن ايران من حيث عدد النفوس [1] .

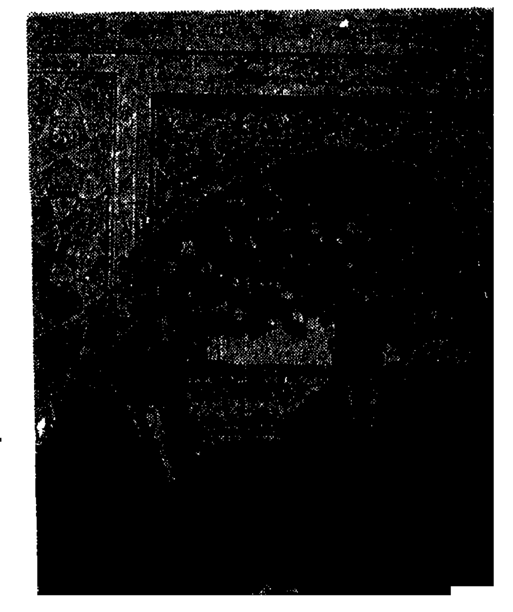
---

(١) إقرأ عرضاً مسهباً لسيرة الامام الرضا (ع) وترجمته في جزء مستقل من موسوعة العتبات المقدسة في المستقبل القريب ان شاء الله .

خراسان في عهد العباسيين
الى حين وفاة الإمام الرضا

اذا استثنينا بعض الفترات التي تولى فيها الحكم بخراسان مثل الفضل بن يحيى والمأمون نفسه لم نجد كبير فرق بين سيرة الامراء الذين استعملهم الامويون والذين استعملهم العباسيون في خراسان منذ اول قيام الدولة العباسية حتى خروج المأمون من خراسان اذ لم يكن يهم اكثر الحكام شيء غير ابتزاز الاموال، والاستيلاء على الضياع ، والبطش بالخصوم ، والمتمردين عليهم بفظاعة وقسوة شجعت الكثير من الخراسانيين وخصوصاً الاتراك فيما وراء النهر على التمادي في الثورات ومعاملة المسلمين بنفس القسوة والفظاعة والاستهتار بالنواميس والاعراض مقابلة بالمثل لجيوش المسلمين حين كانوا يغزون ويأسرون وحين كانوا يحكمون مما كان الاسلام ينهى عنه ويعاقب عليه لو كان هناك من يستطيع ان يقيم حدود الله ، ولو كان هؤلاء الحكام قد اتبعوا التعاليم الاسلامية في سيرتهم لما كلف انتشار الاسلام شيئاً في جميع اصقاع الدنيا . ولم يخل حتى عصر المأمون

واجهة مدخل مقبرة محمد المحروق بنيشابور



الزاهر من الفظاعة التي نهى عنها الاسلام وحرمها . فقد قبض على محمد بن محمد بن زيد بن علي بنيشابور وكان قد ثار على حكم المأمون فقتل واحرق جسده كما احرق جسد عمه يحيى بن زيد وكما احرق جسد جده زيد بن علي بن الحسين (ع) في خلافة الامويين .

وكانت خراسان من اهم الاقطار بل واهم الثغور التي أمدّت الامويين والعباسيين باموال لا تحصى ، وقومت خزانة الدولة ، وموّنت بيوت الخلفاء والامراء والقادة بمختلف النفائس والعلائق ، والكنوز الثمينة ، فضلاً عن انها كانت ركيزة من اكبر ركائز الاسلام في مختلف ميادين الحروب في العصر الاموي والعباسي ، وكان رجالها من اشهر رجال الدولـة في الحرب وفي الادارة وحسن التدبير ، وقد عرف لها النبهاء من خلفاء العباسيين قدرهـا وعدّوها سندهم ، ودعامة خلافتهم ، واعترفوا بمالها من الحقوق عليهم وبذلوا كل المساعي للاحتفاظ بها ، ودعوا لنشر العدل والامن فيها ، ولكن جلّ الحوادث كانت تؤيد صعوبة تحقيق هذه الامنية لفرط ما كان عليه الحكام والامراء والقواد وحتى الخلفـاء انفسهم من الشره ، والطمـع ، والانغماس في اللذات ، والقصور او التقصير في كيفية ادارة الحكم في خراسان .

يقول الطبري : ان المنصور لما اخذ عبدالله بن الحسن واخوته صعد المنبر وخطب في اهل خراسان وفي استعراضه لبني امية قال :

« ... ثم وثبوا علينا بنو أمية فأماتوا شرفنا ، وأذهبوا عزّنا ، (الى ان يقول) فصرنا مرة بالطائف ، ومرة بالشام ، ومرة بالشراة ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وانصاراً . فاحيا شرفنا وعزنا بكم اهل خراسان ، ودفع بحقكم اهل الباطل واظهر حقنا ، واصار الينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقرّ الحق مقره واظهر مناره ، وأعز انصاره ، وقطع دابر القوم الذي ظلموا

والحمد لله رب العالمين الخ[١] » .

وفي وصية المنصور لابنه المهدي عند موته قوله .

« ... واوصيك باهل خراسان خيراً فانهم انصارك ، وشيعتك الذين بذلوا اموالهم في دولتك ، ودماءهم دونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ، ان تحسن اليهم ، وتتجاوز عن مسيئهم ، وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف من مات منهم في اهله وولده ، وما اظنك تفعل (كذا) !! »[٢] .

وقد عرف المنصور بثاقب رأيه ان القدرة على مكافأة الخراسانيين غير ممكنة لابنه وغير ابنه والا لما قال له « وما اظنك تفعل » .

ويستخلص المؤرخ طبيعة الخراسانيين ومكانتهم ، ومنزلتهم في المجتمع الاسلامي من مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان ، فقد قال لـــه محمد بن الليث :

« اهل خراسان — ايها المهدي : قوم ذوو عزة ومنعة ، وشياطين خدعة ، زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، — ويستمر ابن الليث في وصف حسناتهم وسيئاتهم حتى يقول — وليس المهدي وفقه الله فاطماً عادتهم ، ولا قارعاً صفاتهم بمثل احد رجلين لا ثالث لهمـــا ، ولا عدل في ذلك بهما : احدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينيك ، وصخرة لا تتزعزع ، وبُهمة لا يثنى — اي الشجاع الذي لا يهتدي من اين يؤتى — وبازل لا يفزعه صوت الجلجل ، نقي العرض ، نزيه النفس ، جليل الخطر ، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الاخرة بهمته ، فجعل الغرض الاقصى لعينه نصباً ، والغرض الادنى لقدمه موطئاً ، فليس يقبل عملاً ،

---

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ٣٣٤ مط الاستقامة . (٢) الطبري ج ٦ ص٣٤٣ مط الاستقامة.

ولا يتعدى أملاً ..الخ »[١] .

ومن المؤسف ان يكون الحصول على مثل هؤلاء الولاة والحكام وحتى الخلفاء لمثل خراسان التي امتازت بكل تلك الامتيازات بين جميع الاقطار الاسلامية يكاد يكون مستحيلاً او شبه مستحيل ، ولقد لقيت خراسان من الضيم والظلم والبطش من لدن القواد والامراء والعمال حتى صار عزل الحكام عن امارة خراسان سريعاً وباقل مايتصور المتصور في كثير من الاوقات ، لا بداعي الاصلاح وحده بل بداعي الرشوة التي يقدمها بعض الحكام لبعض الخلفاء لينحوا هذا ويقدموا ذاك ، فهذا الرشيد يولي جعفر بن يحيى امارة خراسان عشرين يوماً فقط ثم يعزله ويستعمل عليها عيسى بن جعفر ، ثم يستقدم علي بن عيسى من خراسان ليعزله ولكن لا يلبث ان يرده اليها اميراً على رغم كثرة شكاوي السكان منه ، ثم ينكشف ان لابنه عيسى بن علي بن عيسى الذي تولى القيادة ثلاثين الف الف ، اما ابوه الذي كان يتظاهر بالتقشف حتى ادعى بانه اضطر لبيع حلي اهل بيته للانفاق على الجيش فقد قدرت امواله بثمانين الف الف ، وقد حملت خزائنه على ١٥٠٠ بعير جيء بها الى الرشيد كما مر من قبل .

ويروي البيهقي عن ظلم الامراء الذين كانوا يرهقون كاهل اهل خراسان بجمع المال ظلماً وعدواناً ، وتشجيع الخلفاء لهم : قصة علي بن عيسى الذي أمره هارون الرشيد على خراسان وما وراء النهر فاستأصل شأفة خراسان وما وراء النهر واحرقها ، وسلك اموالاً لا تعد ولا تحصى ثم جهز من تلك الاموال هدية للرشيد لم يقدم مثلها احد من قبل ، وبلغت هذه الهدية بغداد فسر الرشيد بها وأمر باستعراضها في يوم معين ، ويقول البيهقي :

---

(١) العقد الفريد ج ١ ص ١٥٥ تحقيق محمد سعيد العريان مط الاستقامة .

« وكانت هذه الهدايا تشتمل على الف غلام تركي بيد كل منهم حلتان ملونتان من الششتري ، والاصفهاني ، والسقلاطون ، والملحّم من الديباج ، والديباج التركي والديداري ، وغير ذلك من الانواع ،

ووقف الغلمان بهذه الحلل ، وعلى اثرهم جاءت الف جارية تركية بيد كل واحدة كأس من ذهب يحتوي على الياسمين ، وملوه المسك ، والكافور ، والعنبر ، واصناف العطر ، وطرائف البلاد .

ثم مائة غلام هندي ، ومائة جارية هندية في غاية الجمال مرتدين ملابس ثمينة ، وكان بيد الغلمان السيوف الهندية من اجود الانواع ، وكانت الجواري تحمل الثياب الرقيقة في اسفاط احلى من القصب ، وكان معهم خمسة افيال منها انثيان ، وكان على الفيلة سروج من الديباج ، ومرايا من الذهب والفضة ، والفيلان الانثيان منها كان عليهما مهدان من الذهب احزمتهما وعدتهما مرصعتان بالجواهر البدخشية والفيروز !!

ثم خيول جيلانيـــة ، ومائتا فارس من خراسان بسروج من الديباج ، وعشرون عقاباً ، وعشرون شاهيناً ، والف جمل ، منها مائتان بعُدد وأجمة مغطاة بالحرير والديباج ، وكانت في غاية الجمال ، وثلثماية اخرى عليها المحامل والمهود ، منها عشرون عليهـــا محامل مذهبة ، وما بين خمسمائة وثلثمائة قطعة من البلور من شتى الاصناف ، ومائة زوج من الابقار ، وعشرون عقـــداً من الجوهر الغـــالي القيمة ، وثلثماية الف حبـــة من اللؤلؤ ، ومائتا قطعة من الصيني الفغفوري من الصحون والكؤوس وغيرها مما لم يشاهد مثلها في قصر اي ملك .

والفا قطعة أخرى من الصيني من الاواني الكبيرة ، والكاسات الواسعة ، وزهريات صينية كبيرة وصغيرة وانواع اخرى وثلثماية من الستائر الملكية

وما ئتان من سجاد القصور ، ومائتان من السرر »[١] .

وعرض بيان بكل هذه الهدايا ، وحين تم عرض هذه الهدايا على جماهير الناس في الموعد المعين ارتفعت اصوات الجند بالتكبير ، ودقت الطبول ، ونفخت الابواق .

وحين كان الفضل بن يحيى البرمكي اميراً على خراسان قبل امارة علي بن عيسى لم يقدم الى الرشيد هدية توازي هدية اي عامل ، فالتفت الرشيد الى يحيى وهو يستعرض الهدايا وقال له :

« أين كانت هذه الاشياء ايام ولاية ابنك الفضل ؟ » .

فقال يحيى : « اطال الله عمر امير المؤمنين ، لقد كانت هذه الاشياء ايام ولاية ابني الفضل في بيوت اهلها في مدن العراق وخراسان »[٢] .

* * *

ولأهمية خراسان كان الامين يخاف من تمكن المأمون منها ، وهي بمثل ذلك الخصب والثروة والعلم والشجاعة ، وكان تخوفه في محله .

وعندما توفي الرشيد كان في بيت المال تسعماية الف الف ونيف[٣] ، اما المنصور فقد مات ، وفي بيت المال ، ماية الف الف وستين الف الف عين مثاقيل[٤] وليس من شك ان اغلبها كان من خراسان . ومن عهد الرشيد للمأمون تستبان اهمية هذا الاقليم التاريخية من حيث المال والرجال ، والحضارة والايمان بالاسلام الذي كان من بعض آثارهما ظهور العشرات من أئمة اهل العلم والحديث والفقه والتفسير والفلسفة والعرفان والادب في مختلف المدن الخراسانية .

---

(١) تاريخ البيهقي – الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأة ، تصدير وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة ص ٤٤٢ – ٤٤٣ . (٢) المصدر المتقدم . (٣) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٦ ص ٢١٤ مط صادر . (٤) كتاب الفرق والتواريخ – لابي حامد الغزالي ، من مخطوطات مكتبة خراسان .

والى اوائل القرن السابع الهجري كان كل شيء في خراسان يدل على عظمة هذه البلاد – على رغم ما لقيت من اضطهاد وعدم استقرار – من توفر عناصر الحضارة والمدنية والثقافة والثروة ، وخزائن الكتب ، وخزائن التحف والرخاء بحيث كان ثمن الحمار فيها بخمسة دراهم على ما ذكر ياقوت ، فغزاها المغول وقضوا على كل ما كان فيها ولم يبق ما بين ايدينا من اخبارها القديمة الا النزر اليسير الذي تتحدث به الكتب ، والا بعض الاثار القائمة التي تتحدث ببعض ما كان لخراسان في العهود القديمة وفي العهود الاسلامية [١] .

(١) في الجزء الثاني من قسم خراسان عرض لاهم مدن خراسان وفي مقدمتها مدينة طوس وسناباذ

خراسان في الشعر

جمعه ونسقه

حسب الحروف الهجائية

فؤاد عباس

من خريجي الجامعة الأميركية ببيروت

والمفتش الاختصاصي

في وزارة التربية العراقية



خراسان في الشعر

أسيد بن المتشمّس المرّي

قال حين خلع أهل خراسان الطاعة أيام عثمان بن عفّان [1]

ألا ابلغا عثمان عني رســالةً　　فقد لقيت منا (خراسان) بالغدر

فأذْكِ هداك الله حرباً مقيمةً　　(بمَرْوَيْ خراسان)العريضةفي الدهر

ولا تفترِز عنا فــان عدوّنا　　لآلُ (كُنا زاء)الممدّين بالجسر *

اشجع السلمي

قال مشيراً الى الرشيد حين ولّى جعفر بن يحيى البرمكي امارة خراسان [2]

إنّ (خراسان) وان اصبحت　　ترفع من ذي الهمّة الشــانا

لم يَحْبُ هرون بهــا جعفراً　　لكنه حابى خراســانا

الأصمعي (عبد الملك بن قريب)

أنشد [3] :

اذا ما بدا عمرو بدت منه صورة　　تدلّ على مكنونه حين يُقبِلُ

بياض (خراسان) ولُكنةُ (فارس)　　وجثّة (روميّ) وشَعْرٌ مفلفل

---

(١) معجم البلدان: (خراسان). طبعة لايبزك سنة ١٨٦٧ . * آل كنازاء — هم اخوال كسرى بنيسابور وكانوا زعماء من خلع الطاعة يومئذ . (٢) ديوان المتنبي — شرح الواحدي — طبع برلين سنة ١٨٦١ ص ٢٣١ . (٣) ثمار القلوب — لابي منصور الثعالبي — مصر سنة ١٩٦٥ ص ٢٣٩ .

البحتري [١]

قال يستسقي نبيذاً من أبي أيوب احمد بن محمد بن شجاع وقد أتاه بنو حُميد بن عبد الحميد :

لك الخيرُ ما مقدار عفوي وما جهدي ... وآل حُميد عند آخرهم عندي ؟
تتابعت الطاءان (طوسٌ) وطيّء ... فقل في خراسان وان شئت في نجد [٢]
أتوني بلا وعدٍ وان لم تجد لهم ... براحهم راحوا جميعاً على وعد
ولم أر خلاّ كالنبيذ اذا جفـا ... جفاك له خـلاّنه وذوو الودّ

وقال يمدح ابا نهشل محمد بن حُميد الطوسيّ من قصيدة [٣]

الا تريان الربعَ راجع أنسه ... وعادت الى العهد القديم معاهده
(كقصر حُميدٍ) بعدماغاض حسنه ... وأقوت نواحيه وأجدب رائده [٤]
تلافاه سيب الصـامتيّ محمد ... فعادت له أيامه ومشاهده

وقال يرثي طاهر بن عبدالله بن طاهر والحسين بن طاهر بن الحسين [٥]

فلّله قبر في (خراسان) ادركت ... نواحيه اقطارَ العـلا والمآثر
مقيمٌ بأدنى (أبْرَ شَهْرَ) وطوله ... على قـَصْو آفاق البلاد الظواهر [٦]
عميدا (خراسان) انبرى لهما الردى ... بعامدتين من صنوف الدوائـر

---

(١) ديوان البحتري – تحقيق حسن كامـل الصيرفي – مصر سنة ١٩٦٣ : ١ – ٤٩١ .
(٢) طوس : من مدن خراسان وبها كانت دار حميد بن قحطبة جد آل حميد المذكورين في الابيات طي : قبيلة الشاعر وبني حميد . (٣) المصدر السابق: ١ – ٥٨٣ . (٤) قصر حميد : كان قائماً في طوس . ذكره صاحب معجم البلدان عند الكلام على طوس . (٥) المصدر السابق – ٢ – ٩٦٢ – ٩٦٤ . طاهر بن عبد الله ولي امرة خراسان سنة ٢٣٠ هـ بعد وفاة ابيه عبد الله بن طاهر وتوفي سنة ٢٤٨ هـ . والحسين بن طاهر بن الحسين بن مصعب عمه . (٦) أبر شهر – هي مدينة نيسابور وبها قبر الشريف محمد المحروق بن محمد بن زيد بن زين العابدين (ع) يزار ، وبها قبر عمر الخيام وقبر الشاعر الصوفي الشيخ فريد الدين العطار . وبها مات مالك بن الريب المازني حيث رثى نفسه بقصيدته اليائية الطويلة الشهيرة . وهي اليوم من توابع (مشهد) مركز ولاية خراسان وتبعد عنها ساعتين ونيفاً بالسيارة .

وقال يهجو محمد بن طاهر (هو ابن المرثيّ في الابيات السابقة ، ولي إمرة خراسان بعد والده الى ان خرج عليه يعقوب بن الليث الصفّار فحاربه وظفر به يعقوب ، وبقي عنده في الاسر ثمّ نجا . ولم يزل خاملاً ببغداد الى أن مات سنة ٢٩٨ هـ .)

علي مثل رأسك زال السرور ومـال الزمان بنـا وانقلب
اذا نحن شئنا رأينـا البلاء بأعيننا وسمعنا العجب
ذخـائرُ آبائك الأوّلي... نَ أتْـوَيْتَها في مَهُور اللعب
وسلّمتَ سلطانهم حين صا رَ إليك ، بمقتلعات الكُتُب
فلِمْ لا تُعَدّ من الأجْـوَدِ......ن ، وملك (خراسان) ممّا تَهَبْ !؟[1]

البُستي (ابو الفتح)

قال في ابي علي ابن سيمجور [2]

ألم ترَ ماارتآه ابو علـيّ وكنت اراه ذا لُبّ وكَيْس
عصى السلطان فابتدرتْ إليـه جيوشٌ يقلعون ابـا قُبيس
وصيّر (طوس) معقله فاضحت عليه (طوس) اشأم من طُوَيْس

ابو تمام

قال يمدح محمد بن حسّان الضبّي [3]

ما اليوم اول توديعي ولا الثاني البين اكثَرَ من شوقي واحزاني
دع الفراق فان الدهرَ سـاعده فصار املك من روحي بجثماني
خليفة (الخضر) مَنْ يُربِعِ على وطن في بلدة فظهور العيس اوطاني
بالشام اهلي ، وبغداد الهوى ، وأنا بالرقمتين ، وبالفسطاط اخواني
وما اظنّ النوى ترضى بما صنعتْ حتّى تُشافِهَ بي اقصى (خراسان)

(١) المصدر السابق: ١/ ٢١١ (٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – الثعالبي – مصر ١٩٦٥: ص ١٤٦ . (٣) ديوان ابي تمام – شرح شاهين عطية – بيروت ١٨٨٩ ص – ٢٨٧ .

وقال يصف شدّة البرد بخراسان [١]

لم يبقَ للصيف لا رسمٌ ولا طلَلُ ولا قشيبٌ فيُستكسَى ولاسَمَلُ
عدلٌ من الدمع ان يُبكي المصيف كما يُبكَى الشبابُ ويبكى اللهو والغزل
يُمنى الزمان طَوَتْ معروفَها وغدت يُسراه وهي لباس بعده بَدَل
ما للشتاء ولا للصيف من مثَل يرضى به السمعُ الا الجود والبخل
اما ترى الأرض غضبى والحصى قلقاً والافق بالحَرْجَف النكباء يقتتل
من يزعم الصيف لم تذهب بشاشته فغيرَ ذلك امسى يزعم الجبـل
غدا له مغْفَرٌ في رأسه يقَقٌ لا تهتك البيض فوديه ولا الاسل [٢]
يُمسي ويضحي مقيماً في مباءته وبأسه في كُلَى الاقوام مرتحل
من كان يجهل منه جِدّ سَورته في القريتين وامـر الحق مكتهل
فما الضلوع ولا الأحشاء جاهلة ولا الكُلَى أنّه المقدامة البطل
هذا ولم يشتمل للحرب ديدنه وايّ قِرْن تراه حين يشتمل
اذا (خراسان) عن صِنّبْرها كشرت كانت قياداً لنا أنيابُهُ العُصُل [٣]
فما صِلائي — إن كان الصلاء بهـا جمرَ الغضا الجزْل —إلا السيرُ والابلِ
المرضياتك مـا ارغمت آنفها والهادياتك وهي الرشد والضلـل
تقرّب الشقّةَ القصوى اذا اخذت سلاحها وهي الارقال والرَمَل
اذا تظلّمتُ من ارضٍ فصلتُ بها كانت هي العزّ الاّ أنها ذُلُل

وقال وقد سمع مغنّية تغنّي بالفارسيّة فاستحسن الصوت ولم يعرف المعنى [٤]

أياسَهَري ببلدة (أبْرَشَهْرٍ) [٥] ذممتَ إليّ في نومي سـواها
شكرتك ليلةً حَسُنَتْ وطابت اقام سـرورها ومضى كراهـا

---

(١) ديوانه : ص ٣٧٨ — ٣٧٩ . (٢) يصف الجبل والثلج يكلل رأسه . (٣) الصنبر : البرد الشديد . العصل : جمع عصلاء ، وهي الانياب العوج القبيحة الشكل . (٤) المصدر السابق — ص : ٤١٧ . (٥) ابرشهر — هي مدينة نيسابور من اعمال ولاية خراسان كما مر .

وما سَهِدَتْ بمحمودٍ ولكن ... قضى حاجاتِ نفسي ما قضاها
اذا وَهَدَاتُ ارضٍ كان فيها ... هواك فلا تحنّ الى رباها
سمعت بها غناءً كان أولى ... بأن يقتاد نفسي من غناها
ومسمعةٌ يحار السمع فيها ... ولم تُضْمِنْهُ ، لا يُضَمِّمْ صداها
مرّتْ أوتارَها فشفتْ وشاقتْ ... ولو يسطيع حاسدُها فداها
فما خلتُ الخدودَ كسبن شوقاً ... لقلبي مثلما كسبتْ يداها
ولم افهم معانيها ولكن ... ورتْ كبدي فلم أجهل شجاها
فبتّ كأنّني اعمى معنّىً ... يُحبّ الغانيات وما يراها

الشيخ جابر الكاظمي

قال — رحمه الله — عندما زار مشهد الامام الرضا (ع) في ايران [1]

ثنينا عطف محمود الثناء ... لمغنى سبط ختم الانبياء
لربعِ هدايةٍ لله فيه ... مواهب رحمةٍ لذوي (الولاء)
لمغنىً فيه للرضوان مأوىً ... وفيه (للرضا) اسمى بناء
لمغنىً تلثم الشمس اعتماداً ... تراه في الصباح وفي المساء

* * * *

الى شمس الشموس وما سواه ... أنيسٌ في الاسى للاصفياء
الى شمسٍ حبا (طوساً) بشمسٍ ... تفوق الشمس باهرة الضياء
(عليّ) الندب وابن الندب (موسى) ... سليل ذوي الهدى (أهل العباء)
إمامٌ من إمامٍ من إمام ... وما لله فيه من بداء
و (ثامن) سادةٍ سادت بمجدٍ ... سما أدناه مجد الأنبياء

* * * *

(١) ديوان جابر الكاظمي : تحقيق محمد حسن آل ياسين . بغداد سنة ١٩٦٤ : ص : ٣١-٣٤.

مودّة (ناصر الدين)[1] المفدّى　　صفَتْ لك وهو أهلٌ للصفاء
أقام لكم قباباً شاهقاتٍ　　سمت فيها سماوات العلاء

آقا شيخ حسن هروي

من القصيدة المسمّاة (الوجيزة الطوسيّة في المظالم الروسيّة)[2]

در عهد جهانداري شاهنشه (قاجار)　　شد واقعه كرب وبلا تازه دگربار
افسوس كه در (طوس) بتوپ ستم روس
شد منهدم الركن حريم شه ابرار
سلطان خراسان شه اقليم ولايت
فرمانبر او نُه فلك ثابت وسيّار

وهذا ملخص تعريبها : في عهد الشاهنشاه القاجاري تجددت مأساة كربلا مرة اخرى فقد صوّب الروس مدافعهم الى حرم الامام الذي تمتثل أوامره الافلاك التسعة الثابتة والسيارة وهدموه .

السيد حيدر الحلّي

قال من قصيدة مهنئاً الحاج مصطفى كبّه لما أقبل من زيارة الرضا (ع)

بلغته (الرضا) عزيمة نفسٍ　　كبُرتْ ان ترى الخطير خطيرا
كم طوى البيد باسطاً كفّ جودٍ　　نشرت ميّت الندى المقبورا
فأتى (مشهداً) لمن طاف فيه　　قد اعدّ الآلــه اجراً كبيرا
حاز اجراً لو الورى اقتسمتــه　　لغدا فيه كلّهم مأجورا[3]

---

(١) ناصر الدين شاه — ملك ايران (انظر موسوعة العتبات المقدسة — قسم الكاظمين — ١/٧٩)
(٢) انقلاب طوس (فارسي) — طبع حجر — المشهد المقدس سنة ١٣٣٩ : ص : ٣٤ — ٣٥ .
(٣) ديوان حيدر الحلي — طبعة الهند — لم تذكر سنة الطبع — ص : ١٩٠ — ١٩١ .

قصيدة سنائي الغزنوي

هذه اقدم قصيدة فارسية في مدح الامام الرضا (ع) للشاعر ابي المجد مجدود بن آدم المعروف (بسنائي غزنوي) المتوفى سنة ٥٣٥ هـ . ويظهر ان سنائي قد نظم هذه القصيدة في اثناء زيارته لخراسان وسفره الى نيشابور ويستبان ذلك من الرسالة التي كتبها سنائي الى الفيلسوف الشاعر عمر الخيام النيشابوري التي يرجوه فيها التوسط لدى السلطة التي قبضت على خادم سنائي بتهمة السرقة .

والقصيدة هذه نقلتها مجلة (آستان قدس) التي تصدر من دار التولية بخراسان من ديوان سنائي الذي حققه المدرس الرضوي . في العدد الرابع من المجلد السادس .

قصيدة دعبل الخزاعي

والى جانب قصيدة سنائي الفارسية رأينا ان نثبت قصيدة دعبل بن علي ابن رزين الخزاعي باعتبارها من اقدم ما قيل من الشعر في رثاء آل علي (ع) من الأئمة ومدحهم وذكر الامام الرضا (ع) بالمدح وهي قصيدة محققة حذفت منها جميع الأبيات التي تستوجب المناقشة من حيث الزيادة والنقصان فقد قيل ان زيادات كثيرة كانت قد ادخلت على هذه القصيدة لشهرتها لذلك اجتهدنا ان نتثبت من الاصل فنقلناه من تحقيق الدكتور عبدالكريم الاشتر وقد كتبت هذه القصيدة وزينت بخط الشاعر الطيار كمال عثمان . ودعبل الخزاعي هذا هجا عدداً من الخلفاء العباسيين لاضطهادهم العلويين فطلبوه ولم يظفروا به وكان يقول : ان لي خمسين سنة وانا احمل خشبتي على كتفي ادور على من يصلبني عليها . فقد كان شديد الحب للأئمة متفانياً في تشيعه . وهو كوفي ومن مواليد القرن الثاني الهجري .

در مدح حضرت ثامن الائمه
علی بن موسی الرضا علیه آلاف التحیه والثنا گوید

دین را حرمیست در خراسان — دشوار ترا بحشر آسان

از معجزهای شرع احمد — از حجت های دین یزدان

همواره زحشش مسیر حاجت — پیوسته درش مشیر غفران

چون کعبه پر آدمی ز هر جای — چون عرش پر از فرشته هر زمان

هم فر فرشته کرده جلوه — هم روح وصی درو بجولان

از رفعت او حریم مشهد — از هیبت او شریف بنیان

از دور شده قرار زیرا — نزدیک بمانده دیده حیران

از حرمت زایران راهش — فردوس فدای هر بیابان

قران نه درو واد اولوالامر / دعوی نه دبا بزرگ برهان

ایمان نه ورستگار از او خلق / توبه نه و عذرهای عصیان

از خاتم انبیا درو تن / از سید اوصیا درو جان

آن بقعه شده به پیش فردوس / آن تربه بروضه کرده رضوان

از جمله شرطهای توحید / از حاصل اصلهای ایمان

زین معنی زاد در مدینه / این دعوی کرده در خراسان

در عهده موسی آل جعفر / با عصمت موسی آل عمران

مهرش سبب نجات و توفیق / کینش مدد هلاک و خذلان

مأمون چو بنام او درم زد / بر زر بفزود هم درم زان

حوری شد هر درم بنامش / کس را درمی زدند زینسان

از دیناری همیشه تا ده / نرخ درمی شدست ارزان

بر مهر زیاد آن درمها / از حرمت نام او چو قرآن

اینکار هر آینه نه بازیست / این خوربچه کل کنند پنهان

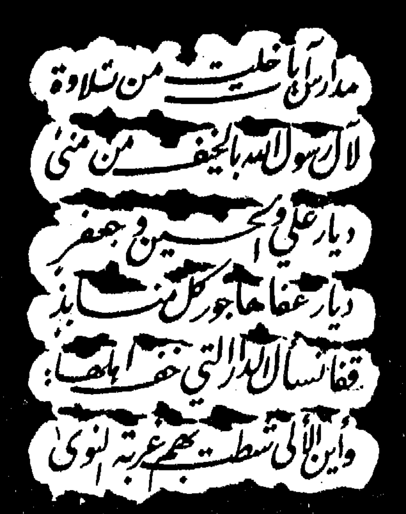
زرست بنام هر خلیفه / سیمست بضرب خان و خاقان

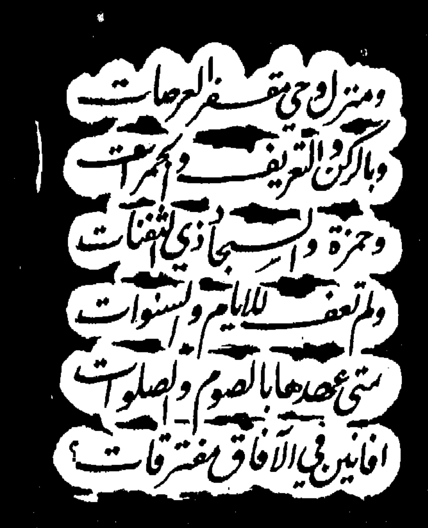
بی نام رضا همیشه بی نام / بی شان رضا همیشه بی شان

با نفس تنی که راست باشد	چون خور که بتابد از گریبان
بر دین خدا و شرع احمد	بر جمله ز کافر و مسلمان
چون او بود از رسول نایب	چون او سزد از خدای احسان
ای مأمون کرده با تو پیوند	وی ایزد بسته با تو پیمان
این پیوندت گسسته پیوند	وان پیمانت گرفته دامان
از بهر تو شکل شیر مسند	درنده شده بچنگ و دندان
آنرا که ز پیش تخت مأمون	برهان تو خوانده بود بهتان
با درد جحود منکرش را	اقرار دو شیر ساخت درمان
از معتبران اهل قبله	در معتمدان دین دیان
کس نیست که نیست از تو راضی	کس نیست که هست بر تو غضبان
اندر پدرت وصی احمد	بیتیست مرا بحسب امکان
تضمین کنم اندرین قصیده	کین بیت فرو گذاشت نتوان
ای کین تو کفر و مهرت ایمان	پیدا ز تو کافر از مسلمان
در دامن مهر تو زدم دست	تا کفر نگیردم گریبان
اندر ملک امان علی راست	دل در غم غربت تو بریان

مرثية شاعر آل البيت الشهيرة

دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ○





هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا … وهم خير قادات وخير حماة

وما الناس إلا حاسد ومكذب … ومضطغن ذو إحنة وترات

إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر … ويوم حنين أسبلوا العبرات

وكيف يحبون النبي وأهله … وقد تركوا أحشاءهم وغرات

لقد لاينوه في المقال وأضمروا … قلوبا على الأحقاد منطويات

قبور بكوفان وأخرى بطيبة … وأخرى بفخ نالها صلواتي

وقبر بأرض الجوزجان محله … وقبر بباخمرا لدى الغربات

وقبر ببغداد لنفس زكية … تضمنها الرحمن في الغرفات

وقبر بطوس يا لها من مصيبة … تردد بين الصدر والحجبات

فأما الممضات التي لست بالغا … مبالغها مني بكنه صفات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائما … يفرج منها الهم والكربات

نفوس لدى النهرين من أرض كربلا … معرسهم منها بشط فرات

أخاف بأن أزدارهم ويشوقني … معرسهم بالجزع من نخلات

تقسمهم ريب الزمان فما ترى … لهم عقوة مغشية الحجرات

سوى أن منهم بالمدينة عصبة … مدى الدهر أنضاء من الأزمات

قليلة زوار سوى بعض زور … من الضبع والعقبان والرخمات

لهم كل حين نومة بمضاجع … لهم في نواحي الأرض مختلفات

وقد كان منهم بالحجاز وأهلها … مغاوير نحّارون في السنوات

تنكّب لأواء السنين جوارهم … فلا تصطليهم جمرة الجمرات

حمى لم تطره المذنبات وأوجه … تضيء من الأيسار في الظلمات

إذا أوردوا خيلاً تسعّر بالقنا … مساعر جمر الموت والغمرات

وإن فخروا يوماً أتوا بمحمد … وجبريل والفرقان ذي السورات

أولئك لا من شيخ هند وتربها … سمية من نوكى ومن قذرات

ملامك في أهل النبي فإنهم … أحبّاي ما عاشوا وأهل ثقاتي

تخيّرتهم رشداً لأمري فإنهم … على كل حال خيرة الخيرات

نبذت إليهم بالمودة جاهداً … وسلّمت نفسي طائعاً لولاتي

فيا ربّ زدني من يقيني بصيرة … وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي

بنفسي أنتم من كهول وفتية … لفكّ عناة أو لحمل ديات

وللخيل لمّا قيّد الموت خطوها … فأطلقتم منهنّ بالذربات

أحبّ قصيّ الرحم من أجل حبكم … وأهجر فيكم أسرتي وبناتي

وأكتم حبيكم مخافة كاشح … عنيد لأهل الحق غير موات

لقد حفّت الأيام حولي بشرّها … وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

ألم تر أني مذ ثلاثين حجة … أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً … وأيديهم من فيئهم صفرات

فآل رسول الله نحف جسومهم ... وآل زياد غلظ القصرات

بنات زياد في القصور مصونة ... وآل رسول الله في الفلوات

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم ... أكفاً عن الأوتار منقبضات

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد ... تقطع قلبي إثرهم حسرات

خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات

سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم ... كفاني ما ألقى من العبرات

فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري ... فغير بعيد كل ما هو آت

ولا تجزعي من مدة الجور إنني ... كأني بها قد آذنت ببتات

فإن قرب الرحمن من تلك مدتي ... وأخر من عمري ليوم وفاتي

شفيت ولم أترك لنفسي غصة ... ورويت منهم منصلي وقناتي

عسى الله أن يأوي لذا الخلق إنه ... إلى كل قوم دائم اللحظات

أحاول نقل الشمس من مستقرها ... وأسماع أحجار من الصلدات

فمن عارف لم ينتفع ومعاند ... يميل مع الأهواء والشهوات

قصاراي منهم أن أموت بغصة ... تردد بين الصدر واللهوات

إذا قلت عرفاً أنكروه بمنكر ... وغطوا على التحقيق بالشبهات

كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها ... لما ضمنت من شدة الزفرات

لدعبل بن علي الخزاعي[1]

إربَعْ (بطوس) على قبر الزكيّ بها إن كنت تُربع من دين على وطر
قبران في (طوس) خير الخلق كلّهم وقبر شرّهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما على الزكيّ بقرب الرجس من ضرر
هيهات كلّ امرئ رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر[2]

* * *

قال يعاتب الفضل بن العباس وكان دعبل مؤدبه .

ألا ايها القطّاع هل أنت عارفٌ لنا حرمةً أم قد نكرتَ التحرّما ؟
فهلاّ (بطوس) والبلاد حميدة تعول الليالي والمطيّ المُرَسّما
واسلمتني من بعد ما صوّح الكلا وغاضت بقايا الحيّ والماءُ أنجما
ستعلم إن راجعتَ نفسك أو سَخَتْ عن الضّف يوماً : أينا كان ألوما[3]

وقال في رثاء علي بن موسى الرضا :

ألا ايها القبرُ الغريبُ محلّه (بطوس) عليك الساريات هتُون
شككتُ فما أدري أمَسْقيُّ شَرْبة فابكيك ، ام ريب الردى فيهون
وايهما ما قلتُ : ان قلتُ شربةٌ وان قلتُ موت ، إنه لَقَمين
ايا عجباً منهم يُسَمّونك (الرضا) وتلقاك منهم كَلْحه وغضون
أتعجب للاجلاف أن يتحيّفوا معالمَ دين الله وهو مبين
لقد سبقت فيهم بفضلك آيةٌ لديّ ، ولكن ما هناك يقين[4]

---

(١) شعر دعبل بن علي . دمشق سنة ١٩٦٤ ص ٧٢ – ٧٣ . (٢) المصدر السابق . ص ١١٢ – ١١٣ . (٣) المصدر السابق ص ١٨٢ . (٤) المصدر السابق . ص ١٩٢ ١٩٣ .

وقال في رثائه :

يا حسرةً تتردّدْ ... وعَبْرةً ليس تنفدْ
على (عليّ بن موسى بـ ... نِ جعفرِ بنِ محمد
قضى غريباً (بطوسٍ) ... مثل الحسام المجرّد
يا (طوسُ) طوباك قد صرْتِ لابن ... (احمد) مَشْهَد
ويا جفوني استهلّي ... ويا فؤادي توقّد[1]

* * *

وقال أيضاً :

لقد رحل (ابن موسى) بالمعالي ... وسار بسيره العلم الشريف
وتابعه الهدى والدين كُلاً ... كما يتتبعُ الالفَ الاليف
فيا وفد الندى عودوا خِفافاً الحقائب ، لا تليدَ ولا طريف
وقد كنّا نؤمّل ان سيحيا ... إمامُ هدى له رأيٌ حصيف
ترى سكناته فتقول : غِرٌ ... وتحت سكونه رأيٌ ثقيف
له سمحاءُ تغدو كلّ يوم ... بنائله ، وساريةٌ تطوف
فأهدأ ريحَهُ قَدَرُ المنايا ... وقد كانت له ريحٌ عَصوف
أقام (بطوس) تلحفُه المنايا ... مزارٌ دونه نأيٌ قذوف
فقل للشامتين بنا رويداً ... فما تبقي امرأً يمشي : الحُتوف
سُرِرْتُم بافتقاد فتىً بكاهُ ... رسولُ الله والدينُ الحنيف[2]

وقال في رثائه أيضاً :

يا نكبةً جاءت من الشرقِ ... لم تتركي مني ولم تبقي
موت (عليّ بن موسى الرضا) ... من سَخَطِ الله على الخلْق
اصبح عيني مانعاً للكرى ... واولعَ الاحشاء بالخفْق

---

(١) المصدر السابق ص : ٢٥٧ . (٢) المصدر السابق . ص : ٢٦١ — ٢٦٢ .

واصبح الاســـلام مستعبراً لثلمة باينـــة الرَتْق
سقى الغريبَ المنتئي قَبـــرُهُ بارضٍ (طوس) سَبَلَ الودْق

ربعي بن عـــامر

قال في غزو خراسان سنة ١٨ هـ[٢].

ونحن وردنا من (هراة) مناهلاً
رِواءً من (المرويْن) ان كنت جاهلا
و (بلخٌ) و (نيسابور) قد شَقِيتْ بنا
و (طوسٌ) و (مَرْوٌ) قد أزرنا القنابلا
أنخْنـــا عليها كورةً بعد كورة
نَفُضُهُمُ حتى احتوينا المناهلا
فللّه عينا من رأى مثلنا معاً
غداة أزرنا الخيل (تُرْكاً) و (كابُلا)

أبو سعيد المخزومي

يرثي المأمون[٣]:

هل رأيت النجوم أغنَتْ عن المأ مون في عزّ ملكـــه المأسوس
غادروه بعَرْصتَيْ (طرسوس) مثلما غادروا أباه (بطوس)

شاعر[٤]

يا ارض (طوسٍ) سقاك الله رحمته
ماذا حويت من الخيرات يا (طوس)

---

(١) المصدر السابق ص : ٢٦٣ – ٢٦٤ . (٢) معجم البلدان (خراسان) . (٣) لطائف المعارف – الثعالبي – مصر ١٩٦٠ م ص : ١١٦ . (٤) لطائف المعارف ١٩٧ .

طابت بقاعك في الدنيا وزينّها
شخص زكيّ (بسيناباذ) مرسوس[١]
يا قبره انت قبر قد تضمنّه علم وحلم وتطهير وتقديس
فخراً فانك مغبوط بجثته وبالملائكة الاحرار محروس

الشريف الرضي

سقى الله المدينةَ من محلّ لُبابَ الماء والنُّطَفِ العذاب
وجاد على (البقيع) وساكنيه رخيّ الذيل ملآن الوطاب
واعلام (الغريّ) وما استباحت
معالمها من الحسب اللباب
وقبراً (بالطفوف) يضمّ شلواً قضى ظمأ الى برد الشراب
و (سامرّا) و (بغداداً) و (طوساً) هطول الودق منخرق العباب

* * *

صلاة الله تخفق كلّ يوم على تلك المعالم والقباب
ارى شعبان يذكرني اشتياقي فمن لي ان يذكّركم ثوابي
أُجلّ عن القبائح غير أني لكم أرمي وأُرْمَى بالسباب
فاجهر (بالولاء) ولا اورّي وانطق (بالبراء) ولا أحابي
محبّكم ولو بُغِضَتْ حياتي وزائركم ولو عُقِرَتْ ركابي[٢]

ابو الشيص

ابو الشيص (محمد بن عبد الله بن رزين) ابن عم دعبل الخزاعي كان احد شعراء الرشيد ولما مات الرشيد رثاه ومدح محمداً الأمين ، قال[٣] :

---

(١) مرسوس : مدفون ١/٣٩٩ . (٢) ديوان الشريف الرضي . المطبعة الادبية . بيروت سنة ١٣٠٧ ﻫ : ١/٩٠ - ٩٣ . (٣) طبقات الشعراء : لابن المعتز . مصر سنة ١٩٥٦ . ص: ٧٥.

جرت جوارٍ بالسعد والنحس
فنحن في وحشة وفي أنْس
العين تبكي والسنّ ضاحكـةٌ فنحن في مأتمٍ وفي عرس
يضحكنا القـائم الأمين ويُبْكينا وفـاة الأمـام في الأمس
بدران : بدر هذا ببغداد في الـ...
خُلْد وبدر (بطوس) في الرمس

الصاحب بن عبّاد

قال يمدح عليّ بن موسى (ع)[1] :

يا زائراً سائراً الى (طوس) مشهد طهر وارض تقديس
ابلغ سلامي (الرضا) وحطّ على اكرم رمس لخير مرموس
والله والله حلفةً صدرت عن مخلص في الولاء مغموس
أنيّ لو كنت مالكاً أربي كان (بطوس) الغنّاء تعريسي
وكنت أمضي العزيم مرتحلاً منتسفا فيه قوة العيس
(لمشهد) بالزكاء ملتحف وبالسنى والسناء مـأنوس
يا سيّدي وابن سادتي ضحكت وجوه دهري بعقب تعبيس
لما رأيت النواصب انقلبت راياتها في ضمان تنكيس
صدعت بالحقّ في ولائكم والحقّ مذ كان غير مبخوس
يابن النبي الذي بـه قصم الله ظهـور الجبـابر الشوس
وابن الوصيّ الذي تقدّم في الـ...فضل على البزّل القناعيس
وحائز الفضل غير منتقصٍ ولابس المجد غير تلبيس
ان ابن عبّاد استجار بكم فما يخاف الليوث في الخيس
بلّغه الله مـا يؤمّلـه حتى يُحِلّ الرحال في (طوس)

---

(١) ديوان الصاحب بن عباد — تحقيق محمد حسن آل ياسين — مكتبة النهضة — بغداد سنة ١٩٥٦ . ص : ٩١ — ٩٥ .

العباس بن الاحنف [1]

قالوا (خراسان) ادنى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانـا
متى يكون الذي ارجو وآمالـه اما الذي كنت أخشاه فقد كانا
ما اقدر الله ان يدني على شحط سكان دجلة من سكان جيحانا
عين الزمان اصابتنا فلا نظرت وعذبت بفنون الهجر ألوانا
يا ليت من نتمنى عند خلوتنا اذا خلا خلوة يومـاً تمنانا

عبد الباقي العمري

ورد في ديوانه (الباقيات الصالحات) ما يلي : هذان البيتان اللذان هما كآيتين منقولان من لغة الفرس ، لجناب المؤيد بروح القدس ، الاديب الألمعي والاريب اللوذعي الحاج محمد عيسى جلبي نجل المبرور الحاج محمد أمين جلبي شالجي موسى زاده البغدادي وهما كذا [2] :

قبة للرضا حوت كل فضل مذ حوت من له بهاءٌ ونور
قبّة للافلاك لم تبقِ فخراً قال لُبّي : لكلّ لبٍ قشور

وقال مؤلف هذه الباقيات مشطّراً لهما اربعة تشاطير ، كل شطر منها أعطي شطر الحسن المنير ، واصفاً قبة حضرة الامام ، علي الرضا العليّة المقام ، وناعتاً حضرته الشريفة في هذا النظام ، البديع الانتظام :

(قبّة للرضا حوت كل فضلٍ) ما حواه وادى طوى والطور
وتلا الوحي سورة النور فيها (مذحوت من له بهاءٌ ونور)
(قبّةٌ للافلاك لم تُبقِ فخراً) تتباهى به غداة تمور
وهي تحكي بيض الانوق حفاظاً (قال لُبّي : لكلّ لُبٍ قشور) [3]

---

(١) ديوان العباس بن الاحنف – تحقيق الدكتورة عاتكة الخزرجي . القاهرة سنة ١٩٥٤ ص : ٢٧٩ . (٢) الترياق الفاروقي – مطبعة محمد مصطفى – مصر سنة ١٣١٦ هـ . ص : ١٣٤ – ١٣٦ .
(٣) والتشطير طويل اكتفينا منه بما ذكرناه .

خنــه بنه بخرجانيّ [1]

الدار داران : إيوانٌ وغمدان   والملك مُلكان : ساسانٌ وقحطان
والناسُ فارسُ ، والاقاليمُ بابلُ والإسلامُ مكةُ ، والدنيا (خراسان)
والجانبان العُلَنْدان اللذا خَشُنا   منها بُخارا وبلخُ الشاهواران
قدْ ميّزَ الناسَ اصنافاً ورتّبهم   فمرزبانٌ وبطريقٌ وطَرْخان
فالفرس كُسرى ، وللروم القياصرُ ، وال ... حبَشُ النجاشيّ ، والاتراك خاقان

مالك بن الريب

قال يرثي نفسه [2] :

لعمري لئن غالت خراسانُ هامتي   لقد كنتُ عن بابيْ خراسان نائيا
ايا ليت شعري هل ابيتنَّ ليلةً   بجنب الغضا أُزجي القلوص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركبُ عرضَه   وليتَ الغضا ماشي الركابَ لياليا
الم ترني بعتُ الضلالــة بالهدى   واصبحتُ في جيش بن عفّان غازيا

المأمون العباسي

دخل ابو عبّاد [3] ثابت بن يحيى الى المأمون وهو يختال في مشيته فقال المأمون [4] :

زهوُ (خراسان) وتيــهُ النَبَطْ
ونخوةُ الخوز وغدرُ الشُرَطْ
اجتمعت فيكَ ومن بعد ذا
إنّك رازيٌّ كثــير الغلَطْ

---

(١) مروج الذهب – تحقيق شارل يلا – بيروت سنة ١٩٦٦ ص : ١/١٩٠ . (٢) معجم البلدان (خراسان) . (٣) هو ثابت بن يحيى بن يسار الرازي احد وزراء المأمون . (٤) ثمار القلوب – للثعالبي – ص : ٢٣٨ .

محمد بن عبيد الله (سبط ابن التعاويذي)

قال في أهل البيت (ع)[1] :

ساهدني للائمة من سلامي وغرّ مدائحي ازكى هديّ
سلاماً أُتبع الوسميَّ منه على تلك (المشاهد) بالولي
واكسو عاتقَ الايام منـــه حَبائرَ كالرداء العبقريّ
حساناً لا أُريد بهنّ إلاّ مساءةَ كلّ باغٍ خارجيّ
يضيع[2] لها اذا نشرت أريجٌ كنشر لطائم المسك الذكي
كأنفاس النسيم سرى بليلٍ يهزّ ذوائب الورد الجنيّ
(لطيبة) و (البقيع) و (كربلاءٍ) و (سامرّا) و (قـَيْـدٍ) و (الغريّ)
و (زوراء) العراق وارض (طوسٍ) سقاهـــا الغيث من بلدٍ قصيّ
فحيّا اللهُ من وارته تلك الـــ قِبابُ البيضُ من حَبَرٍ[3] نقيّ
واسبل صوب رحمته دراكاً عليها بالغدوّ وبالعشيّ
فذخري للمعاد ولاء قومٍ بهم عُرِف السعيد من الشقي
كفاني علمُهم أنّي مُعادٍ عـــدوّهُمُ مُـــوالٍ للوليّ

السيد موسى الطالقاني

قـــال[4] :

وبنفسي افدي غريباً (بطوسٍ) وقتيلاً بالسّم أيّ قتيل
خير من حلّ ارضها وسماها خير داعٍ الى الهدى ودليل

---

(١) ديوان سبط ابن التعاويذي . نشره د. س. مرجليوث . مطبعة المقتطف (مصر) سنة ١٩٠٣
(٢) يضيع : كذا بالمطبوع، والاصح : يضوع . (٣) في المطبوع (من خير) والاصح ما اثبتناه : من حبر . (٤) ديوان السيد موسى الطالقاني – تحقيق محمد حسن الطالقاني – النجف سنة ١٩٥٧ ص : ٥٨ .

مشهد في المصادر العربية

كتبه

الدكتور حسين علي محفوظ

دكتوراه الدولة من جامعة طهران
والمفتش الاختصاصي بوزارة التربية سابقاً
والأستاذ بكلية الآداب في جامعة بغداد اليوم



مشهد في التواريـــخ

تاريخ مشهد خراسان [1]

سنة ١٣٠٠ هـ

أقوال المشارقة في مشهد خراسان

... أغفل ذكر المشهد جماعة من علماء العرب . منهم : ابن خرداذبه ، والمقدسي ، وابو الفداء . وذكرها : الاصطخري ، وابن حوقل ، وزكريا ابن محمد بن محمود القزويني ، في كتاب آثار البلاد ، وياقوت الحموي ، وابن بطوطة .

وأما كتاب الفرس ، فقد ذكرها : صاحب كتاب (نزهة القلوب) ، وذكرها الأمير زين الدين محمد في كتاب (زينة المجالس) ، والقاضي نور الله التستري الحسيني في (مجالس المؤمنـــين) المعروف . واحمد

---

(١) هذه مقالة نشرها الشيخ محمد رضا الشبيبي ، في مجلة العرفان (ج ٨ مج ٥ ص ٢٩٤ – ٣٠٠) سنة ١٣٣ هـ ، تعريفاً بكتاب مطلع الشمس في جغرافية وتاريخ خراسان . تأليف صنيع الدولة محمد حسن خان وزير الطباعة ودار الترجمة الخاصة الهايونية . وقد لخص فصول الكتاب باستيعاب واقتضاب .

الرازي في (هفت اقليم) ، وميرزا حسن الزنوزي في (رياض الجنة) ، وفرهاد ميرزا في كتاب (جام جم) ، وميرزا رضا قلي خان من مشاهير حملة السيف والقلم ، في العهد القاجاري .

أقوال المغاربة

ذكر المشهد من الافرنج (فورشاير) الرحالة الانكليزي ، في المجلد الثاني من رحلته ، وقد اجتاز بها سنة ١٧٨٣ .

والسر جون ملكلم ، سفير انكلترا على عهد فتح علي شاه .

(و) ذكرها صاحبه (ماكدونال كينير) في كتابه (جغرافية ايران) .

والرحالة الانكليزي (فيروزور) وقد اجاز عليها في منتصف القرن التاسع عشر . وعاشر طائفة من خاصة اهلها ، وتظاهر بالاسلام ، توصلاً إلى مقاصده ، فنجح .

والمتجول (هانوي) في رحلته إلى بلاد الروس وايران ، سنة ١٧٤٣ . وقد تمكن من الدخول إلى نفس المشهد . وافاض في تاريخه القديم والحديث ، وأورد فصولاً شائقة عن البلدة ، وأحصى مدارسها ، وعدد طلابها ، وذكر أوقافها واجناسها ، إلى غير ذلك .

وذكرها ايضاً — الدكتور (ريتر) الألماني ، من أساتذة حامعة برلين وأعضاء المجمع العلمي في كتابه (خطط ايران) بالألمانية . وكثيراً ما يعتمد على كلام فيرزور المتقدم ذكره .

والمسيو (كنولي) وقد مرّ عليها مجتازاً إلى الهند ، سنة ١٨٢٣ . وقال : ان مدينة طوس اوسع محيطاً من هراة ، الاّ انها اقل منها سكاناً . وبحث عن التجارة واحوالها هناك .

والمسيو (فريه) الرحالة الفرنسوي — ماراً بها — سنة ١٨٤٥ ، في

المجلد الأول من رحلته . وصف منظر البلاد الطبيعي ، وأورد نبذة من تاريخها ، وغير ذلك .

وتعددت له اغلاط .. غير ان اغلاط (خانيكوف)[1] الرحالة الروسي .. أكثر ؛ فمنها قوله : ان مشهد طوس واقعة في أقصى خراسان ، مع ان اقصى ديار خراسان بلخ[2] .

وقوله : ان الكتابات — في آثار المشهد — لا يرتقي تاريخها إلى ابعد من عصور الصفويين . والحالة ان قسماً منها يرتقي تاريخه إلى زمان السلاجقة والمغول .. إلى غير ذلك من أوهامه .

ظهور المشهد وعمران المدينة

.. ان مدينة مشهد خراسان ، قائمة على انقاض (سناباذ) ، البلدة الفارسية القديمة ، التي وليها حميد بن قحطبة ، من قبل الرشيد . وكانت له فيها دار وبستان . ولما قبض الرشيد في خراسان دفن في دار حميد هذه . وأمر المأمون فأقيمت ثمة قبة ، دعيت (القبة الهارونية) .

---

(١) الرحالة الروسي «نيكولا خانيكوف» ، الذي جاب بلاد خراسان وافغانستان . جاء في الصفحة ٢٦٩ من المجلد الثاني ، من كتاب (تذكرة السياحة) ، او كتاب (توردومند) المطبوع سنة ١٨٦١ ، في باريس .. ان الموسيو (يون سنت مارتن) قرأ في نادي جمعية الجغرافيا الباريسية في جلسة مارس سنة ١٨٦١ تقريراً عن أعمال (خانيكوف) الكبيرة ، واكتشافاته الجديدة في اصقاع خراسان ، التي اماط النقاب عنها ، سنة ١٨٥٩ . وورد في هذا التقرير أيضاً — انه لم يكن قبل ظهور خانيكوف في اليد شيء عن حالة المشهد المقدس والابنية التي فيه — الا بعض ما ينقل عن السيارة ، وبعض المتجولين ، وهو من النقص والاختصار بمكان — فقد جبر بها وهناً للعلم ، وسد فراغاً كان ظاهراً فيه ...

إن رسالة خانيكوف عن خراسان ، التي استحقت كل هذا الثناء ليست الا ١٩ قائمة ؛ اكثر ما فيها صور مختلفة ، ونقد بعض الأوضاع ، ونقل بعض الخرافات التي لا أصل لها ، ونحو ذلك .. (تراجع مجلة العرفان ج ٨ مج ٥ ص ٢٩٥) .

(٢) ومع ذلك فان خانيكوف لم يخطىء لان مشهد تعتبر من اقاصي اقليم خراسان — الخليلي .

ثم دفن إلى جنبه الامام ، ابو الحسن علي بن موسى الرضا ؛ ثامن أئمة اهل البيت ، سنة ٢٠٣ ، فغلب اسمه على القبر .

وقيل ان الديالمة تقدموا بعد ذلك ــ بعمارة مشهده ، ثم اخربه الأمير سبكتكين .

وبالجملة ؛ بقي المشهد خراباً ، لا يجرأ الشيعة على عمارته خوفاً من غيرهم . إلى ان تقدم بها السلطان محمود بن السلطان ناصر الدين سبكتكين ، فجدد العمارة ــ كما ذكره ابن الاثير .

ثم عمّره شرف الدين القمي ، على عهد السلطان سنجر السلجوقي . ولم تزل عمارته قائمة إلى ان اخربها التاتار .

ثم تقدم بتجديدها السلطان محمد خدابنده ، حفيد هولاكو . وقد وصف عمارته هذه ابن بطوطة ؛ ماراً بمدينة طوس سنة ٧٣٤ .

وتقدم ــ بعد ذلك ــ غير واحد ؛ من الملوك ، والصدور ، بتعمير المشهد ، والانفاق على زينته .

وقد رافق عمرانه عمران المدينة ، الى ان استفحل شأنها على عهد السلطان ميرزا شاه رخ الكوركاني . فأمر بانشاء العمارات في طوس سنة ٨٠٨ ، وتقدمت بعد ذلك .

وصف المشهد

موقع بناء المشهد وسط المدينة ، وهو مربع . ومساحة موضع الضريح عشرة اذرع في عشرة . وارتفاع القبة عليه عشرون ذراعاً . وللسور المحيط به اثنا عشر باباً ؛ غشي بعضها بالذهب ، وبعض بالفضة . اثبت فيها نصوص آيات واحاديث كثيرة ، ومقاطيع شعر عربية وفارسية . وعلى موضع الضريح عدة مشبكات ؛ اولها من الفولاذ ، ولا تاريخ له .

وبينه وبين المشبك الثاني عدة مشبكات من النحاس ، طليت بالذهب ؛

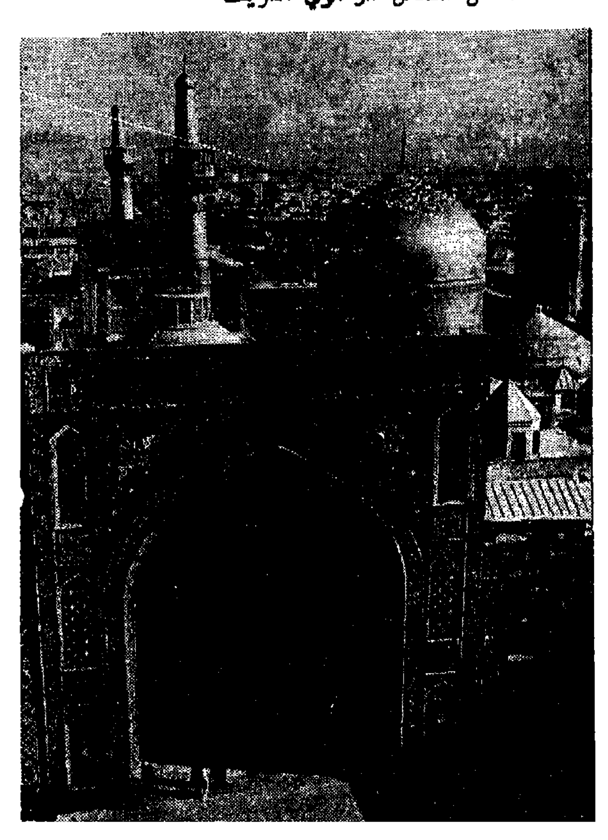
لحفظ المجوهرات التي داخله ، وهي كثيرة .

أما القبة ، فهي مغشاة بالذهب الوهاج ، وفي دائرها كتابة عربية واضحة ، محصلها انه امر بتزيين هذه القبة الشاه عباس الكبير حين شد الرحال الى زيارة الامام ، من قاعدة مملكته اصفهان . آمر بذلك سنة ١٠١٠ ، وتمّ ١٠١٦ (عمل كمال الدين محمود اليزدي سنة ١٠١٥ كتبه على رضا العباسي) . وهناك ايضاً ــ كتابة عربية اخرى ، يظهر منها ان الشاه سليمان الصفوي أمر مرة اخرى بتذهيب القبة ، بعد سقوطها بزلزلة سنة ١٠٨٤ ، وكان تذهيبها سنة ١٠٨٦ .

الكتابات في المشهد

الكتابات داخل المشهد كثيرة مختلفة ، يرتقي أقدمها إلى سنة نيف وخمسمائة. جلها عربي الاسلوب واللفظ . وبعضها بالخط الكوفي . يذكر في اواخرها اسم الكاتب ، والمتقدم بالعمل غالباً .


أحد مداخل الصحن الرضوي الشريف



وفي جملة المكتوب ابيات ابي نواس المشهورة التي اولها :

مطهرون نقيات جيوبهم
تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا

وكتب تحتها (تقرب ــ بهذه العمارة الضعيف الذليل المحتاج إلى رحمة ربه تعالى ــ مولى آل محمد ، عبد العزيز بن آدم بن ابي نصر القمي) .

ومن الكتابات الكوفية في اطر بعض المحاريب ؛ مانصه (بسم الله الرحمن

الرحيم شهد الله ان لا إله إلاّ هو والملائكة ..) إلى قوله (ان الدين عند الله الاسلام) .

وعند هذا المحراب مكتوب (كن في صلواتك خاشعاً) . وكتب بهذا الخط — ايضاً — نص الآية (ان الحسنات يذهبن السيئات) (لا إله إلا الله محمد رسول الله . اللهم اغفر لمن استغفر لأبي زيد محمد بن ابي زيد النقاش) . وكتبت — ايضاً — سورة التوحيـــد ، بخط دقيق ، تاريخه سنة ٦١٢ . ويوجد داخل المشهد غير ما ذكرنا رسم آيات ، واحاديث ، وكلم جامعة ، وعظات كلها عربية ، تقرأ واضحة جاء فيها ما نصه : (من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله — انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم . قال ابراهيم بن العباس الصولي : لو وزنت هذه الكلمة باحسن كلام الناس لرجحت .

قال رسول الله — صلى الله عليه — لا علم كالتفكر . لكل قلب شغل . من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه . قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه . رسول الموت الولادة .

وعلى المحراب — الذي يلي الرأس — رسوم آيات ، واحاديث كثيرة . وهي عمل (علي بن محمد بن أبي طاهر — غفر الله ذنوبه) وغير ذلك كثير .

الآثار والعمارات

دار الحفاظ

والآثار الماثلة ازاء المشهد كثيرة ؛ من اهمها (دار الحفاظ) . وهو بناء عال مربع مستطيل (كذا) طوله ١٨ ذراعاً ، في عرض سبعة اذرع ونصف .

وارضه مبلطة بالقاشاني . احدثته گوهرشاد ، زوج الأمير شاهرخ بن الأمير تيمور الكوركاني ، امير هراة وخراسان .

وفي هذه الدار خمسة اضرحة لبعض ملوك الفرس وصدورهم . وفيه كتابات فارسية ، وغير ذلك .

دار السيادة

أيضاً ، من آثار گوهر شاد ، وهي بناية مستطيلة ، طولها ٣٢ ذراعاً ، وعرضها مختلف .

وفيها مسبل ماء عذب ، وبعض الاضرحة .

وقد ضعضعتها الزلزلة على عهد الشاه سليمان الصفوي . فتقدم بترميمها . وفي بعض جدرها كتابات متأخرة ؛ اكثرها شعر فارسي . غير ان في بعض دروبها كتابات قديمة سابقة على وجود هذه الدار ، إذ ان تاريخها يرتقي إلى القرن السادس والثامن .

قبة : الله يارخان

وهي من الأبنية المشهورة المعظمة هناك محكمة البناء ، عالية مثمنة الشكل داخلها ثماني صفف . كتب على قاشانيها المعرق ؛ مواليد الأئمة الاثني عشر ، ووفياتهم ، وإحاديث مأثورة عنهم . وابيات فارسية ، ورسمت في دائرها الأعلى سورة الجمعة ، وغير ذلك .

سائر الآثار

منها ؛ الصحن العتيق ، في شمال المشهد . طوله ٨٦ ذراعاً ، في عرض ٦٠ وهو من آثار الصفويين — كما تشهد بذلك الكتابات الظاهرة إلى الآن . ومنها ؛ الصحن الجديد . وهو من آثار السلطان فتح علي شاه . طوله ٧٢ ذراعاً ، في عرض ٤٩ . وهو مغشى الجدر بالقاشاني البديع الصنع . وما يلي الارض منة بالرغام . وفيه كتابات عربية كثيرة .

ومن أهم آثار المشهد ؛ مسجد گوهر شاد ، وهو آية في إحكامه ، وجمال هندامه . زين بالقاشاني المعرق ، وغيره . طوله نحو ٥٣ ذراعاً ، في عرض

٤٨ . وفيه قبة رفيعة ، ومآذن عاليه ، لم تتضعضع — بعد — مع ان بناءهـا يرتقي الى اوائل القرن التاسع .

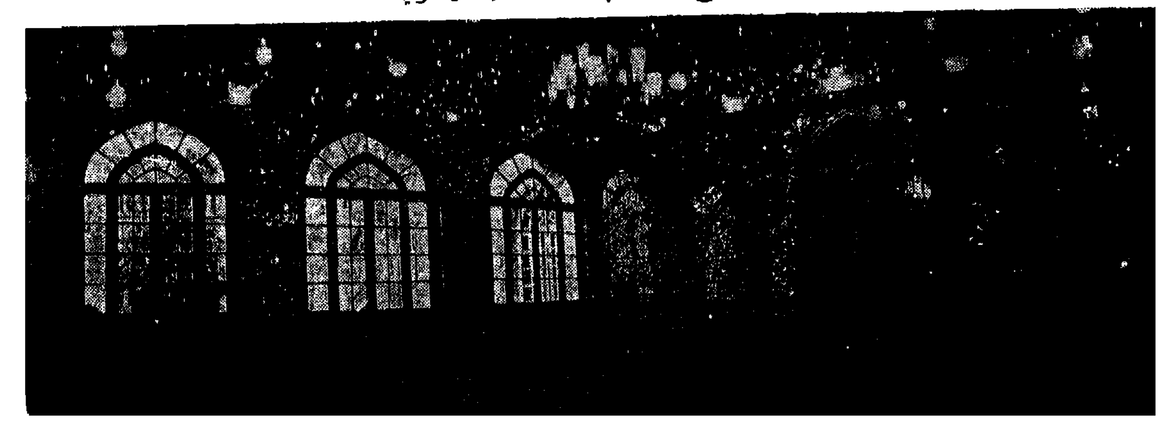
ولهذا المسجد أربعة ابواب . وقد عمر فيه على عهد الصفويين ، والقاجاريين وفيه كتابة منحوتة على الرخام ، أو مفخورة في القاشاني . جاء في بعضها بعد ذكر المتقدمة بالعمارة گوهر شاد ، وتمجيدها كثيراً ، بالعربية ، مانصه : (اتفق تحريرها ، في اوائل شهر الله المبارك ، رجب المرجب ، سنة ٨٢١ عمل العبد الضعيف ، المحتاج لعناية الملك الرحمن ، قوام الدين بن زين الدين ، الشيرازي ، الطيان) .

ومن آثار المشهد ؛ مقبرة البهائي ومقبرة الشاه طهماسب الصفوي .. ومقبرة عباس ميرزا ابن فتح على شاه ؛ المتوفى سنة ١٢٤٩ ، ومقبرة ربيع بن ختيم من مشاهير التابعين والزهاد . وغير ذلك من مدافن الملوك والصدور .

حوادث المشهد التاريخية

... اهم الحوادث التي طرأت على المشهد خلال تسعة قرون تنطوي في جملتها الأحداث الحربية ، والسياسية ، والعمرانية ، والطبيعية . منذ عهد الدولة الغزونية ، والدولة السلجوقية ، وغزوات قبائل الغزّ ، وتغلب التاتار ، والمغول ، وتنازع القوم في تلك الديار ، ومهاجمـات عشائر التركمان ، والاوزبك ، والافشار .

مقبرة الشيخ البهائي بجوار الصحن الرضوي



ثم ظهور الصفويين ، ومناوشتهم ملوك تلك الارجاء ، وقبائلها مدة طويلة . ولهم فيها آثار خطيرة . ثم حملة الأوزبك عليها ، سنة ٩٥١ ، وقتلهم اهلها قتلاً عاماً ، واسترداد الشاه عباس لها ، سنة ٩٨١ .

ثم انتزاء الذعار عليها ، بعد اختلال الصفويين ، سنة ١١٣٥ ، وتغلبهم واستردادها منهم . ثم قيام نادر شاه ، وتغلبه عليها ، وعلى سائر البلاد . وقد استولى عليها ابن اخيه علي قليخان ، بعد مقتل نادر سنة ١١٦٠ . ثم محاصرات امراء الافغان لها ، ورد جنود الزندية لهم . ثم استبداد بعض اوباشها فيها الى ان قام القاجاريون ، في مستهل القرن الثالث عشر ، فامتلكوا هذه البلاد ...

تاريخ طوس أو المشهد الرضوي

سنة ١٣٤٦ هـ [1]

طوس [2]

هي حاضرة ايالة خراسان ، ومن امهات بلاد ايران . وهي من المدن المقدسة ، التي يؤمها سنوياً آلاف من المسلمين ، لزيارة قبر الامام علي الرضا عليه السلام . تبعد عن طوس القديمة اربعة فراسخ . وهي محاطة بسور بناه الشاه طهماسب الصفوي . ومحيط المدينة فرسخ واحد تقريباً ، ولها ١٤١ برجاً . وشكل المدينة على شبه النمر النائم .

وهي ست محلات :

(الاولى) محلة نوقان . وتقع على جهة شمالي الحرم .

(الثانية) خيابان العليا ، وتقع على جهة الغرب .

(الثالثة) خيابان السفلى ، وتقع على جهة الشرق .

(الرابعة) عيد گاه ، وتقع على جهة الجنوب .

(الخامسة) سرشور ، وتقع في الجنوب الغربي .

(السادسة) سراب ، وتقع بين محلة سرشور ، وبين محلة خيابان العليا .

---

(١) لمحمد مهدي العلوي . (٢) يريد بها مشهد .

يبلغ عدد نفوسها « ١٠٠٠٠٠ »[1] نسمة تقريباً ، عدا الزوار . وكلهم من الشيعة على طريق الاصوليين القائلين بالاجتهاد والتقليد . وفيها عدد يسير جداً من اليهود والارمن .

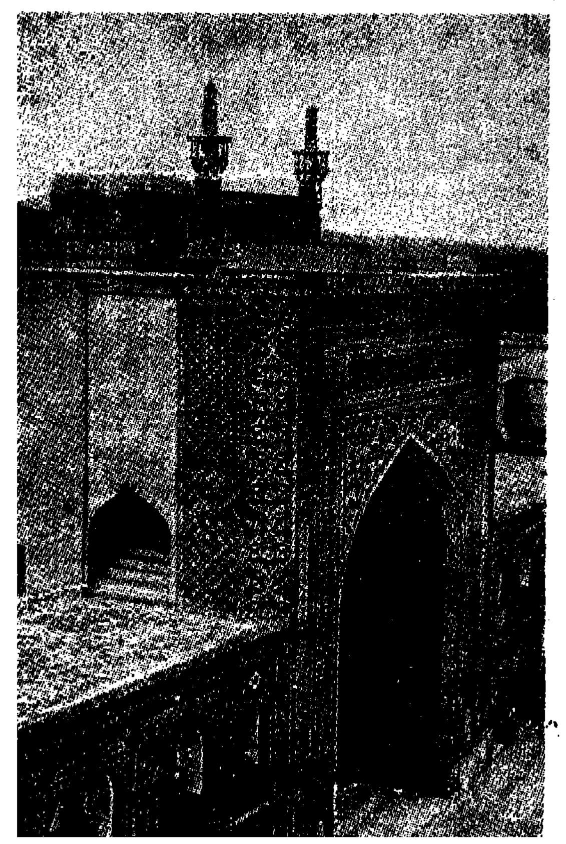
وهواء طوس بارد .

اسمها القديم « سناباد » . وكانت قرية صغيرة ، تابعة لطوس القديمة . ولما كانت طوس قد درست معاهدها ، بهجوم الأمير تيمورلنك المغولي ، هاجر ما بقي فيها من الأهالي إلى سناباد ، وتحصنوا بمرقد الامام الرضا (ع) ، وعمروا حوله دوراً ، وابنية ليأووا إليها .

وفي سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م ؛ عين الأمير شاهرخ ابن الامير تيمور الكوركاني الخواجا سيد ميرزا ليهاجر بالمتحصنين حول المرقد الشريف إلى مقامهم الأول « طوس » فامتنعوا عن ذلك ، فأمر الأمير شاهرخ ان يبني حول دورهم سور . فبنى حولهم حصناً حصيناً . وصار هذا المكان الشريف بلدة ذا أهمية . واشتهرت بطوس .

وازدادت اهميتها يوماً فيوماً ، حتى نراها اليوم بلدة واسعة ؛ تعد قاعدة بلاد خراسان .

مسجد كوهرشاد المجاور للصحن الرضوي



---

(١) هذا الاحصاء قديم يعود الى اكثر من ٤٠ سنة وان عـــدد نفوسها اليوم يتجاوز ثلثماية الف نسمة — الخليلي .

جوامعها

جوامعها كثيرة ، لا تكاد تحصى ، أشهرها ، وأعظمها : جامع كوهر شاد وقد مر وصفه وجامع الشاه .

وهو يقع في رأس الزقاق ، الموجود فيه (حمام شاه) . وقد بني هذا الجامع الاوزبكية . وله قبة ومنارتان ، ومصليان (كلها بالقاشاني) . وقد درست اطلاله ، وهدمت آثاره . ومكتوب على بقايا قاشاني الايوان ، هكذا : (الامير ملكشاه عرج الله معارج ... في رجب ، سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، سنة ٨٥٥) وجامع الامام الرضا المتصل بمقبرة قتلگاه ، عمّره الشاه عباس الصفوي ، سنة ١٠١١ ھ/١٦٠٣ م .

مقابرها المشهورة

مقبرة قتلگاه برّ فسيح ،مترامي الأطراف . فيها قبر مئات من المسلمين . وسبب تسميتها بهذا الاسم ؛ هو انه : لما قدم الطاغية جنكيزخان التتري إلى خراسان ؛ أمر بقتل الناس جميعاً ، فقتلوا في ذلك الموضع . وفي وسطها محل فيه حجر من رخام (يظهر انه حجر تاريخي) . وبقربه قبر امين الاسلام الشيخ ابي علي الطبرسي ؛ صاحب تفسير مجمع البيان ، ومغسل مقبرة قتلگاه . ومقبرة الشاه زاده محمد (من اولاد الامام علي زين العابدين —ع— بثماني عشرة واسطة) : تقع في محلة نوقان . ولها قبة من الآجر ، بناها الشاه عباس الصفوي .

ومقبرة السيد احمد مع ثلاثة من اولاد الامام موسى الكاظم . تقع على الجهة الشرقية ، من مقبرة قتلگاه ، بقرب سوق حكاكي الاحجار .

ومقبرة پيرپالاندوز : تقع في پائين خيابان . بناها احد التجار الأعاظم ؛ على عهد السلطان محمد خدابنده .

ولها قبة مبنية بالقاشاني . ولم تعرف حقيقة الشخص المدفون فيها . فقد

روي فيه المدح ، والذم معاً . ومقبرة الميرزا ابراهيم الرضوي : جدّ السادات الرضوية ، وناظر الحرم الشريف . تقع في الجهة الجنوبية ، من المدينة . على بعد نصف فرسخ منها . وهي على جبل صخري . ومقبرة الخواجا ربيع بن خيثم : تقع في الجهة الشمالية ، من المدينة ، على بعد فرسخ منها . عمرها ، واتمها الشاه عباس الصفوي ، وذلك بسعي « الغ الرضوي الخادم » . ولها قبة كبيرة من القاشاني الملون . وتحتاج إلى الترميم . وصحنها بستان واسع ، يتنزه فيه اهل المدينة ، ايام الصيف . وفي المقبرة ؛ قبر فتح علي خان قاجار (حاكم استراباد ، وجد القاجارية) ، والخواجا ربيع ؛ هو أحد الزهاد الثمانية ، وهو ثقة ، عدل ، من خيار المؤمنين ، وكبار الصالحين . عينه سيدنا الامام علي بن ابي طالب — ع — والياً على جهة الري . ولذلك لم يشهد وقعة صفين . توفي سنة ٦٣ هـ ، ٦٨٤ م . وفي قرب الارك قبة خضراء ، بناها احد الاطباء من العرفاء ؛ ليدفن داخلها ، واليوم تجتمع الدراويش فيها .

مدارسها العلمية القديمة

ان مدارسها القديمة ، التي لها اوقاف : عشرون ، اشهرها مدرسة ميرزا جعفر المتصلة بالصحن العتيق . بنيت سنة ١٠٥٩ هـ/١٦٤٩ م . وعمرها ناصر الدين شاه القاجاري . وبجوارها ؛ قبر الحر العاملي ؛ صاحب الوسائل . ويفضي إلى الصحن الشريف . ومدرسة مستشار المتصلة بالصحن العتيق أيضاً . بنيت على عهد ناصر الدين شاه القاجاري . ومدرسة دودر : الواقعة في سوق سرشور ، مقابل مدرسة پريزاد . بنيت على عهد ابي المظفر شاهرخ . ومدرسة فاضل خان : الواقعة في بالاخيابان . بنيت على عهد الشاه سليمان الصفوي . ومدرسة نواب : الواقعة في بالاخيابان أيضاً . بناهـــا صدر الممالك ، سنة ١٠٨٦ هـ/١٦٧٦ م ، على عهد الشاه سليمان الصفوي . ومدرسة مولى محمد باقر : الواقعة في بالاخيابان ايضاً . بنيت على عهد الشاه سليمان الصفوي . ومدرسة مولى حاج حسن : الواقعة في بالاخيابان — أيضاً . بنيت على عهد

الشاه سليمان الصفوي ، أيضاً . ومدرسة عباسقلي خان : الواقعة في پائين خيابان . بنيت سنة ١٠٧٧ ﻫ/١٦٧٦ م على عهد الشاه سليمان الصفوي . ومدرسة خيرات حسان : الواقعة في پائين خيابان أيضاً . بنيت على عهد الشاه عباس الثاني الصفوي . ومدرسة سليمان خان : الواقعة في زقاق حمام شاه . بنيت على عهد فتح علي شاه القاجاري . ومدرسة نو : الواقعة ، بگندم آباد ، في جنوب جامع گوهرشاد . بنيت على عهد ناصر الدين شاه . ومدرسة پريزاد : الواقعة في سوق سرشور . عمرها الشاه سليمان الصفوي . ومدرسة بالاسر : الواقعة في سوق سرشور — أيضاً — عند جهة رأس الامام . عمرها الشاه سليمان الصفوي ، أيضاً . ومدرسة پائين‌پا : الواقعة عند رجلي الامام ، عمرها ناصر الدين شاه القاجاري . ومدرسة ابد الخان : الواقعة في پائين خيابان عمرت سنة ١٢٩٧ ﻫ/١٨٨٠ م ، على عهد ناصر الدين شاه القاجاري .

وفيها عدة مدارس ؛ ابتدائية ، ومدرسة واحدة عالية [١] .

صحفها

وفيها ١٣ جريدة اسبوعية ؛ وهي : چمن ، وخورشيد ، وآزاد ، وفكر آزاد ، وطوس ، وصاعقه مشرق ، وطليعه شرق ، وآفتاب شرق ، وصداي شرق ، ومينو ، وترويج اسلام ، وناطق اسلام .

وأحسنها ؛ خورشيد ؛ للفاضل مرتضى ميرزا ، وناطق اسلام ؛ للأديب الشيخ حسين التربتي . وآزاد ؛ للكاتب الحر عبد القدير السبزواري [٢]

وفيها ثلاث مطابع جيـــدة ، لا بأس بها . وهي : نور ، وطوس ، وخراسان .

---

(١) اما اليوم فتضم عدة مدارس ثانوية للبنين واخرى للبنات ولها جامعة كبيرة تضم عدة كليات . الخليلي . (٢) وقد تغير الحال كثيراً اليوم وان من اشهر صحفها اليوم مجلة (استان قدس) التي تصدر عن دائرة نيابة التولية وتعنى بالبحوث التاريخية والاثرية . الخليلي .

وفيها ؛ شارعان منتظمان ، يمر من وسطهما نهر [1] . وهو من آثار الأمير علي شير « وزير السلطان حسين بايقرا » . ويجنبه نهر آخر يعرف بـ« ماء ميرزا » ويمران بالصحن الشريف .

اشهر ولاتها

واشهر الولاة ، الذين خدموا هذه البلدة المقدسة ؛ هو : نير الدولة .

ومن مآثره الخالدة انه أجرى ماء ميرزا المعروف ؛ حيث حفر قناة من مسافة بعيدة ، سنة ١٣٣٠ هـ/١٩١٢ . وفتح نهرا يعبر من الصحن الشريف ، ويمر بمحلة خيابان السفلى ، وينتهي الى نهايتها . وقد جعل حق شرب ذلك الماء لتنقية القناة ، وتعمير الطريق الواقع بين شريف آباد [2] وطوس .

والصدقات الخيرية . ومن اعماله الخيرية تسطيح الطريق الواقع بين شريف آباد وطوس ، وتسويته .

اشهر الحوادث التي حدثت في طوس

في سنة ٥١١ هـ/١١١٧ م ، وقع نزاع بين الفقهاء ، وبين سيد علوي ، فسبب ذلك النزاع نهب المدينة .

وفي سنة ٦٠٤ هـ /١٢٠٧ م ؛ زار الامام الرضا ــ ع ــ السلطان محمد خوارزمشاه .

وفي سنة ٦٩٥ هـ/١٢٩٥ م ؛ هجم على طوس ، مما وراء النهر داود ابن البراق ؛ من احفاد جنكيز ، ونهبها .

---

(١) يجري من العين المعروفة بجشمه كيلاس ، او بجشمه كلب .. وهذا الماء ينبع من تحت جبل ، ويسير نحو الجنوب الشرقي ، ويطوي مسافة اثني عشر فرسخاً ، على خط غير مستقيم ، حتى يدخل الصحن . (العلوي) . (٢) قرية صغيرة تبعد عن طوس ستة فراسخ . (العلوي) .

وفي شعبان سنة ٨٢١ ﻫ/١٤١٨ م ؛ زار الامام الرضا –ع – شاهرخ الكوركاني . وقدم له قنديلاً ثقله ٣٠٠٠ مثقال ذهب . وقد صنعه ليعلق في القبة الشريفة .

وفي سنة ٩٩٦ ﻫ/١٥٨٧ ؛ حاصر طوس عبد المؤمن خان اوزبك ؛ حاكم بلخ ابن عبد الله خان ملك الاوزبكية ؛ مدة أربعة اشهر . وعند فتحه اياها قتل قتلاً عاماً ، ونهب جميع ما في الحرم الشريف ، من القناديل والخزائن ، والكتب .

ومن جملة ما نهب ، قطعة من الماس ، كانت بقدر بيضة الدجاجة ، وكان قد قدمها قطب شاه الدكني ، للحرم الشريف .

وفي ٢٧ ذي الحجة ١٠٠٧ ﻫ/١٥٩٨ م ؛ زار الحرم الشريف ، الشاه عباس الصفوي ولم ير فيه غير درابزين ؛ اي محجر من الذهب ، وشرع في تعمير الصحن الشريف .

وفي سنة ١٠٠٩ ﻫ/١٦٠٠ م ؛ عاد الشاه عباس الصفوي من هراة إلى طوس . وقدم يار محمد خان قطعة الألماس المنهوبة . فأرسلها الشاه عباس بفتوى الفقهاء الى الروم ليبيعها ، ويبتاع بثمنها اراضي واملاكاً ، ويحبسها وقفاً على الامام (ع) .

وفي سنة ١٠١٠ ﻫ/١٦٠١ م ؛ زار الشاه عباس طوس ماشياً على قدميه من اصبهان وبعد قدومه ، وسع الصحن ، ونصب عند الرجلين باباً مرصعاً .

وفي سنة ١٠١٦ ﻫ/١٦٠٧ م ؛ حبس الشاه عباس نفائس ، وكتباً ، واملاكاً على الحرم الشريف .

وفي سنة ١٠٢٠ ﻫ/١٦١١ م ؛ بنى الشاه عباس الايوان الشمالي ، والشرقي ، والغربي . وجعل مدخل الصحن من الايوان الشرقي والغربي .

وفي سنة ١٠٥٨ ﻫ/١٦٤٨ م ؛ حينما عزم الشاه عباس الثاني الصفوي

السفر إلى قندهار، سار من (طرق)[1] ماشياً على قدميه إلى طوس. وزين الصحن العتيق بالقاشاني الملون.

وفي سنة ١١٥٣ هـ/١٧٤٠ م؛ قدم نادر شاه للروضة المطهرة قنديل الذهب المرصع، الذي نذره في فتح الهند، مع القفل المرصع الذهبي، الذي نذره لفتح تركستان.

وفي سنة ١٢٦٦ هـ/١٨٤٩ م؛ قامت فتنة سالار. وفي يوم الاحد ٩ جمادى الاولى؛ فتحت طوس بيد حسام السلطنة.

---

(١) طرق – محل يبعد عن طوس فرسخين. (العلوي).

مشهد في الرحـــلات

الإشارات الى معرفة الزيارات

مدينة طوس بها الامام علي بن موسى الرضا (رضه) . ولد بالمدينة . عمره تسع وأربعون سنة . والامام الرشيد (رضه) وقد ذكرتهما . وبها الامام الغزالي — رحمة الله عليه — وبجبّانتها خلق من المشائخ ، والعلماء (رحمهم)[1] .

رحلة ابن بطوطه

ورحلنا منها (أي ، مدينة طوس) إلى مدينة مشهد الرضا . وهو ، علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين الشهيد ابن امير المؤمنين علي بن ابي طالب — رضي الله عنهم — وهي — أيضاً — مدينة كبيرة ، ضخمة ، كثيرة الفواكه والمياه ، والأرحاء الطاحنة .

وكان بها الطاهر محمد شاه .. والطاهر — عندهم — بمعنى النقيب عند أهل مصر والشام والعراق . وأهل الهند والسند وتركستان يقول (-ون)،

---

(١) الاشارات — ص ٩٩ الى معرفة الزيارات .

السيد الأجل . وكان – أيضاً – بهذا المشهد ، القاضي الشريف جلال الدين . لقيته بارض الهند . والشريف علي ، وولده أمير هندو ، ودولة شاه . وصحبوني من ترمذ إلى بلاد الهند . وكانوا من الفضلاء .

والمشهد المكرم ، عليه قبة عظيمة ، في داخل زاوية ، تجاورها مدرسة ومسجد . وجميعها مليح البناء ، مصنوع الحيطان بالقاشاني . وعلى القبر دكانة خشب ، ملبسة بصفائح الفضة . وعليه قناديل فضة معلقة . وعتبة باب القبة فضة . وعلى بابها ستر حرير مذهب . وهي مبسوطة بأنواع البسط .

وازاء هذا القبر ، قبر هارون الرشيد ، أمير المؤمنين – رضي الله عنه – وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات ، التي يعرفها اهل المغرب بالحسك ، والمنـــائر .

واذا دخل الرافضي [1] للزيارة ، ضرب قبر الرشيد برجله ، وسلم على الرضا [2] .

رحلات عبد الوهاب عزام

ركبنا والساعة ثلاث وربع بعد الظهر متوجهين تلقاء مشهد . وبينها وبين نيسابور ١١٦ كيلا [3] . فسرنا صوب الشرق والجنوب ، في سهل كثير الشجر . فبلغنا قرية اسمها قدمگاه ، أي (موضع القدم) . ثم اجتزنا بشريف آباد . وعندها انعطفت الجادة صوب الشرق ، فارتقينا جبالاً ضربنا فيها أربعين دقيقة . ثم هبطنا إلى المشهد المقدس . فدخلناه بعد مغرب الشمس .

افترق الركب . فنزل جماعة بفندق هناك ، ونزل آخرون في دار أحد الكبراء جليل بك نصير زاده . وكنت وزميلي الاستاذ العبادي ممن

---

(١) أي الشيعي . (٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٥١ – ٢٥٢ . (٣) كيل = كيلو متر .

شرفوا بالنزول في هذه الدار المعمورة . فلقينا من الحفاوة والرعاية مالا ينسى [1] .

مدينة المشهد

وقد لقيت المدينة — من غير الزمان — سعادة وشقاوة ، وتقلبت بها أحوال مختلفة . ولكن شأنها كان يزداد نباهة على مر العصور .

وعني عظماء المسلمين — منذ القرن الرابع الهجري — بمشهد الرضا ، والمدينة التي نشأت حوله .

قال ابن الأثير — في أخبار السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي : « وجدّد عمارة المشهد بطوس . وكان أبوه سبكتكين أخربه ، وكان أهل طوس يؤذون من يزوره ، فمنعهم من ذلك .

وكان سبب فعله ، انه رأى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب — عليه السلام — في المنام ؛ وهو يقول له : إلى متى هذا ؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد . فأمر بعمارته

ثم بنى ابنه السلطان مسعود سوراً حول المشهد ؛ ليقيه غارات القبائل المجـــاورة .

وفي القرن السادس الهجري ؛ استولى الغز على المدينة ، ونهبوها . ولكنهم أبقوا على مشهد الرضا .

وكذلك نهبت في القرن الثامن ، في عهد السلطان محمود غازان ، من الملوك الايلخانيين .

وأعظم الملوك عناية بالمشهد — قبل عهد الصفويين — السلطان شاهرخ ابن تيمورلنك (٨٠٩ — ٨٥٠) ، وزوجه گوهرشاد [2] .

وكان عهد الصفويين عهد نماء وازدهار للمدينة ، فقد تنافس الملوك

---

(١) رحلات عبد الوهاب عزام ص ١٣٥ . (٢) في الاصل جوهر شاد — اينما وردت.

الصفويون في تعمير المشهد وتجميله ، وتعمير المدينة كلها . ولاسيما الشاه طهماسب الأول (٩٣٠ — ٩٤٨) . والشاه عباس الكبير (٩٩٥ — ١٠٣٩) .

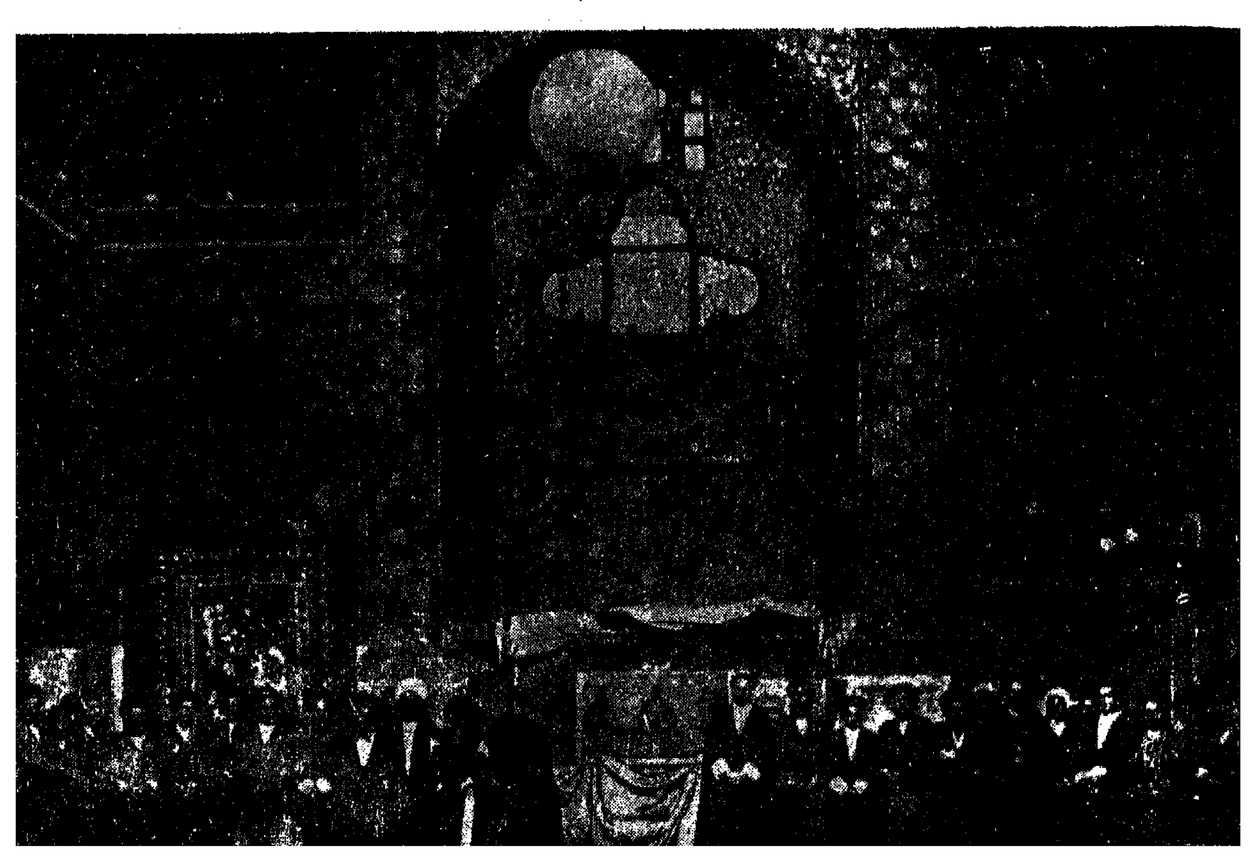
ولكن عناية الصفويين لم تكفها الغارات والنهب . فقد غصبها أمراء الازبك ، والشيبانية ثلاث مرات — على رغم الصفويين — وسيطروا عليها أزمنة مختلفة .

وكذلك استولى عليها الأفغان حينما استولوا على ايران .

ثم جاء البطل الكبير نادر شاه ، فأكثر الإقامة فيها ، واختط قبره بها . وبنى في المشهد الرضوي أبنية رائعة .

ثم عادت الى الافغان ، حينما زلزلت دولة نادر شاه ، بتنازع خلفائه على العرش . وتداولتها حوادث أخرى ، حتى استولى عليها آقا محمد خان

إيوان نادرشاه الذهب كما هو عليه في القرن الثامن عشر



القاجاري . وقتل سلطانها شاهرخ الأفشاري ، في سنة ١٢١٠ .

وفي العصر الأخير ؛ ثار بها — على القاجاريين — بعض الثائرين ، فتذرع الروس بهذا إلى الاستيلاء عليها ، فأطلقوا مدافعهم على المدينة في ٢٩ مارس ١٩١٢ م . وهي الآن تنال نصيبها من العمران والطمأنينة السائدين في ايران اليوم .

والمدينة على ارتفاع ٩٣٠ متراً ، وطولها ٥٩ وعرضها ٣٦ ، في وادي كشف رود (نهر كشف) الذي ينبع على عشرين كيلاً إلى الشمال الغربي من طوس . ويسمى أحياناً آب مشهد (نهر مشهد) ، ويصب في نهر هراة (هري رود) على ١٥٠ كيلاً إلى الجنوب الشرقي من مشهد .

وتبعد المدينة — عن شاطئه — سبعة كيلات إلى الجنوب . ويبلغ ارتفاع الجبال عندها ثلاثة آلاف متر . فهي باردة الشتاء ، جيدة الهواء .

ونهر كشف لا يسقي المدينة ، بل يأتيها الماء من عين اسمها چشمه كلاس ، عند منبع نهر كشف ، في قنوات طولها ٣٤ كيلاً ؛ جرّها إليها الوزير الكبير ، والأديب العظيم ، والشاعر المفلق (علي شيرنوائي) وزير السلطان حسين بن منصور بن بايقرا ، من أحفاد تيمورلنك (المتوفى سنة ٩١٢ هـ) .

ومشهد أكبر مدن خراسان — اليوم — وتسمى — أحياناً — خراسان . وتجارتها رائجة . ولكنها ليست كعهدها الأول . فقد كانت ملتقى طرق القوافل ، قبل أن يستولي الروس على التركستان ، وينشئوا سكة الحديد القزوينية . وبالمدينة شارعان عظيمان مشجران يخترقانها . وكان بها — في عهد نادر شاه — ٦٠ ألف دار . وسكانها — الآن — زهاء ٨٠ ألفاً . وهي كثيرة المساجد والمدارس . بها زهاء عشرين مدرسة للعلوم الدينية . أقدمها المدرسة التي أسسها شاهرخ ، في سنة ٨٢٣ .

ويقصدها الطلاب من ارجاء ايران ، ومن افغانستان ، والهند ،

فيحصلون العلوم الدينية بها تسع سنين . ومن شاء ان يزداد علماً ، توجه إلى النجف الشريف .

ويحج إلى مشهد — كل عام — آلاف كثيرة يختلف التقدير فيها من ثلاثين ألفاً إلى مائة ألف .

وبها مقابر كثيرة ، يحرص الشيعة على أن يدفنوا بها . فتنقل جثثهم إليها من الأقطار البعيدة ، وتختلف قيمة القبور بها ؛ على قدر قربها من الحرم وبعدها .

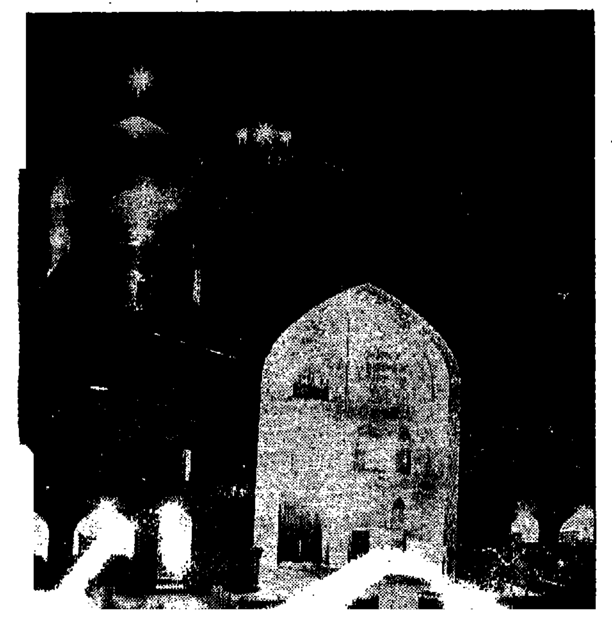
وهي — عند علماء الشيعة — في المنزلة السابعة ، بين الأماكن المقدسة مكة ، فالمدينة ، فالنجف ، فكربلاء ، فسامرا ، فالكاظمية ، فالمشهد .

وفي رواية أخرى ؛ ان الترتيب بعد كربلاء ؛ هكذا : الكاظمية ، فالمشهد ، فسامرا ، فهي السادسة [1] .

ولكنها من حيث كثرة الزائرين ، واتساع المسجد ، وضخامته — تعدّ بعد مكة والمدينة ، وقبل المزارات الأخرى ؛ فيما أظن .

ويرى الوافد على مدينة المشهد قبة عالية مغشاة بالذهب ، ومنارتين مذهبتين رفيعتين . فهذا أول ما يسر البصر من مسجد الإمام علي الرضا . فاذا ذهب — إلى المسجد ، الذي يسمى (الحرم الرضوي) أو (القبة المقدسة) « آستانه مقدس » — رأى أبنية جميلة شامخـــة ،

جانب من الصحن الرضوي والقبة الشريفة في الليل



(١) وهذا هو الصحيح . الخليلي .

واسعة ، رائعة ، لا يستطيع المشاهد — أن يعرف خططها ، ويدرك أقسامها — الا بعد تأمل طويل ، وزيارات كثيرة .

وإذا دخل القادم المدينة من غربها ، فسار في الشارع الكبير تلقاء الشرق ، انتهى الى ابواب ضخام رائعات ، وراءها طريق مبلط ، ينتهي الى مدخل الحرم الرضوي . فيلجه الى الصحن القديم (صحن كهنه) . وهو فناء واسع ، تجري في وسطه قناة ماء . وتحيط به مساكن لطلاب العلم وغيرهم .

وإني أشفق على القارىء من تفصيل الكلام — في وصف هـذا الحرم العظيم ، الذي توالت عليه الأيدي بالتشييد والتزيين قروناً كثيرة — فحسبي ان اقول : ان في وسط الحرم قبة الامام الرضا . وأروقة متصلة بها . ويمتد الصحن القديم شمالي هذه الأبنية ، والصحن الجديد شرقيها ، ومسجد گوهرشاد جنوبيها . ويحار الطرف ، في جمال القبة الشريفة ، وزينتهـا ، وفيما في المسجد كله من الكاشاني ، والبلور ، والذهب الخالص . والقبة تقوم على قبر الامام الرضا . وهو في جانب منها . ويظن ان قبر هرون الرشيد في وسط القبة ، ولكن لا يرى الزائر منه أثراً .

وأقدم ما في هذه الأبنية يرجع إلى سنة ٥١٢ ، وهو بناء السلطان سنجر السلجوقي . وقد توالى الملوك والكبراء — من بعده — على البناء ، والتنافس فيـه .

ومن هؤلاء : السلطان الجايتو ؛ من الملوك الايلخانية ، وشاه رخ بن تيمورلنك ، وزوجه گوهرشاد ، وعلي شيرنوائي ؛ وزير سلطان حسين بايقرا .

ثم الملوك الصفويون ؛ ولا سيما ؛ طهماسب ، وعباس الكبير .

ومن القاجاريين : فتح عليشاه ، وناصر الدين شاه .

كل هؤلاء بذلوا جهدهم في ان يؤثروا في المشهد الرضوي أثرا خالداً ، يكسف آثار من سبقهم ؛ فتركوا هذا البناء الجليل ؛ الذي يعجز القلم عن

تصويره للقارىء[1] .

وقد وعدت ... أن أصف مسجد گوهرشاد ؛ هذه الأميرة النقية الخيرة . فهو ؛ مسجد يمتد جنوبي المشهد الرضوي ، من الشمال إلى الجنوب (٩٥ × ٨٤ متراً) . وأعظم أواوينه ؛ الايوان الجنوبي . وهو ؛ عقد هائل ، ارتفاعه ٢٥ متراً . غشي كله بالكاشاني الجميل . وعلى حافته آيات من القرآن ، بأحرف كبيرة جميلة ، كتبها — بخطه — الأمير بايسنقر بن شاهرخ بن تيمورلنك . وذلك ؛ إلى آثار أخرى ، دليل على عناية أمراء المسلمين بالفنون الجميلة ، ولا سيما الخط . وفي هذا الايوان ؛ كرسي من الخشب ، يقال : ان المهدي سيجلس عليه أول ما يظهر للناس . وفي وسط المسجد مصلى ، يسمى پيرزن (مسجد المرأة العجوز) . وفيما يلي المشهد الرضوي ؛ بنية ، اسمها دار الحفاظ . وتصل المسجد بالمشهد الرضوي أبواب صغيرة . زرنا المسجد الرضوي — صبيحة الجمعة ، ثالث رجب ، سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة والف — فرأينا أفواجاً من الزائرين ، والزائرات ؛ متزاحمين ؛ بين مصلٍ ، ومسبح ، وداعٍ ، وباك ، ومقبّل للأعتاب ، ومطيف بالضريح المقدس . ولهذا الحشر دويّ يملأ القلب خشوعاً ورهبة . وسار بنا الدليل إلى بناء في ناحية من الحرم ؛ اسمه « حجرة التشريفات » . فصعدنا إلى حجرة كبيرة ، بها جماعة من القوّام على الحرم ، فأحسنوا لقاءنا ، وقدموا إلينا الشاي ، وتحدثوا معنا بالعربية والفارسية ؛ معلنين سرورهم واغتباطهم . متحدثين عن الاخوة الاسلامية التي تجمعنا وإياهم . ثم انصرفنا شاكرين ، آملين أن نعود الى شرف الزيارة مرات ، حتى تقضي النفس لبانتها من مشاهدة هذا الجمال والجلال .

ويوم الأحد ، التالي ؛ زرت المكتبة الرضوية . وهي في الصحن الجديد ، في الطبقة الثانية . وقد اطلعت فيها على مصاحف يحار الانسان في مرآها ، ويعجز

---

(١) وقد زاد اليوم محمد رضا شاه ، الشاه الحالي في العناية [illegible] المرقد وتزيينه حتى اصبح من افخم العمارات في العالم — الخليلي .

عن وصفها . وحدّثني قيّم المكتبة ؛ ان بها آلافاً عدة من المصاحف المخطوطة . رأيت : قطعة من مصحف بخط كوفي ، آخرها : «كتبه علي بن ابي طالب» ، ومصحفاً كاملاً بخط كوفي في آخره : «كتبه الحسن بن علي بن ابي طالب» . ورأيت مصفحاً ، وقفه ابراهيم قطب شاه سنة ٩٧٠ ، فيه ٣٣٩ ورقة . وفي كل صفحة ١٢ سطراً ، محلاة بالذهب والمينا . وطول الصفحة ٥٦ قيراطاً ، وعرضها ٣٧ . وفيه من بدائع الصناعة ما يجل عن الوصف ؛ فما يزال فبه حائر القلب والطرف .

ومصحف آخر ، وقفه السيد محمد جعفر خان ، سنة ١١٤٨ ، فيه ٦٠٦ ورقات ، كل ورقة لها نقش خاص ، يخالف نقش الورقات الأخرى . وفي هذه المصاحف — من عجائب النقش والوراقة ، والتجليد — ما لا يدركه إلا الرائي . وقد قيل لي : ان بعض الاوروبيين بذل في جلد مصحف منها مئات الجنيهات فلم يظفر به .

ورأيت ورقة واحدة من مصحف ، في طول قامة الرجال الطوال . وبها سبعة أسطر ؛ بخط الأمير بايسنقر .

وقد شهدنا في — مدينة المشهد — افتتاح مستشفى الشاه رضا . وهو مستشفى كبير مجهز بأجهزة حديثة . وشهدنا معرض صناعات خراسان . ورأينا ألعاباً رياضية — كالتي رأيناها في ميدان سلطنت آباد بطهران [١] .. وكانت حفلات — للغداء والعشاء — دعا اليها رئيس الوزراء ؛ ومتولي الحرم الرضوي ، ألقيت فيها خطب كثيرة .

وزرنا مدفن نادر شاه . وهو البطل الكبير ، الذي دفعته همته ، من رعي الغنم إلى رعاية الأمم ؛ والذي أخرج الأفغانيين من ايران [٢] . ودبر الأمور باسم الصفويين حيناً . ثم استبد بالأمر ، وتسمى نادر شاه .

---

(١) تراجع رحلات عبد الوهاب عزام ص ١١٦ .   (٢) سنة ١١٤٥ هـ .

ثم فتح أفغانستان ، والبنجاب ، وغنم كنوزاً لا تحصى من دهلي . واضطر الدولة العثمانية إلى مصالحته على ما أراد لدولته . وتوفي سنة ١١٦٠ ، بعد ان سيطر على ايران عشرين سنة .

دخلنا حديقة واسعة ، في وسطها بناء مرتفع قليلاً ، يشتمل على حجرات عدة . دخلنا واحدة منها ، فقيل ؛ هنا دفن نادر شاه وسيشاد له قبر ... [1] *

برحنا المشهد عائدين إلى طهران ، والساعة عشر إلا ربعاً من صباح يوم الاثنين سادس رجب (١٥ اكتوبر) فمررنا بقرية اسمها قدمگاه (موضع القدم) ..

وقفت السيارة ، فنزلنا ، وملنا ذات اليسار . فدخلنا ساحة بين جدارين ، فيها طاقات لا أبواب لها . بناها بعض السلاطين ليأوي اليها المسافرون .

ثم صعدنا الى مستوى ينحدر منه مجرى ماء ، فانتهينا الى شجرات عاديّة ، بجانبها حجرة كبيرة . ولقينا قيّم المكان .. فقال أنا خادم القدم المبارك . ولجنا الباب ، فرأينا على يسارنا — بنية ، فيها حجر بركاني أسود ، فيه أثر قدم . قال دليلنا : هذا قدم الامام علي الرضا .

ثم خرج بنا إلى حجرة اخرى ؛ في وسطها بركة صغيرة مستديرة ، بها ماء صاف ، يشف عن سمكات صغيرات ، يجلن بين سطحه والقاع . قال : هذه عين الامام الرضا ، فاشربوا . فغسلنا أيدينا ، داعين منشدين :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة [2]

(*) وقد تم الآن تشييد قبر فخم واقيم تمثال ضخم ومعرض فيه كل ما يتعلق بنادرشاه — الخليلي .

(١) رحلات عبد الوهاب عزام ص ١٣٦ — ١٤٤ . (٢) رحلات عبد الوهاب عزام ص١٤٩

جولة في ربوع الشرق الأوسط

عادت الربى ، فتسلقناها . ثم أشرفنا على مشهد . وهي في حجر الجبال ... وهنا وقف السائق ، ونبه القوم ؛ أن ها هي مشهد ، فارقبوها تبركاً . فأخذوا يحاولون رؤية القبة — وسط الضباب ، والدخان المنبث — وكل من لمح منها قبساً ، قرأ آيات التبريك ...

دخلنا مشهد ، تحفها المزارع والبساتين . وهي في منطقة غنية بالفاكهة ؛ وبخاصة العنب ، ويسمى (انگور)[1] ، والخوخ .. ثم أخذنا نخترق طرقاً فسيحة ، يحفها الشجر ، وتقوم عليها المباني الحديثة الوطيئة . وقد كانت — من قبل — أزقة مختنقة كسائر بلاد فارس . لكن يد الاصلاح تناولتها اليوم على نحو ما فعلت في طهران . وقد حللت نزل (مهمانخانه‌ملي) وهو جميل نظيف .. قصدت زيارة ضريح الامام الرضا ؛ الذي بدت لنه قبته الذهبية البراقة من أميال .. واذا المسجد والحرم فاخر إلى حد كبير ؛ مداخله عدة ، الباب تلو أخيه ؛ في زخرف جذاب ، وفن شرقي بديع ؛ بالقيشاني ، والبلور ، والمرمر ، والرخام .

وأمام كل واجهة رئيسية — بهو أو (صحن) مربع ، تحفه الحجرات المزركشة ، اقيمت لطلاب العلم ، في طابقين . وتتوسطه قناة الماء ، يغترف منها الجميع للشرب ، والغسل ، وتنظيف الملابس ، والأحذية ، ومآرب اخرى ، والباب الرئيسي للضريح يكسى كله بالذهب الخالص في فجوات وتعاريج جذابة . وفوق الضريح قبة تكسى بالذهب الخالص . وللمسجد مئذنتان دقيقتان ، عليهما غشاء من ذهب الى ذروتيهما . أما عن العالم المتراص كالموج المرتطم هنا وهناك ، فحدث في دهشة فائقة . كنت أسير ، ولا أكاد أشق لي طريقاً بينهم . ومنهم المثقف أنيق الهندام ، والبائس في الخرق البالية ...

---

(١) في الاصل — انجور ؛ لأن اهل مصر يلفظون الجيم كافاً ، فيكتبون الكاف جيماً .

هذا إلى العلماء في عباآتهم وعمائمهم السوداء للشرفاء منهم ، والبيضاء لغير الشرفاء ؛ يخضبون لحاهم المرسلة بالحناء . ومن زوار الأجانب خلق كثير ؛ عراقيون ، وهنود ، وأفغان ، ومن كافة العالم الاسلامي ...

ويتوسط احد الافنية سبيل مذهب انيق ، في داخله نافورة حولها السلاسل ، تحمل القعاب للمحتسين . ويشرف عليهم كهل توقد حوله الشموع صباح مساء . وبين اونة واخرى يمد مغرفة ويحرك بها الماء . والسعيد من استطاع ان يتذوق هذا الماء الطاهر . ويسد الجماهير المكان سدا .

أخيراً ، دخلنا باب الضريح الفضي [1] ، واذا المدفن وسط شباك الفضة والذهب ترصعه الجواهر الثمينة . وقد أتممت طوافي حوله في ثلث ساعة ، كدت اختنق خلالها من كثرة الزحام . وهنا رأيت عجباً ؛ نواح ، وصياح ، ولطم ، وتقبيل ، واستلقاء على الأرض ، ولمس للأعتاب بالخدود ، وما إلى ذلك .

خرجت إلى الفناء ، وإذا في كل ركن من أركانه عالم[2] يرتقي منبراً ، وحوله خلق كثير جلوس على الأرض في وجوم وشبه ذهول . وهو يقص عليهم أنباء علي ، والحسن ، والحسين ، والأسرة الشريفة كلها ، وجميعهم يبكون . وكلما أشار في قوله إلى الفاجعة صاحوا عالياً ، ولطموا جباههم وخدودهم في فرقعة مؤلمة . ومنهم ؛ الطفل ، والمراهق ، والسيدة ، والعجوز ، والكهل الفاني ، والمثقف ، والأمي الجاهل . وكنت أعجب لسيل دموعهم وبكائهم المر . وذاك التبشير [3] يظل طوال اليوم في جميع اركان الأفنية .

وما أن أوشك الغروب ، حتى سمعت من شرفة الباب الأوسط طبولاً تقرع في نقرات مثلثة ، ثم أعقبها صياح ، وتلا ذلك نفخات في أبواق طويلة

---

(١) اراد الروضة التي فيها الضريح . (٢) أراد ؛ الخطيب الواعظ المذكر بالعبادة .
(٣) اراد الوعظ وقراءة المقتل ، وقصص السيرة .

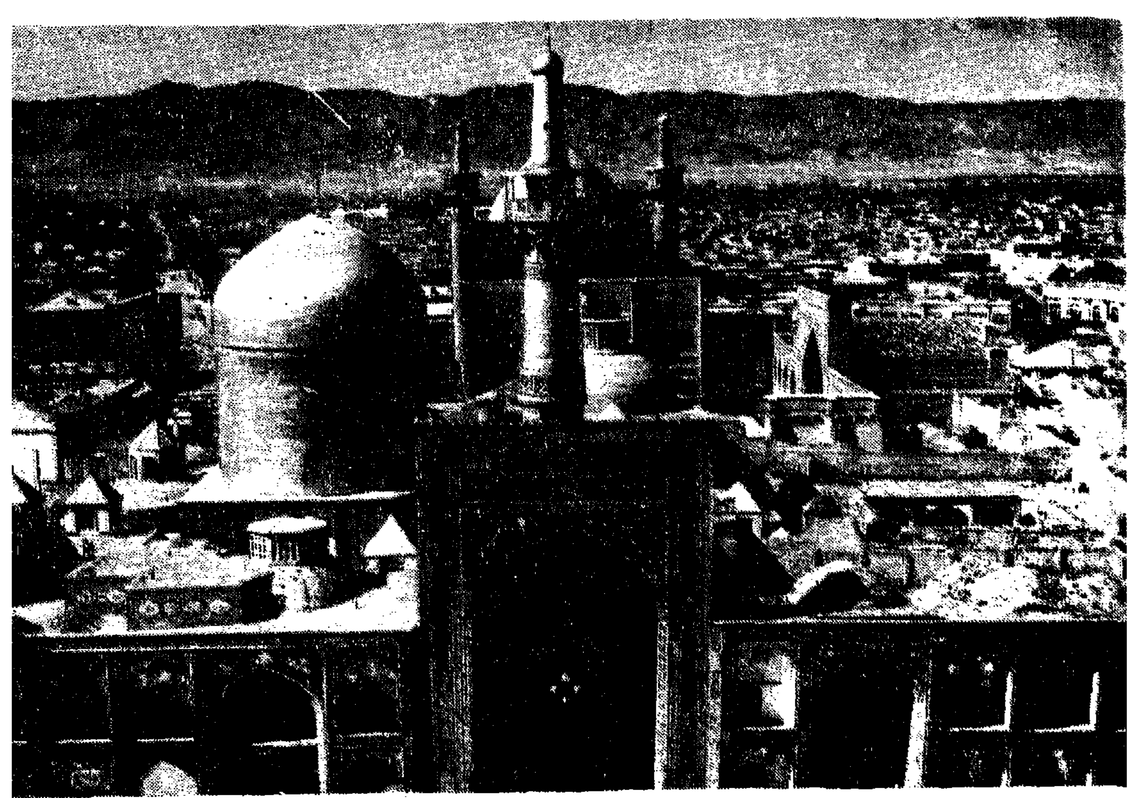
مزعجة . وظل ذلك حتى غربت الشمس . فكأنهم يودعونها كما يفعل المجوس [١] بذاك الذي يدخل الرهبة ، ويلقي الرعب في القلوب .

وفي وقت الأذان ، ترى عدداً كبيراً . كل يصيح في ناحية ، ثم تقوم الصلاة ، ويجلس صبية صغار على المنابر ، يصيحون بعبارات التبليغ ، والقوم يصلون ...

وبجوار المسجد ، مكتبة حوت مجموعة قيمة من المخطوطات ، في سائر العلوم الاسلامية ؛ حتى قالوا : إنها اكبر مكتبة إسلامية في الدنيا وفيها ، بعض المصاحف بخط سيدنا علي نفسه . وفي وسط أحد الأفنية مصلى يسمونها جوهر شاه . وكان بيتاً لسيدة اسمها جوهر . فلما أراد الشاه إقامة المسجد رفضت ان تبيعه اياه فتركه لها ، وأقام مسجده حوله . وبعد اتمامه اقامت هي في مكان منزلها مصلى ولذلك سميت (جوهر شاه) [٢] . ويؤدي كثير من ابواب الحرم إلى أسواق مشهد المسقفة الملتوية . وهي من اجمل اسواق فارس.. أخذت اتجول في القسم المستحدث من المدينة ، وهو جميل ؛ طرقه فسيحة ، بجانبها الشجر ، وتجري الى جوارها قنوات الماء . وتقوم عليها المباني الوطيئة . وهناك بعض متنزهات لا بأس بتنسيقها . تكتظ بالمتريضين في كثرة هائلة .. قصدت زيارة الحضرة يوم الجمعة ، فكان الزحام فوق كل تصور . وحاولت دخول الضريح فلم استطع .. وكان يسير في الطرقات كثير من المهرجانات ، يصيح الصبية حولها ؛ إحياء ليوم الجمعة ، وبأيديهم الأعلام . وبعد صلاة الغروب ، أخذ العلماء يقصون على الناس نبأ فاجعة علي والحسين .. وعنـــد

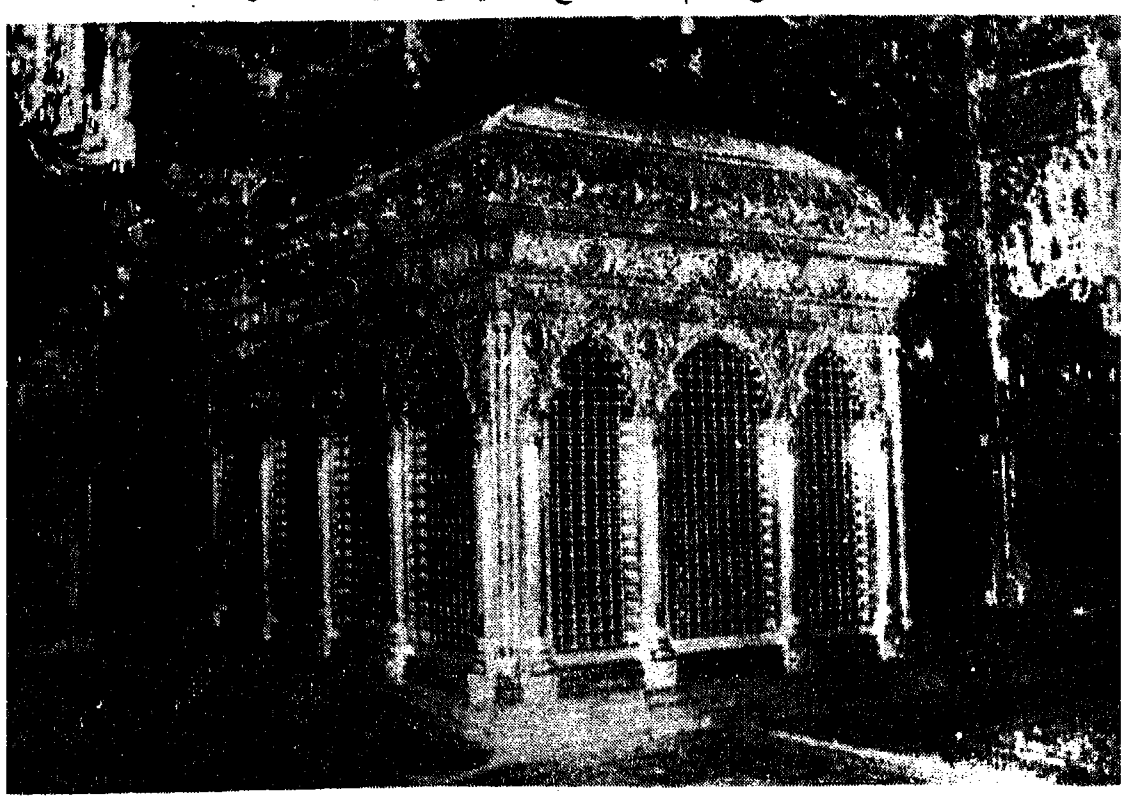
---

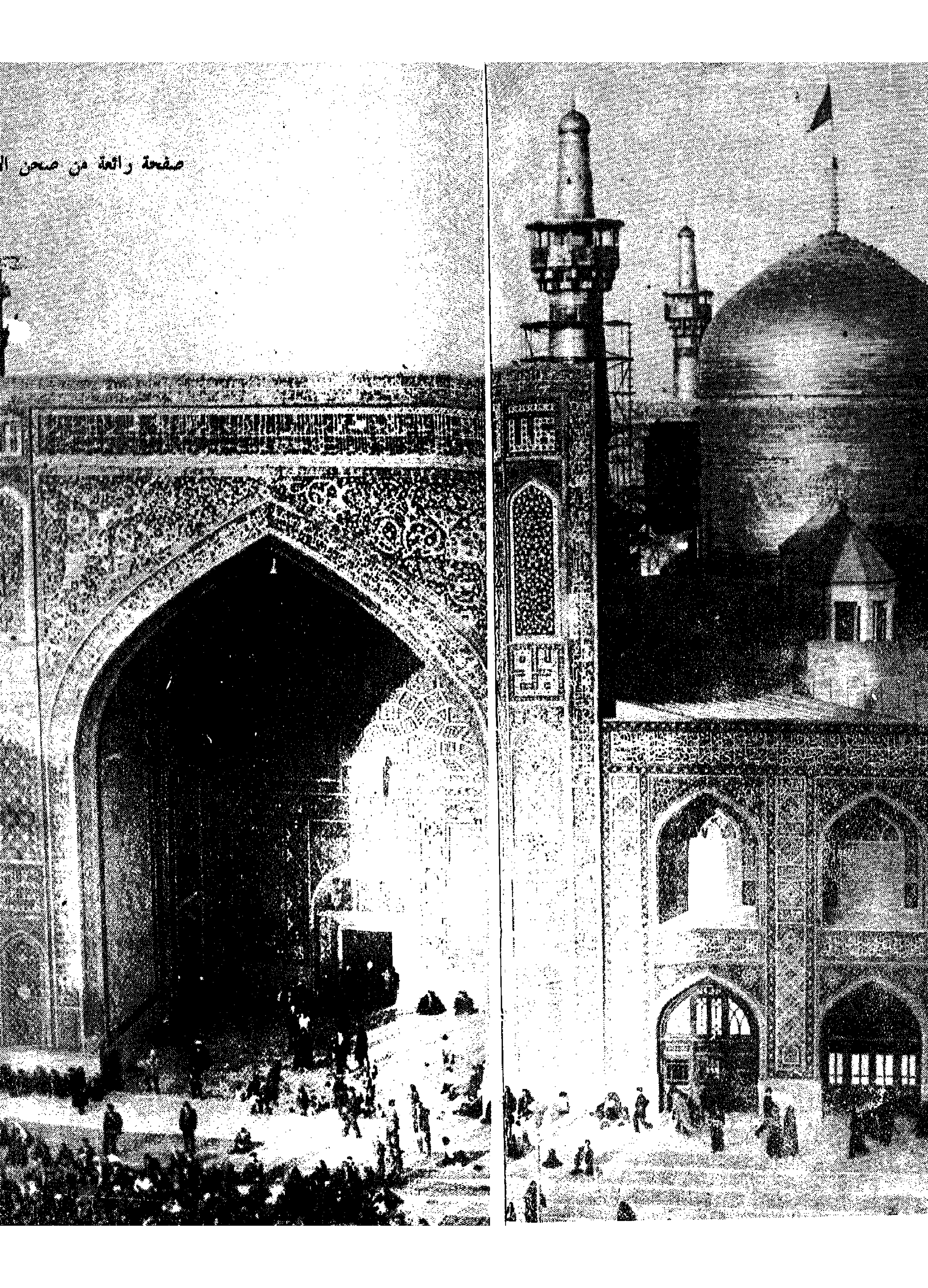
(١) انما تدق الطبول ، وتنفخ البوقات ؛ لأن الامام الرضا كان ولي عهد الخليفة . والنوبة من رسوم الخلفاء والسلاطين . والمؤلف في جولته معتذ ثم سيء الظن والفهم وجاهل لا يعرف التاريخ . وقد تعرض لرد بعض افترائه على الشيعة السيد محسن الامين العاملي في القسم الاول من اعيان الشيعة ط ٢ ص ٢٦٢ – ٢٩٤ . (٢) هذا الفصل حول مسجد كوهرشاد النموذج لمعلومات السائح وليس يصح منها شيء . ولاحظ ما جاء في رحلات عبد الوهاب عزام آنفــاً ، لتصحيح ذلك . ومن أوهامه – ايضاً – نسبة الفيروز الى بلدة فيروز آباد جنوب شيراز (كذا) .



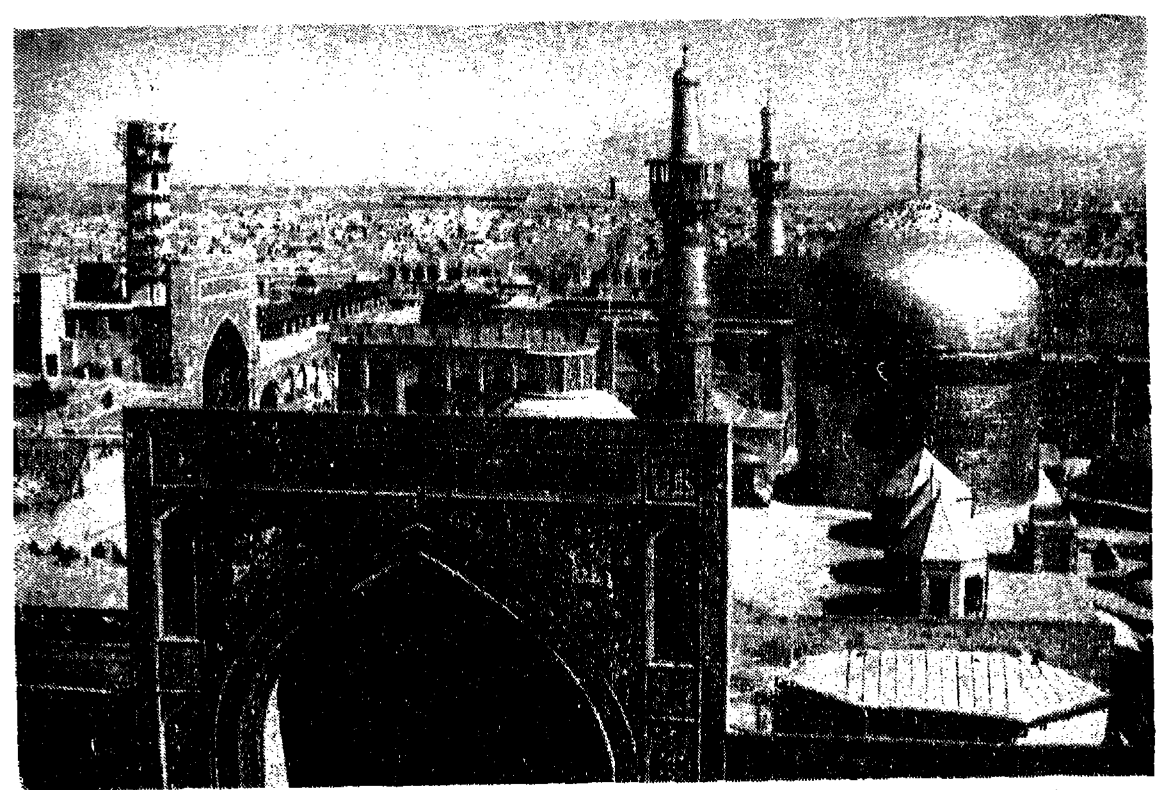
الجبهة الامامية من قبة الامام الرضا (ع) ويظهر وراءها جانب من مدينة مشهد خراسان

آخر صورة لضريح الامام الرضا (ع) الذي امر بتجديده محمد رضا شاه





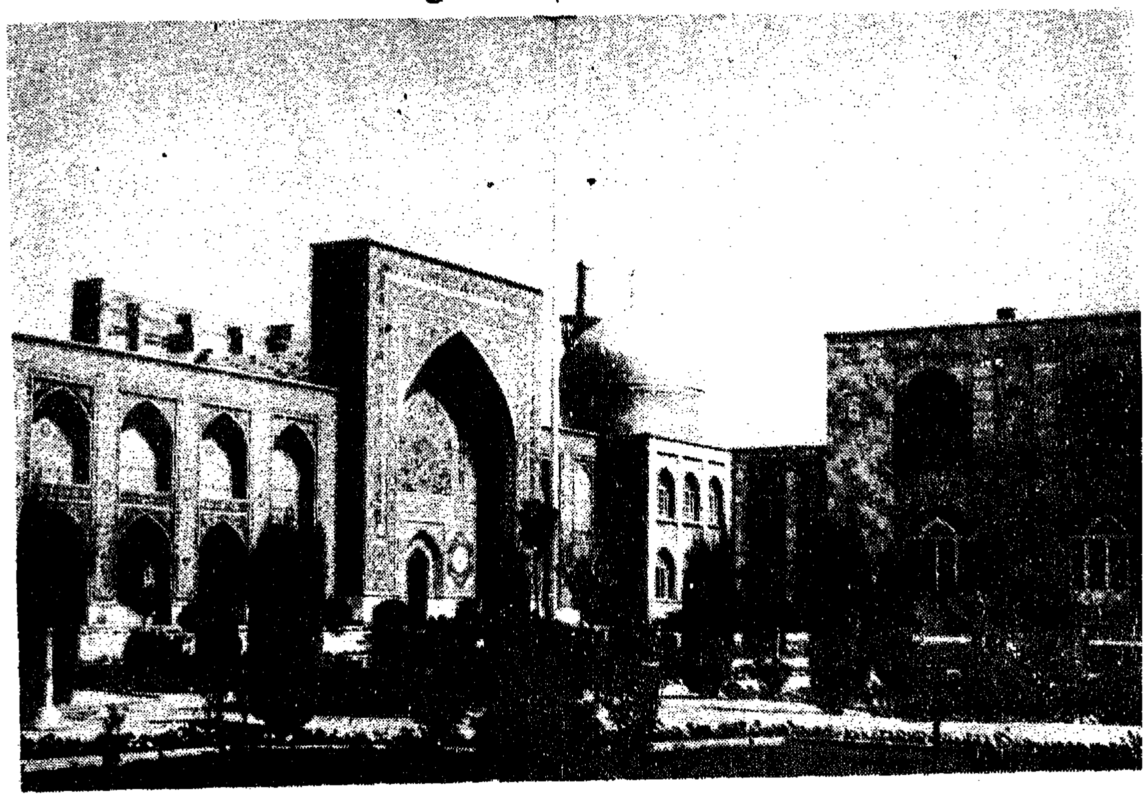
صفحة رائعة من صحن ال



قبة الامام الرضا (ع) والمنارتان ، وما يبدو من صور للصحن الشريف وواجهة المتحف



الصحن الحديد من مشهد الامام الرضا (ع) ـ خراسان



مدخل المسجد مكان القصاص لمن أذنب داخل أرض الحرم ، والحكم لرئيس الحرم ، فكأنها حكومة وحدها . وفي خارج الباب مضيفة يعد فيها رئيس الحرم طعام الغداء يومياً لمن طلب من الغرباء ذلك .. وللإمام الرضا من الأوقاف شيء كثير . فكل المباني التي تقع في الحي ملك له . هـذا ، غير الاراضي الزراعية ، والهدايا الثمينة ، التي تقدم اليه . فكلما مات غني ، اوقف جل ماله عليه .

وفي احد ابواب المسجد فيروزة مغلفة في حجم بيض النعام . يقولون بأنها لا تقوّم . ويقصون عنها .. ما لا يقبله العقل ... وحجر الفيروز كثير هناك . ومناجمه في قرية فيروز آباد في جنوب شيراز ..[1] * .

مدينة المشهد[2]

وقد رأينا ان نختم هذا الفصل بنبذة مما اورد الاستاذ عبد الوهاب عزام في رحلته عن مدينة المشهد حيث قال :

في عام اثنين وتسعين ومائة ؛ سار هارون الرشيد إلى خراسان ، لحرب رافع بن الليث بن نصر بن سيار . وكان قد ثار بخراسان وأعيا الولاة .

وفي صفر من سنة ثلاث وتسعين ؛ اشتد به المرض — وهو بجرجان — فسار عنها إلى طوس . ونزل بضيعة اسمها « سناباذ » في دار الجنيد بن عبد الرحمن . فلما أحس أجله ، أمر فحفروا له قبراً في بستان الدار . وأمر جماعة فنزلوا فيه وقرأوا القرآن .

---

(١) جولة في ربوع الشرق الأدنى لمحمد ثابت ؛ الرحالة المصري — ط ٣ سنة ١٩٥٢ ، ص ١٥٤ — ١٦٤ . (*) ومن غرائب ما قيل عن هذا الرحالة انه يدرس التاريخ والجغرافيا في احدى ثانويات مصر وقد روى في احدى رحلاته ان الامام الحسن(ع) قد حارب معاوية وقتل ودفن في الزبير ؟ وقال انه دخل النجف الاشرف فوجد في آذان بعض الاطفال من البنين اقراطاً فسأل عنها فقيل انهم من ابناء المتعة والاقراط هذه هي التي تميز ابن المتعة من غيره وهكذا جل اخباره على هذا النمط — الخليلي . (٢) من رحلة عبد الوهاب عزام ص ١٣٥ .

وتوفي نصف الليل ، ليلة الست لثلاث خلون من جمادي الآخرة ، ودفن في القبر الذي أعدّه .

وفي سنة ثلاث ومائتين ؛ كان الخليفة المأمون بن هارون قافلاً من خراسان يريد العراق – وقد ثار عليه عمه ابراهيم بن المهدي – فلما بلغ سناباذ ، نزل عند قبر أبيه أياماً . وكان معه علي الرضا بن موسى الكاظم – ولي عهده – فمات الرضا في ذلك المكان ، في شهر صفر . فدفن إلى جانب الرشيد .

وفي هذا يقول دعبل بن علي الخزاعي – فيما يزعم الرواة .

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العجب

اشتهرت قرية سناباذ ، وسميت « سناباذ المشهد » ، ثم سميت « المشهد » وبهذا الاسم ذكرها المقدسي . وسماها ابن بطوطة « مدينة مشهد الرضا » .

واتسعت المدينة ، ونسيت على مرّ الزمان مدينة « نوقان » ، التي كانت بجانب سناباذ . وصار اسمها اسم محلة في المدينة الجديدة . ونافست مدينة المشهد مدينة طوس – في اقليم خراسان – حتى أخملتها ، ثم اختفت طوس حين حاصرها ميرانشاه تيمور ، وفتحها فأخربها عام ٧٩١ .

المشهد الرضوي في المراجع الغربية

كتبه وترجمه

من مختلف المصادر الغربية

جعفر الخياط

الحائز على درجة استاذ علوم M. S. C. من جامعة كليفورنيا

ومدير التعليم الثانوي والمفتش الاختصاصي في وزارة التربية سابقاً

ومدير التعليم المهني العام حالاً



المشهد الرضوي في المراجع الغربية

مقدمـــة

لا شك ان المشهد الرضوي من المشاهد الأسلامية المقدسة التي يجلهـــا المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . وهو يعد أول مزار في أيران ، على ما تقول دائرة المعارف الاسلامية ، وسابع مشهد في العالم الاسلامي كله في نظر علماء الشيعة ، بعد مكة والمدينة والعتبات المقدسة الأربع الموجودة في العراق . على ان هناك من يرى ان مشهد الأمام الرضا عليه السلام يقـــع في المرتبة السادسة بين هذه المشاهد ، أي بعد المشهد الكاظمي وقبل المشهـــد العسكري في سامراء .

ويقول الدكتور دونالدسون١ ، المشار اليه في الحلقات السابقة من هذه الموسوعة ، في فصل خاص أفرده للمشهد الرضوي المطهر بعنوان (المشهد البعيد في خراسان) ان دفن الامام الرضا (ع) في مكان قصي مثل طوس قد حظي بحصته الكاملة من الرعاية والالتفات في أخبار الشيعة . حتى ليقال ان النبي محمداً نفسه قال ذات يوم « ستدفن بضعة مني بخراسان ما زارها مؤمن الا

---

(١) Donaldson, Dwight M — The Shi'ite Religion. A History of Islam in Persia & Iraq (Luzac, London 1933).

أوجب الله له الجنة وحرم جسده على النار » .

وينسب الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أنه تنبأ نبوءةً جلية حين قال : يقتل ابن من ابنائي مسموماً في خراسان ، ويكون اسمه اسمي ، واسم أبيه موسى » . ويقول بعد ذلك : ومن زار ضريحه يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولو كانت ذنوبه بعدد النجوم ، وقطرات المطر ، أو بعدد أوراق الشجر ، لغفرت جميعها له .

والمقول أن الامام موسى بن جعفر ، والد الامام الرضا ، عليهما السلام كان يقول جازماً « يقتل علي ابني بالسم ، ظلماً وعدواناً ، ويدفن الى جنب قبر هارون الرشيد » [1]

الموقع وتاريخه

جاء في دائرة المعارف الاسلامية [2] ان المشهد هي عاصمة إيالة خراسان الايرانية ، وأعظم مزار من مزارات الشيعة في ايران . وتقع على ارتفاع (٣٠٠٠) قدم فوق سطح البحر ، في درجة ٥٩ و ٣٥ طول شرقي ، درجة ١٦ و ١٧ شمال في وادي كشف رود الذي يتراوح عرضه بين عشرة وخمسة وعشرين ميلاً ، ويمتد من الجهة الشمالية الغربية الى الجهة الجنوبية الشرقية : وينشأ هذا النهر المسمى « آبي مشهد » [3] ايضاً ، من نقطة تقع على بعد اثني عشر ميلاً من شمال شرقي خرائب طوس في بحيرة « چشمه گيلاس » ، ثم يلتقي بنهر « هيري رود » في مكان على الحدود الروسية الايرانية يبعد عن جنوب شرقي مشهد بمسافة مئة ميل . وتقع مشهد نفسها على بعد أربعة أميال

---

(١) هذه الاخبار نقلها دونالدسون وننقلها نحن هنا كنماذج للروايات لا دخل لها بالتاريخ . الخليلي

(٢) Gibb, H. A. R. & Kramers — Shorter Encyclopedia of Islam (Leiden, Brill 1961)

(٣) الصحيح (آب مشهد) – الخليلي .

من جنوب ضفة نهر كشف رود. وترتفع الجبال الممتدة على طول الوادي الى علو ثمانية آلاف قدم بالقرب منها.

وبالنظر لموقع (المشهد) المرتفع وقربها الى الجبال يكون الطقس فيها قاسياً في الشتاء، على أنه كثيراً ما يكون حرها استوائياً خلال الصيف. ومع هذا فيعد الطقس فيها صحياً.

ويمكن ان تعتبر مدينة المشهد الى حد ما وريثة طوس التي كانت موجودة هناك قبل الاسلام، وكثيراً ما تحشر خطأً معهافي الحقيقة. وبينما كان الخليفة هارون الرشيد يعد العدة للزحف في حملة من حملاته على خراسانويقع مريضاً في قصر ريفي بقرية سناباذ، التي كان قد توقف فيها لوقتٍ ما، ثم توفي بعد أيامٍ معدودة سنة ١٩٣ (٨٠٩ م). ويروى ان الخليفة بعد ان عرف أنه أوشك على مفارقة الحياة أمر بحفر قبر له في حديقة ذلك القصر الريفي، وباحضار عدد من قراء القرآن.

وبعد موت هارون الرشيد بعشر سنوات توقف الخليفة المأمون عدة أيام في هذا المكان، حينما كان في طريقه من مرو الى بغداد، وكان في معيته صهره علي بن موسى الرضا الامام الثامن للشيعة الاثني عشرية الذي عُين لولاية العهد وفي خلال ذلك توفي الامام الرضا فجأةً هناك سنة ٢٠٣ (٨١٨ م) من دون ان يعرف اليوم الذي حدثت فيه الوفاة بالضبط [١].

وقد كان قبر الامام المقدس، وليس قبر الخليفة، هو الذي جعل سناباذ (نوقان) تشتهر في طول العالم الشيعي وعرضه، فنمت وتوسعت بمرور الزمن من قرية صغيرة الى مدينة صارت تسمى «المشهد». ويطلق ابن حوقل على الروضة المطهرة كلمة «مشهد» فقط بينما يسميها ياقوت «المشهد الرضوي»، ويرد احياناً الاسم الفارسي «مشهد مقدس» كذلك

(١) تستند دائرة المعارف الاسلامية في هذه الرواية الى كتاب (الأثنا عشرية) الألماني لمؤلفه ستروثمان: Strothman — Die Zwölfer — Shi'a (Leipzig 1927) p. 171

كما في كتاب حمد الله المستوفي مثلاً . على ان أول ما يرد اسم « مشهد » ليدل على المكان والبلد كان فيما كتبه المقدسي ، أي في الثلث الاخير من القرن الرابع (العاشر الميلادي) . وفي حوالي منتصف القرن الثامن (الرابع عشر الميلادي) نجد الرحالة ابن بطوطة يستعمل كلمة « بلدة مشهد الرضا » . ويبدو أن الاسم « نوقان » ، الذي ظل يكتب على العملة في أيام الأيلخانيين خلال النصف الأول من القرن الثامن (الرابع عشر) ، قد استبدل في أواخر القرون الوسطى بكلمة « المشهد » أو « مشهد » . وكثيراً ما يسمى المشهد بالتسمية الأدق اليوم ، وهي « مشهد رضا » أو « مشهد مقدس » او « مشهد طوس » . وقد يلاحظ في الكتابات الأدبية ، ولا سيما الشعر ، اسم « طوس » فقط بدلاً من ذلك ، أي طوس الجديدة [١] .

وظلت تزداد أهمية سناباذ ــ مشهد ، بازدياد الشهرة التي حظي بها المزار المقدس خلال السنين والأيام ، وبانحطاط شأن طوس التي تلقت ضربتها القاضية في ٧٩١ (١٣٨٩) م على يد ميرانشاه أحد أولاد تيمورلنك . فحينما ثار الأمير المغولي الذي كان يحكمها في تلك الأيام وأعلن استقلاله انتدب تيمورلنك ابنه ميرانشاه لتأديبه ، فهوجمت طوس هجوماً صاعقاً بعد ان حوصرت عدة أشهر ، ثم نهبت وهدمت حتى أصبحت أنقاضاً وركاما . وقد قتل من سكانها عشرة آلاف نسمة ، اما الذين تمكنوا من الهرب والنجاة بأنفسهم من تلك المجزرة الرهيبة فقد التجأوا الى حماية المشهد الرضوي . وهكذا تركت طوس منذ ذلك الحين . فأخذت (المشهد) مكانها وأصبحت عاصمة للمنطقة بأسرها .

ويعالج دونالدسون [٢] تاريخ المشهد الرضوي هذا بتفصيل أوفى . فهو يقول ان الامام علياً الرضا قد انتقل الى الرفيق الأعلى في طوس في أوائل

---

(١) يرجع الكاتب في هذا الى كتاب (تاريخ طوس والمشهد الرضوي) لمؤلفه محمد مهدي العلوي ، المطبوع ببغداد سنة ١٩٢٧ . (١) الفصل ٢٦ ، ص ١٧١ .

القرن التاسع للميلاد . ويعزى الفضل الى اليعقوبي الذي كتب تاريخه في أوائل القرن نفسه . فيما عندنا من معلومات عن طوس التي يقول عنها انها كانت يومذاك اسماً لمنطقة كبيرة وليس لمدينة بالذات . وكانت البلدتـان الرئيستان في هذة المنطقة : نوقان والطابران ، كما كانت نوقان أكثر اتساعاً من اختها ، وكثيراً ما كانت تسمى باسم طوس . وكان سكانها العرب ينتمون الى قبائل طي ، لكن أكثرية السكان كانت من الايرانيين . ولذلك فقد كانت نوقان هي التي توفي فيها الامام الرضا عليه الاسلام وهارون الرشيد ، مع ان الطابران هي التي صارت مدينة طوس المشهورة في السنوات المتأخرة . وهذا الرأي ، المبني على ما يذكره اليعقوبي ، يؤيده ما يكتبه ابن رسته عن المراحل ما بين نيسابور وطوس ، حيث انه يجعل نوقان هي المقصودة بالوصول وليس الطابران .

وحينما قدم هارون الرشيد الى طوس بات ليلة في دار حميد بن قحطبة الطائي ، حاكم المنطقة الذي كان يملك داراً وبستاناً واسعة في سناباذ الكائنة على بعد ميل واحد من نوقان . وقد دفن بناءً على طلبه في غرفة من غرف الدار هذه (اما الرواية الأخرى فتقول انه دفن في البستان) ، فأمر ابنـه المأمون فيما بعد بأن تشاد قبة خاصة فوق قبره . ولذلك عندما توفي الامام عليه السلام في بلدة نوقان نفسها ، ودفن تحت نفس القبة قيل بحقه « أنه دخل دار حميد بن قحطبة الطائي ، ودخل قبة هارون الرشيد » .

ويلاحظ ان ربع الطابران المجاور كان فيه خلال القرن العاشر حصن يتكون من مبنى كبير شاهق يرى من بعيد ، على ما يذكر المقدسي ، وان أسواق هذا النصف من البلدة كانت ملأى بالسلع . ويلاحظ كذلك ان القبرين الشهيرين في سناباذ كانا في القرن الرابع (العاشر) محاطين بأسوار محصنة تحصيناً قوياً . وان المشهد المقدس كان يكتظ عـلى الدوام بالزوار المتعددين ، على ما يذكر ابن حوقل . إذ كان الأمير فائق عميد الدولة قد شيد

بجانب ضريح الامام الرضا جامعاً يقول عنه المقدسي أنه لا يوجد أجمل منه في خراسان كلها . وقد جعل قبر هارون الرشيد بجنب قبر الامام ، كما بنيت دور كثيرة وسوق بالقرب من البستان الكبيرة . لكن البناية الأولى هذه ، على ما كانت عليه من فخامة وجمال شهد بهما ابن حوقل والمقدسي حينما شاهداهما في القرن العاشر ، قد عجل بتهديمها بعد ان تم بناؤها بقليل الأمير سبكتكين بدافع تعصبه الشديد ضد الشيعة . وقد ترك الضريح على هذه الحالة من الاهمال والخراب عدة سنين نظراً لخوف الناس وخشيتهم من الاضطهاد الديني .

غير ان المقول في السنين الأولى من القرن الحادي عشر ان السلطان محمود ابن سبكتكين ظهر له الامام علي بن أبي طالب في الرؤيا وقال له « الى متى سيظل هذا على حاله ؟ » فأيقن ان الامام عليه السلام كان يقصد بذلك مشهد الامام الرضا ، فبادر إلى تشييد بناء معتبر تعلوه قبة عالية له . وقد تم البنـــاء باشراف حاكم نيسابور سنة (١٠٠٩) للهجرة ، ولكن البناية الثانية هذه أيضاً سرعان ما هدمتها تجاوزات اللصوص والقبائل التركية . ومما يدل على حصول هذه التخريبات المستمرة عدم وجود كتابات تعود بتاريخها الى ذلك الوقت الباكر فوق البناية الحالية .

وفي عهد السلطان سنجر السلجوقي ، في القرن الثاني عشر ، آعاد تشييد البناء رجلٌ يقال له أبو طاهر القمي ، وصرف عليه من ماله الخاص أو من مال السلطان . ولكن قبل ان يكون هذا المبنى الجديد قد مرت عليه مئة سنة أصيب بأضرار بالغة ، من دون ان يتهدم في أثناء احتلال المغول للمنطقة فبعد ان قام تلكوخان بتقتيل سكان نيسابور وتشريدهم ، سنة ١٢٢٠ م ، اندفع الى طوس مع جموعه المتوحشة وفعل الشيء نفسه فيها أيضاً . فقد هدم طوس (الطابران) ونهب المشهد الرضوي المطهر ، على أنه لم يهدمه تهديماً كاملاً لأن كتابات عدة موجودة الآن في الحرم ترجع بتاريخها الى سنة ٦١٢ (١٢١٥ م) أي الى ما قبل واقعة المغول الأخيرة بخمس سنوات [١] .

---

(١) تاريخ ايران ، سايكس ، ج ٢ ، الص ٩٣٥ .

على أن المشهد المطهر قد أعيد بناؤه وتصليحه في أوائل القرن الرابع عشر ، على عهد حكومة السلطان محمد أولجايتو ، الذي كان أول من اعتنق المذهب الشيعي من الأسرة المغولية الحاكمة . فقد سمح للجهات المعنية بأن تستخدم المبالغ المجموعة من التبرعات والهبات المقدمة للحضرة الرضوية في الصرف على اعادة البناء تنفيذاً لوصية المتبرعين . والمعروف ان هذا السلطان المغولي كانت أمه المسيحية قد عمّدته عند ولادته فسمته نقولا ، لكنه بدل ديانته في الكبر وأصبح مسلماً شيعياً في النهاية . ولذلك يلاحظ ان العملة التي سكبت في أواخر أيامه قد كتبت عليها أسماء الأئمة الأثني عشر جميعهم .

وقد زار الرحالة المغربي ابن بطوطة بناية المشهد الرضوي الجديدة بعد الانتهاء منها بسنوات معدودة خلال القرن الرابع عشر (١٣٣٣ م) فوجد المشهد مدينة كبيرة كثيرة السكان ، ملأى بالفواكه . وشاهد قبةً كبيرة تعلو القبر مزينةً بستائر من حرير وشمعدانات من ذهب . ولاحظ تحت القبة وفي مقابل ضريح الامام الرضا عليه السلام قبر الخليفة هارون الرشيد ، الذي كانوا يضعون فوقه على الدوام شمعدانات مضاءة ، لكن « أتباع علي » حينما كانوا يدخلون كانوا يركلون قبر الرشيد بأرجلهم ثم يذهبون للتبرك بضريح الامام نفسه . ويشير المستوفي أيضاً ، المعاصر لابن بطوطة ، الى (سناباذ) نفسها فيسميها « المشهد » ويقول أنها أصبحت بلدة صغيرة ثم يشيد باللطف الذي كان يبديه سكانها للغرباء ، وبكثرة الفواكه الموجودة فيها .

على ان هذه المشاهدات مرت عليها ، بعد ان كتبت ، سنوات معدودة جاءت في أثرها غزوات تيمورلنك المدمرة . التي بدأت في خراسان سنة ١٣٨٠ م ، فدمرت المشهد وطوس تدميراً شديداً من جديد . وكان من حسن الحظ ان يتعين شاه رخ ، ابن تيمور ، حاكماً على خراسان بعد ذلك فيبادر الى اشغال نفسه في الحال بمهمة أعادة التعمير والاصلاح . وقد أزمع على بناء طوس من جديد في بداية الأمر - سنة ١٤٠٥ م لكنه وجد أن اولئك الذين نجوا بأنفسهم من المذابح السابقة قد استقروا في [illegible] وبنوا لأنفسهم بيوتاً

من طين . فبذل بعض الجهد . بواسطة موظفيه . في اقناعهم بالعودة الى طوس لكنهم لم يكونوا راغبين في ذلك . لأنهم أصبحوا يعتبرون مكانهم الجديد ملجأ لهم وملاذاً . ولذلك استرخصوا شاه رخ بأن يسمح لهم ببناء الجدران والأسوار اللازمة لدورهم . فكان هذا هو المكان الذي أصبح مدينة (المشهد) الشهيرة بينما تركت طوس (التي كانت مشيدة في موقع الطابران القديم) بالكلية .

وليس هناك في المدونات ما يدل على حصول تدمير آخر للمشهد الرضوي . قبل وقوع الزلزال الشديد الذي تصدعت به البناية الرئيسية في أيام الشاه سليمان الصفوي . وكان الرحالة الانكليزي السر جون چاردين يومذاك في أصفهان . فسجل الملاحظات الآتية في يومياته : (١١ آب ١٦٧٣) [١] : .. لقد وصل في اليوم الحادي عشر رسولان مسرعان . أحدهما في أثر الآخر ، وهما يحملان أنباء سيئة تشير الى ان ثلث المشهد . عاصمة خراسان . ونصف (نيكابور) [٢] البلدة الكبيرة الأخرى في الأيالة نفسها . وبلدة صغيرة بقربها . قد دمرها الزلزال . على ان الذي حزن له الايرانيون أكثر من أي شيء آخر ، ولا سيما المتدينين منهم . هو التدمير الذي أصاب جامع المشهد الكبير الذي يوجد فيه ضريح الامام الرضا . وهو جامع مشهور جميل في أنحاء الشرق كافة . وقد أصاب التدمير القبة على الأخص . لكن بقية البناء بقيت سالمة على ما يقال . فما كان من الملك الا ان يوفد في الحال رجلاً مرموقاً من رجاله ليوافيه بمفصل ما وقع ، ثم بعث بعده برجلين من النبلاء وزودهما بالأوامر اللازمة في هذا الشأن إلى ضباط الأيالة وموظفيها الكبار .

ثم يقول چاردين بعد شهرين : .. وفي اليوم التاسع (تشرين الاول) ذهبت الى « دار الصاغة الملكيين » الموجودة في القصر الملكي نفسه لأتفرج

---

(١) Sir Gohn Chardin's Travels in Persia, Argonaut Press 1927, p. 62.

(٢) المظنون انه يريد مدينة نيشابور — الخليلي .

عليهم وهم يصنعون الألواح الذهب ، على شاكلة البلاطات المألوفة ، التي سوف تكسى بها القبة الكبيرة لجامع الامام الرضا في المشهد الذي كان قد دمرها الزلزال ، كما ذكرت من قبل . وكان يشتغل في ترميم هذا الجامع حوالي ألف عامل ، على ما يقال ، وهم يشتغلون فيه بكل جد ومثابرة لأجل ان ينتهوا منه في نهاية تشرين الأول . وهنا يصف البلاطات وقياساتها ، ويذكر بعد ذلك ان كل واحدة منها تكلف عشر «كراونات» ، وأن عددها كلها سيبلغ في بداية الأمر ثلاثة آلاف بلاطة على ما أخبره به رئيس الصاغة الذي كان العمل يجري تحت اشرافه [١] .

ويذكر دونالدسون ان ترميم القبة الذهب في أيام الشاه سليمان هذا مذكور في كتابة خاصة منقوشة على القبة نفسها ، ومنتهية بالجملة الآتية : لقد استطاع الشاه سليمان الحسيني إكساء هذه القبة السماوية بالذهب ، ليزينها ويرممها بعد أن أصابها ضرر من جراء زلزال شديد اهتز به هذا المكان المقدس سنة ١٠٨٤ (١٦٧٣ م) . وهناك كتابة على الباب المؤدية الى الجامع من الايوان الذهب تدل على ان الشاه سليمان قد رمم مسجد گوهرشاد في الوقت نفسه أيضاً .

وعلى حشوة في افريز القبة الذهب من الداخل ، توجد كتابة خاصة تخلد الشاه عباس الكبير — الصفوي — الذي «نال حظوة المجيء راجلاً من أصفهان ، عاصمة ملكه لزيارة المشهد الرضوي ، وكان من حسن حظه ان يسهم من ماله الحلال بتزيين هذه القبة سنة ١٠١٠ (١٦٠١ م) حتى انتهى العمل سنة ١٠١٦ (١٦٠٧ م) .» وقد قام نادر شاه أيضاً بتزيين القبة الذهب في القرن الثامن عشر ، وتقديم هدايا ثمينة أخرى إلى العتبة .

اما أهم ما قدمه شاهات الأسرة القاجارية المالكة للروضة المطهرة فهو تعمير بهو الاستقبال ، والايوان الذهب ، من قبل فتح علي شاه . وقد زين

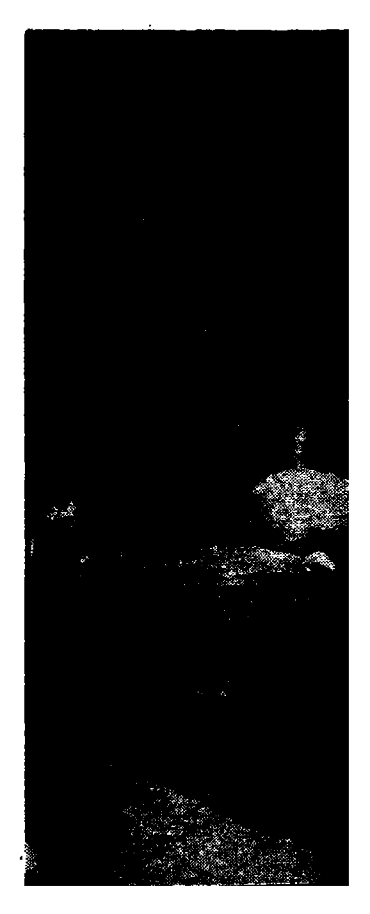
---

(١) الص ١١٢ المرجع السابق .

هذين الأثرين وأدخل بعض التحسينات فيهما بعد ذلك ناصر الدين شاه سنة ١٢٥٠ (١٨٤٨ م) .

على ان آخر ضرر خطير أصاب المشهد المقدس ، على ما يقول دونالدسون ، كان من جراء قصف الروس له سنة ١٩١١ . فقد عمد اللصوص في تلك السنة الى نهب المدينة واتخاذ المنطقة المقدسة منها مقراً لهم ، ثم اعلنوا الثورة ضد الحكومة الدستورية التي كانت تحكم البلاد آنذاك . ولما كانت السلطات الايرانية عاجزة في تلك الأيام عن سوق عدد كاف من الجند الى المدينة المقدسة هذه فقد خولت الروس ، الذين كانوا يحتفظون بعدد كبير من الجند في خراسان ، بأن يتولوا توطيد الأمن واعادته الى نصابه فيها . ومن نقطة مناسبة تقع خارج المدينة عمد هؤلاء الى قصف منطقة الحرم الشريف ، التي جعل الثوار منها مقراً لهم . وفي خلال دقائق معدودة أنزل ضرر فادح بالقباب والمباني العالية ، وقتل على ما يقدر ، حوالي مئة من الناس الذين لم يكن أكثرهم من المحاربين ، بينما استطاع معظم اللصوص ان يلوذوا بالفرار وينجوا بأنفسهم . وقد استاء الناس من ذلك في معظم انحاء ايران استياءً شديداً ، فصاروا يعتبرون اليوم الذي حصل فيه هذا الفعل السيء يوماً سنوياً للحزن . ولم يقصروا في الاعتقاد بأن ما أصاب روسية من تقلبات وحوادث مؤسفة بعد ذلك كان عقاباً من الله للروس على ما اقترفوه بحق المشهد المقدس . ولم يكتف الروس بقصف المشهد المقدس بالنار وانما احتلوه عدة أيام أيضاً ، وصاروا يدخلون في كل مكان منه بأحذيتهم ويسمحون لكلابهم بهذا كذلك على ما قال (دونالدسون) .

صفحة من داخل القبة والضريح الرضوي المطهر



المشهد في كتابي لسترنج وسايكس

ويأتي على ذكر النقاط المار بحثها كلها ، مع شيء من الاختـــلاف ، المستشرق الانكليزي المعروف العلامة لسترنج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية)[1] الذي مرت الأشارة اليه في حلقات هذه الموسوعة السابقة .

فهو يبدأ فصله عن خراسان عامة (الفصل ٢٧) بقوله ان خراسان في الفارسية القديمة معناها « البلاد الشرقية » . وكان هذا الاسم في أوائل القرون الوسطى يطلق بوجه عام على جميع الأقاليم الاسلامية الواقعة في شرق المفازة الكبرى الى حد جبال الهند . ولذلك كانت تضم في مدلولها الواسع كل بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي ، ما خلا سجستان وقوهستان في الجنوب . وكانت حدودها الخارجية صحراء الصين والپامير من ناحية آسية الوسطى ، وجبال هندكوش من ناحية الهند . الا ان حدودها هذه صارت بعد ذلك ، أكثر حصراً وأدق تعييناً . حتى ليمكن القول أن خراسان ، وقد كان أحد أقاليم ايران في القرون الوسطى ، لم يكن يمتد الى أبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي ، ولكنه ظل يشتمل على جميع المرتفعات فيما وراء هراة ، التي هي اليوم القسم الشمالي الغربي من أفغانستان . والى ذلك فان البلاد في أعالي نهر جيحون ، من ناحية الپامير ، كانت على ما عرفها العرب في القرون الوسطى ، تعد ناحيةً من نواحي خراسان البعيدة .

وكان أقليم خراسان في أيام العرب ، أي في القرون الوسطى ، ينقسم الى أربعة أرباع : نسب كل ربع منها الى إحدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة ، عواصم للأقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن هي : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ . وبعد الفتح الاسلامي الأول ،

---

(١) Le Strange, Guy – The Lands of the rastern Caliphate (London 1930) وقد نقله الى العربية الاستاذان كوركيس عوا وبشير فرنسيس ، ونشرت الترجمة على نفقة المجمع العلمي العراقي (مطبعة الرابطة ١٩٥٤) .

كانت عاصمتا خراسان في مرو ، وفي بلخ . الا أن الأمراء الطاهريين نقلوا دار الأمارة الى ناحية الغرب فجعلوا نيسابور في أيامهم عاصمة الاقليم ، وهي أيضاً أكبر مدينة في أقصى الأرباع غرباً [١] .

ويقول لسترنج [٢] بالنسبة لمدينة المشهد ــ او مشهد الامام ــ انها تقع في الجهة الشرقية من نيسابور ، وتفصلها عنها سلسلة الجبال التي فيها مخارج أكثر أنهار سهل نيسابور . وهي اليوم قاعدة القسم الايراني من خراسان . وعلى بضعة أميال من شمال المشهد أطلال طوس المدينة القديمة . وكانت طوس في المئة الرابعة (العاشرة) المدينة الثانية في ربع نيسابور من أرباع خراسان . وتتألف من المدينتين التوأمين : الطابَران ونوقان . وعلى مرحلتي بريد عنها : البستان العظيم في قرية سناباذ ، حيث قبر الخليفة هارون الرشيد وقد توفي فيها سنة ١٩٣ (٨٠٨ م) وقبر الامام الثامن علي الرضا وقد مات من سم دسه له المأمون سنة ٢٠٢ (٨١٧) ، وكان يقال لقرية سناباذ هذه بر ذعة أيضاً ، وتسمى كذلك المثقب . ويظن ان هذه التسمية جاءت من الكوى التي في الضريح او من سبب وهمي آخر .

وكانت نوقان في المئة الثالثة (التاسعة) ، على ما يذكر اليعقوبي ، أكبر نصفي طوس ، الا أن الطابران قد جاوزتها كبراً في المئة التالية لها ، وبقيت المدينة الكبرى حتى أيام ياقوت ، حين أخربت جحافل المغول طوس . وكانت نوقان مشهورة بصنع البرام التي تحمل منها الى سائر البلدان ، ويستخرج من جبالها معدن الذهب والفضة والنحاس والحديد . وبالقرب من طوس أيضاً الفيروزج ، وحجر يقال له الخماهن والدهنج ، وكانت هذه المعادن تجلب الى أسواق نوقان للبيع . وهذا القسم من طوس ماؤه قليل . وكان الحصن المجاور للطابران بناءً فخماً عالياً يرى من بعيد على قول المقدسي . وأسواق

---

(١) الص ٤٢٣ و ٤٢٤ من الترجمة العربية للمرجع الأخير . (٢) الص ٤٢٩ – ٤٣٢ المرجع الأخير .

هذا النصف من المدينة عامرة وجامعها حسن البناء بديع التزويق . وكان على القبرين في سناباذ ، في المئة الرابعة (العاشرة) حصن حصين منيع ، وفيه قوم معتكفون على ما ذكر ابن حوقل . وقال المقدسي ان الأمير عميد الدولة فائقاً بنى على قبر الامام علي الرضا مسجداً ما بخراسان أحسن منه ، وبُني قبر هارون الرشيد بجانب ضريح الامام . وقامت في أرض البستان الكبيرة دور كثيرة وسوق .

ولم يزد ياقوت في وصفه مدينة طوس شيئاً على ما مر ذكره ، غير أنه ذكر أن من أشهر القبور في الطابران قبر الفقيه السني العظيم الامام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ (١١١١ م) وقد عاش في بغداد بضع سنين مدرساً في المدرسة النظامية . وكان اسم طوس حين كتب ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) يدل في الغالب على ناحيتها ، وكان بها أكثر من ألف قرية . على ان هذه البلاد وبضمنها مدينتا طوس والقبران في سناباذ (المشهد) قد خربتها ونهبتها جحافل المغول في سنة ٦١٧ (١٢٢٠ م) . والظاهر ان طوس لم تقم لها قائمة بعد نهب المغول لها ، ولكن القبرين المجاورين لها نالا عناية الأثرياء من الشيعة فاستعادا بهاءهما السابق ، فكان المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) من أوائل من أشار الى قرية سناباذ مسمياً أياها « المشهد » . وهو الاسم الذي عرفت به منذ ذلك الحين .

ولما كتب المستوفي صارت المشهد مدينة عظيمة حولها قبور عديدة مع قباب مشهورة كثيراً ، منها قبر الغزالي وقد مر ذكره الآن وهو في شرق قبة الضريحين ، وهناك أيضاً قبر الفردوسي الشاعر المشهور . وحول المدينة أرض سهلة خصبة يقال لها مرغزارتكان ، طولها أثنا عشر فرسخاً وعرضها خمسة يكثر فيها العنب والتين . وأهل ناحية طوس ، على ما ذكر المستوفي ، من أحسن الناس خلقاً وألطفهم مع الغرباء .

وانتهى الينا من ابن بطوطة . وقد زار مشهد الامام الرضا بعد ذلك ببضع سنين ، وصف حسن للضريح ، قال : مدينة كبيرة ضخمة عامرة الأسواق

وحولها جبال ، وعلى المشهد قبة عظيمة ، وتجاوره مدرسة . وهذه الأبنية قد زوقت جدرانها بالقاشاني «وعلى قبر الامام دكانة خشب ، ملبسة بصفائح الفضة وعليه قناديل فضة معلقة . وعتبة باب القبة فضة . وعلى بابها ستر حرير مذهب ، وهي مبسوطة بأنواع البسط » . وازاء هذا القبر قبر الخليفة «وعليه دكانة خشب يضعون عليها الشمعدانات » واذا دخل الشيعي للزيارة ركل قبر هارون الرشيد برجله وسلم على قبر الامام الرضا . وقد تنبه الى ضريح الامام وجلاله السفير الاسباني كلافيو الذي زار بلاط تيمور في سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) فقد مر في طريقه بالمشهد . ومما يذكر ان النصارى في تلك الأيام كان يسوغ لهم دخول المشهد ، فلم يكن الشيعة الفرس على ما هم عليه اليوم من تعصب في هذا الأمر .

ويذكر السر برسي سايكس [1] بالمناسبة في (تاريخ ايران) سفارة هذا السفير الاسباني الذي بعثه ملك كاستيل في (١٤٠٣) لتمتين العلاقة مع تيمورلنك ضد العثمانيين الذين كان يخشى بأسهم . فهو يقول أن السفير راي غونزاليس دي كلافيو عبر مع جماعته من رودس الى قره باغ في آذربايجان عن طريق طرابزون وخوي ، ثم توجه الى تبريز فالسلطانية فكيلان . ومن هناك الى طهران التي يأتي ذكرها بهذا الاسم لأول مرة ، ولار ، ومنها خرجوا الى طريق المشهد فيما يقرب من دامغان وتوجهوا من هناك الى نيسابور . وقد سمح للكاستيليين في المشهد بزيارة مرقد الامام علي الرضا (ع) ، الذي وجدوا فيه ضريحاً كبيراً مغطى بشبابيك من فضة [2] .

اما المشهد الرضوي نفسه ، اي العتبة المقدسة ، فيقول سايكس (الص ١٥٤ ، ج ٢) ان المبنى العظيم في مشهد ، مجد العالم الشيعي ، قد شيد كما

---

(١) Sykes, Sir Percy — A History of Iran, vol II (London 1951).

(٢) نقل سايكس هذا من رحلة دي كلافيو : Embassy to the Court of Timour by Sir Clements Markhau (Halkuyt Society).

شيدت الكنائس القوطية الكبيرة في أوربة خلال أجيال عدة أنجز خلال كل منها جناح خاص أو جزء من أجزائه . وكان أقدم ما شيد من هذا المبنى الحضرة المطهرة التي يوجد فيها الضريح ، التي يعتقد انها البناء الأصلي الذي بناه المأمون بالذات فوق رفات والده هارون الرشيد ، ثم قبر فيه بعد سنوات الجدث الطاهر للامام الرضا عليه السلام . وكانت القبة ، التي بنيت على ثلاثة وثلاثين قدماً مربعاً ، واطئة بدرجة تلفت النظر . ولذلك يقال ان القبة الذهب الحالية قد بنيت فوق القبة القديمة التي ما تزال قائمة . وقد أهمل الضريح مدةً تناهز المئتي سنة ، لكن محموداً الغزنوي رأى رؤيا في المنام في بداية القرن الحادي عشر ، فأوعز على أثر ذلك الى حاكم نيسابور بأن يوسع المشهد المقدس ويشيد جداراً من حوله .

على ان هذا المشهد قد أهمل من جديد على ما يبدو حتى تربع السلطان سنجر على دست الحكم . ويقول سايكس ان كتابةً من الكتابات المنقوشة في الداخل قد نقلت له ، فتبين له منها ان بناية المشهد قد رممت بأمرٍ من هذا السلطان سنة ٥١٢ (١١١٨ م) . وتدل هذه الكتابة ، مع كتابة أخرى يرجع تاريخها ال ٦١٢ (١٢١٥) ، على ان الحضرة المطهرة لم يخربها المغول ، مع أنهم نهبوها وعبثوا بها . ولذلك يمكننا ان نقول على هذا الأساس ان هذا البناء هو البناء الأصلي للمشهد كله . وقد كسيت الجدران بعد ذلك بالقاشاني ، الذي ما تزال أقسام منه باقية حتى اليوم .

ويشير سايكس كذلك (الص ١٧٤ ؛ ج ٢) الى استيلاء الاوزبك في عهد ملكهم عبد الله الثاني على مدينة المشهد ، وكان ذلك في أيام الشاه عباس عند أول عهده بالحكم . فقد سار لانجادها لكنه وقع مريضاً بحيث تأخر عن هذه المهمة ، فتسنى بذلك للأوزبك بأن ينهبوا المدينة ويذبحوا الكثيرين من سكانها ، ويجردوا المشهد المقدس من نفائسه وخزائنه . وبقيت على حالتها تلك الى سنة ١٠٠٦ (١٥٩٧ م) حين انتصر الشاه عباس على الأوزبك انتصاراً لامعاً فأوقف تعدياتهم عند حدها . ولأجل ان يحافظ على الحدود المكشوفة

من تلك الجهات عمد الشاه عباس الى نقل عدة آلاف من الأكراد من موطنهم في كردستان الى خراسان الشمالية مع أسرهم وقطعانهم ، وقد استقروا في موطنهم الجديد ، وحافظوا على لغتهم فيه ، الى يومنا هذا .

وصف المشهد المقدس

لاحظنا في المراجع الغربية المتيسرة لدينا ان كتاب دونالدسون المشار اليه ، ومختصر دائرة المعارف الاسلامية ، يأتيان بوصف يكاد يكون شاملاً للمشهد المقدس ، مع مرافقه وملحقاته . وسوف نحاول هنا أن نورد النقاط المهمة منه .

ويبدأ دونالدسون (الص ١٧٨) في ذلك بقوله ان مدينة المشهد يمتد في

صورة مدينة مشهد كما تبدو من الطائرة



وسطها شارع رئيس (خيابان) مركزي من الجهة الشمالية الشرقية الى الجهة الجنوبية الشرقية على طول المدينة [1] . ويستطيع الزائر الدخول الى داخل المشهد المقدس أما من البوابة العليا أو البوابة السفلى الواقعتين على هذا الشارع ، أو عن طريق السوق المسقفة . وهناك قناة للماء تمتد في وسط الشارع العريض ، لكن أشجار الجنار (شجر الدلب) التي زرعت فيه منذ سنين عديدة ورآها فريزر في ١٨٢٥ قد تضخمت في نموها بحيث سقط الكثير منها الآن . وهناك شارع آخر يجري تعميره حول المشهد بأجمعه لتسهيل المواصلات . وقد أدى فتح النصف الجنوبي من هذا الشارع الى ان يطل على العالم الخارجي قسم قديم من المدينة ، كان يحتشد بأبنية بالية ، مثل الحمامات و « المسافرخانات » القديمة التي كانت تعتبر خطراً على الصحة العامة في المدينة ، اما النصف الشمالي من هذا الشارع فيمر رأساً في وسط المقبرة الواسعة ، التي كان الشيعة المتدينون يدفنون فيها أمواتهم منذ عدة أجيال حتى يتسنى لأولئك الموتى ان يحشروا يوم القيامة مع الامام وينجون من العقاب الأبدي بشفاعة منه . وكانت السواقي ، التي فتحت لغرس الأشجار على جانبي الشارع الكبير ، قد حفرت خلال ست أو سبع طبقات من القبور التي أخذت حجارتها لتستعمل في أغراض التبليط ايضاً . ثم سُويت المقبرة القديمة التي تبلغ مساحتها حوالي عشرة أفدنة في الجهة الشمالية لتجعل حديقة عامة يخترقها شارع الطبسي الجديد الذي يمتد من المشهد المقدس الى المحلة الواقعة في قلب المدينة رأساً ، وهي محلة نوقان القديمة .

وحينما يصل المرء من الشارع الأعلى الى الحاجز الذي تقف عنده وسائط النقل ويمنع غير المسلمين من تعديه ، فانه يستطيع ان يشاهد القاشاني الدقيق

(١) في اثناء قيام الأستاذ فؤاد عباس احد المشاركين في كتابة الموسوعة بزيارة مكتبة خراسان للبحث عن مواد هذا الجزء بين المحطة ط... قس طول هذا الشارع فوجده ١٨ كيلو متراً —

الخليلي

فوق طاق البوابة التي تؤدي الى الصحن القديم البالغ (٢٧٧) قدماً في طوله ، و (١٠٥) أقدام في عرضه . ويشاهد من فتحة البوابة برج الساعة غير الجميل ، الذي يدق الساعات وأنصافها من طلوع الشمس الى طلوعها ثانية . وفي الجهة المقابلة من الصحن القديم هذا توجد بوابة مماثلة تؤدي منه الى الشارع الأسفل ، ويعلوها برج آخر لا توجد فيه ساعة كبيرة ، بل توجد غرفة يجلس فيها الطبالون والبوقيون الذين يدقون على طبولهم ، وينفخون في أبواقهم عند طلوع الشمس وعند غروبها في كل يوم . وهذه تسمى « نقاره خانه » . فقد كانت عادة ضرب الطبول احتفاء بحلول اليوم الجديد وطلوع الشمس فيه ، واداء للتحية الملكية ، شيئاً مألوفاً في ايران منذ القدم [1] . وفي داخل الصحن القديم يندهش الزائر بمنظر الذهب الوهاج الذي يشع من القبة المنيفة فوق الضريح . ويزداد تأثر هذا حينما يقع نظره على المنارة المتلألئة التي ترتفع من فوق « الايوان الذهب » ، وعلى المنارة المقابلة لها القائمة فوق « ايوان شاه عباس » : وعلى مقربة من وسط الصحن من جهة الغرب يوجد حوض للماء ، الذي صار يملأ في السنين الأخيرة بواسطة الأنابيب التي تأتي من خزان نظيف يقع في غرب البلدة ، وليس من القناة التي تجري على طول الشارع . اما المساحة الكبيرة الواقعة خلف الصحن القديم فيشغلها مبنى المشهد المقدس نفسه الذي يشتمل على خمس عشرة غرفة وعدد من الممرات وزوايا الجلوس . وتبلغ مساحة الغرفة التي يوجد فيها الضريح المطهر حوالي (٣٤) قدماً مربعاً ، كما ترتفع القبة من فوقه الى علو ٨٢ قدماً .

وليس هناك في الوقت الحاضر ما يشير الى قبر هارون الرشيد سوى عمود غير مؤشر عليه بشيء في زاوية الغرفة القريبة من ضريح الامام (ع) . اما عادة شتم الخليفة المتوفى فلم يعد يتبعها الجميع هذا اليوم كما كان يحصل في

---

(١) والمعروف ان الملك منوجهر احد ملوك ايران القدماء هو الذي احدث (النقارة) لاول مرة . الخليلي .

السابق . وقد زينت داخلية هذه القبة بقطع المرايا الفاخرة بأمرٍ من ناصر الدين شاه ، كما زينت الجدران بحشوات من القاشاني الثمين الذي نقشت عليه آيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث والأقوال المناسبة .

ويتم الدخول الى الحضرة في العادة من الجهة الشرقية ، لكنه يوجد في كل جهةٍ من الجهات الأربع حنية خاصة او نصف مدخل يمكن للزوار ان يقفوا فيها فيؤدون الصلاة المطلوبة . وقد كتبت فوق جدران هذه المداخل النصفية عدة كتابات تشيد بعظمة الروضة المطهرة وجلال قدرها .

وتحافظ على الضريح ثلاث طبقات من الشبابيك تقع احداها داخل الأخرى. فهناك ناووس من الخشب مطعم بالذهب كتب عليه اسم الشاه عباس ، ويحيط بهذا أول شباك من حديد الفولاذ البسيط الذي تغلفه شبكة من أسلاك النحاس مُعدة لتسلم الهدايا التي يودعها الزوار المخلصون . وتقوم سلطات العتبة المقدسة في العادة بجمع هذه الهدايا قبيل أيام « النوروز » وبيعها بالمزاد في كل سنة . وشباك الفولاذ الثاني مزين ومزخرف بالذهب والجواهر ، وتدل الكتابة المنقوشة فيه على انه قد أُهدي من الشاه حسين الصفوي . اما الشباك الثالث أو الخارجي ، المصنوع من الفولاذ ايضاً ، فهـو مزخرف بكتابة دقيقة كتبت بها سورة الانسان بأجمعها . ولكلٍ من الشباكين الثاني والثالث رمانات ذهب مركبة في الأركان الأربعة . وهناك فوق القبر سقف من الخشب تكسوه أوراق من الذهب ، وتتدلى منه معلقات زخرفية مطعمة بالجواهر .

ويقول دونالدسون كذلك ان الزوار يبدأون طوافهم حول القبر المطهر من جهة الجنوب ، وهناك يسلمون على الامام الذي ينعتونه بالغريب ، الشهيد ، المظلوم ، المعصوم ، المسموم ، المحروم ، المهموم ، الهادي لأتباعه الى الصراط المستقيم . ثم ينتقلون الى الجهة الشرقية عند رجلي الامام ، وهناك يسلمون عليه كذلك ، لكنهم يقولون في زيارتهم هنا[1] « .. قتل الله من قتلك بالأيدي والألسن ،

---

(١) الص ١٨١ المرجع الأخير .

والألسن ، ولعن الله من ظلمك باليد واللسان » . ويذهبون بعد ذلك الى ما وراء رأس الامام فيسلمون عليه من جديد وينعتونه هذه المرة بوارث آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد . وأخيراً ينتقلون الى الجهة الغربية ويقولون : . وكن شفيعي عند الله عز وجل ، ومنقذي من نار جهنم ، ومؤيدي في الأرض ، ومرشدي في طريق الحياة ، و صديقي ورفيقي في القبر ، والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته .

.. وهناك في وسط الصحن منصة مرتفعة من الحجر ، تبلغ مساحتها سبعة وثلاثين قدماً مربعاً ، وتحاط ببركة في كل جانب من جوانبها . وهذه تسمى « مسجد المرأة العجوز » تخليداً لذكرى المرأة التي ظلت ترفض بيع تلك البقعة من الأرض ردحاً طويلاً من الزمن .

وفي شرق المبنى الرئيس للمشهد يوجد « الصحن الجديد » الذي بني في أيام فتح علي شاه . ويتوسطه أيضاً حوض ماء ، لأن وجود الماء الكثير ضروري لجموع الزوار المحتشدة التي تقدره حق قدره لاحتياجهم له في كثير من الحالات فقط ، بل ليساعدهم أيضاً في التوضي اينما وجدوا في أنحاء المشهد المقدس . وتضاء الأصحن الثلاثة خلال شهر رمضان كله ، وفي ليالي العطل وأيام الزيارة ، إضاءةً تامة . ونظراً لعدم وجود أضوية كهربائية (كتب هذا البحث نقلاً عن طبعة دائرة المعارف الاسلامية المطبوعة في ١٩١٣) فوق القباب والمنائر فان مرتسماتها الرشيقة وانعكاس الأضوية عليها ، وألوانها الزاهية ، يمكن ان تلاحظ لا في كل مكان من أمكنة المدينة فقط بل يستطيع الزوار والمسافرون ايضاً ان يشاهدوها من بعد خمسة عشر ميلاً تقريباً .

المشهد المقدس
في دائرة المعارف الإسلامية

اما ما تذكره دائرة المعارف الاسلامية عن الروضة المقدسة وموقعها من المدينة فيبدأ بالقول ان المنطقة المقدسة تقسم الشارع الرئيس في المدينة الى

قسمين : الشارع الأعلى (بالاخيابان) في الجهة الشمالية الغربية ، والشارع الأسفل (پايين خيابان) في الجهة الجنوبية الشرقية ، ويبلغ طول الأول ثلاثة أضعاف طول الثاني . وتسمى المنطقة المقدسة ، التي يشغلها المشهد المقدس عادةً « البسط » . وكثيراً ما يطلق عليه كذلك اسم « الحرم الشريف » أو « الحرم المقدس » او « الحرم الرضوي » . ويقع البسط ، الذي تبلغ مساحته ٩٠٠ × ٧٠٠ قدم في النصف الأوطأ من الشارع الرئيس . وهو بأصحنه وجوامعه ومدارسه وخاناته وأسواقه ومساكنه وما أشبه يكوّن بلدةً قائمة بذاتها ، ويعزله سور يلتف حوله عزلاً تاماً عن بقية مدينة المشهد . اما المداخل الرئيسة التي تؤدي اليه من « الخيابان » فهي البوابة الكبيرة في الشمال والبوابة الكبيرة في الجنوب ، لكن فتحة كل منهما تعترضها سلسلة كبيرة تمنع دخول أي حيوان او واسطة نقل الى الداخل . لأن أرض البسط أرض مقدسة لا يمكن ان توطأ الا بالقدم ، واذا ما دخل أي حيوان بالصدفة فيعتبر ملكاً لادارة العتبة . وللبسط حرمة خاصة للجوء أيضاً ، فان أي مدين يلجأ اليه يصبح في مأمن عن الدائن ، ولا يمكن ان يسلم المجرم الملتجيء الى الحكومة الا بأمر من « المتولي باشي » ، ولا يتم هذا الا بعد ثلاثة أيام على الأقل . ويقوم بالمحافظة عـلى الأمن الدقيق والنظام في داخله شرطة البسط الخاصة ، وهناك سجن خاص للصوص فيه .

ويمنع غير المسلمين منعاً باتاً عن الدخول الى البسط . غير ان هذا لم يكن ثمة تشديد فيه سابقاً على ما يبدو ، لأن كلافيو الاسباني سمح له بالدخول الى الحرم الرضوي في ١٤٠٤ ، كما استطاع الرحالة التالية اسماؤهم من الأجانب ان يدخلوا الى المنطقة المقدسة أيضاً خلال القرن التاسع عشر : فريزر (١٨٢٢ و ١٨٣٢) ، وكونولي (١٨٣٠) ، وبرنز (١٨٣٢) ، وفيرير (١٨٤٥) ، وأيستويك (١٨٦٢) ، وفامبري (١٨٦٣) ، والكولونيل دولميج (أواخر الستينات) ، وماسي (١٨٩٣) . ولم يدخل من هؤلاء الى الروضة

المقدسة فعلاً سوى فريزر وكونولي ودوليج وماسي . وقد لبس فامبري وماسي ملابس المسلمين حينما دخلوا ، بينما احتفظ الباقون بملابسهم الأوربية خلال الزيارة . وقد وصف جميع هؤلاء تقريباً المنطقة المقدسة وصفاً كاملاً في الغالب .

وبرغم المرات العديدة التي نهبت فيها هذه العتبة العلوية خلال السنين والأيام فانها ما تزال تحتفظ بنفائس لا تحصى في أبنيتها الخاصة ، يمكن ان تغطي على جميع الموجود من مثلها في العتبات الاسلامية الأخرى ، بما في ذلك كربلا والنجف أيضاً ، وربما باستثناء مكة المكرمة فقط .

ثم تقول دائرة المعارف الاسلامية ان تقديم معلومات مفصلة عن الحرم الشريف ، وتاريخه المعماري ، بالنسبة لما هو عليه اليوم شيء غير ممكن نظراً للمنع البات المفروض على دخول الباحثين غير المسلمين اليه . واعتماداً على وصف المنطقة المقدسة الذي يقدمه الأوربيون والمستشرقون ، وعلى الكتابات المدونة على الجدران ، يمكن ان يفترض باحتمال غير يسير ان الضريح الأصلي بشكله الحالي ، يعود تاريخه ، بالنسبة لما تذكره الكتابات المنقوشة عليه ، إلى أوائل القرن السادس (الثاني عشر) ولم يبق من آثار الحقب المتقدمة على هذا التاريخ شيء يذكر فيه . أما الحرم فهو بشكله الحالي من نتاج الخمس مئة السنة الأخيرة .

وتقوم العتبة فوق القبر وملحقاته في وسط البقعة المقدسة ، فتحدها من الشمال والشرق صحنان كبيران هما : (صحن كهنه) ، و (صحن نو) بينما يحدها من الجنوب مبنى جامع گوهرشاد واسع الأرجاء .

وأهم المداخل الى البسط ، التي يفضلها الزوار في العادة بوابة « بالاخيابان » التي تعترضها سلسلة ضخمة من السلاسل . ويمتليء الطريق الممتد في هذا الشارع الى مسافة (٢٥٠) ياردة بالدكاكين والمخازن ، ثم ينتهي ببوابة كبرى يدخل منها الزوار الى الصحن القديم (صحن كهنه) . ويرجع تاريخ القسم الشمالي

من هذا الصحن الى أيام الشاه عباس الأول ، بينما يرجع تاريخ القسم الجنوبي منه الى النصف الثاني من القرن التاسع (الخامس عشر) ، لكنه كان قد أعيد بناؤه كله في عهد نادر شاه . وهناك أربعة أبراج كبيرة لها أواوين تسمح بدخول الناس الى هذا الصحن ، وأبسط هذه الأبراج البرج الغربي والشرقي اللذان شيدهما الشاه عباس الأول ، وقد بنيت الساعة الكبرى في الأول منهما بينما تستعمل منصة الثاني بمقام « نقاره خانه » يقابل طلوع الشمس وغروبها منها بالنقر الموسيقي ، جرياً على العادة القديمة التي كانت موجودة في المدن الايرانية الملكية الأخرى . ويخرج المرء من الباب الشرقي الى سوق الشارع الأسفل « پايين خيابان » . على ان البوابة الشمالية التي بناها الشاه عباس الثاني ، والبوابة الجنوبية للصحن التي شيدها نادر شاه ، تعتبران من أفخم الأبواب من الناحية المعمارية ، ولا سيما الجنوبية التي تعم أفخم وأجمل ما بناه نادر شاه في الحرم أجمع . وتقوم فوق كلٍ من هاتين البوابتين الكبيرتين منـــارة يبلغ ارتفاعها مئة متر ، ويكون قسمها العلوي مكسواً بالذهب . وقد بنى نادر في الوسط كذلك « بئر نادر » المثمنة الأضلاع المشهورة ، المغطاة بما يسمى « سقاخانه نادري » . وكانت هذه قد نحتت في قطعة كبيرة من المرمر الأبيض كان نادر قد جاء بها من هراة بتكاليف باهظة . ويمتد في جدران الصحن صفان من الأروقة ، يشغل الصف الأسفل منهما الصناع ، والمدارس الدينية ، ومساكن خدم الجامع ، بينما يشغل موظفو الامام الكبار الطابق العلوي. وقد بلط الصحن كله ، الذي يبلغ طوله حوالي مئة ياردة وعرضه سبعين ، بحجارة سوداء من حجر المشهد [1] .

---

(١) وجاء في كتاب (مطلع الشمس) بالفارسية ان السائح الانكليزي (فورشاير) زار ايران في سنة ١٧٨٣ ومر بخراسان وقد جاء في سياحته ان مدينة (هراة) قد انفصلت في عهـــد الشاه اسماعيل الصفوي من ايران ، ومنذ عهد الشاه اسماعيل توجهت العناية اكثر واكثر لمدينة (مشهد) فكثرت الهدايا التي قدمت لضريح الامام الرضا ، ويقول (فورشاير) وعلى ان نادر شاه كان معروفاً بقساوة القلب وضعف العاطفة فقد عني بتزيين هذه المدينة وامر ببناء صحن كبير للامام وضريح =

وتؤدي « باب نادر الذهب » الى حيث يثوى الجدث المقدس ، مع الأبهاء والغرف المحيطة به . واذا ما توخينا الدقة في التعبير يجب ان تطلق كلمة الحرم ، أو الحرم المقدس ، أو الحرم المبارك ، على هذه النواة فقط . وقد تستعمل لذلك كلمة « الروضة المطهرة » أو (آستان) . وبعد ان يدخل المرء من باب الذهب يصبح في « دار السيادة » التي بنتها گوهرشاد ، وهي أجمل بهو في المنطقة المقدسة . ويوجد هنا معلقاً على أحد الجدران صحن مدور للأكل يقال أنه الصحن المشؤوم الذي قدم فيه العنب المسموم الى الامام علي الرضا (ع) . ويستطيع الزائر من هنا ان ينظر الى داخل الروضة المقدسة من شباك فضة . واذا ما استدار نحو الجنوب الشرقي يدخل الى غرفة أصغر أكثر بساطة في زخرفتها ، وهذه تسمى « دار الحفاظ » .

وفي جوار دار الحفاظ من الشمال ، تقع القبة التي يرقد فيها الامام عليه السلام ، او الحضرة . وتضاء داخلية الحضرة ، وهي عبارة عن بقعة تكاد تكون مربعة تبلغ مساحتها ٣٠ × ٢٧ قدماً ، لعدم وجود شبابيك فيها ، بأضوية معتمة من مصابيح ذهب وشمعدانات عدة[١] . وتزين تزييناً فخماً . ويقع القبر نفسه في الزاوية الشمالية الشرقية . فيحاط بثلاثة شبابيك جميلة واحد منها يرجع بتاريخه الى ١٧٤٧ ، ويعتقد أنه قد جيء به من فوق قبر نادر شاه الذي لم يبق له وجود[٢] . وقد أهدى الشاه عباس الأول سقف القبر وكساءه الذهب ، وفي امتداد أسفل القبر وضع فتح علي شاه باباً كاذبة من الذهب المطعم بالجواهر . وتحفظ في حنيات أو أروقة صغيرة في الجدار وراء زجاج نذور ثمينة مقدمة في الغالب من الأسر الاسلامية المالكة . وثمة على الجدار قطعتان من الكتابة العربية يرجع تاريخهما الى ٥١٢ (١١١٨) و ٦١٢

= فخم من الفضة ، وقنديل ثمين علق في الحرم الشريف ، ثم قال (فورشاير) ولكن المدعو نادرميرزا والذي هو من سلالة نادر شاه قد اغار على خزائن الامام الرضا ونهبها ، وانفقها على جيشه ، وان العلماء يسبونه ويلعنونه — الخليلي . (٢) وقد كان هذا قبل وصول الكهرباء — الخليلي . (٢) لقد احيا الشاه محمد رضا بهلوي قبر نادر شاه من جديد واقام له تمثالا ومتحفاً — الخليلي .

(۱۲۱٥) ، وتعتبر الأولى منهما أول نموذج معروف لخط الثلث في العربية . وقد تساعدنا هاتان القطعتان من الخط على اعتبار تاريخ الغرفة الحالية في بداية القرن السادس (الثاني عشر) ، بينما لم تشيد القبة المكسوة ببلاطات نحاسية مكسوة بالذهب ، التي ترتفع الى ٦٥ قدماً ، الا في ١٦٠٧ من قبل الشاه عباس الأول ، ثم جددها في ١٦٥٧ سليمان الاول . كما يستفاد من الكتابة المنقوشة عليها في الخارج . ولما كان خيط الأخبار المتواترة عن موقع قبر الامام لا يمكن ان يكون قد قطع مطلقاً ، فيمكن أن يقال بالتأكيد تقريباً أن القبة الحالية قد بنيت في الموقع الأصلي . وليس هناك أي أثر لقبر هارون الرشيد في الوقت الحاضر ، وربما كان موقعه في وسط الغرفة التي تعلوها القبة حينما دفن الامام الرضا من بعده في إحدى زوايا المكان نفسه .

ولن نذكر من الغرف والأبنية المنعزلة الأخرى التابعة لمجموعة الحرم الأصلي هنا سوى « گمبد الله ويردي خان » (المنارة) الكائن في الجهة الشمالية الشرقية ، المسمى باسم بانيه ، وهو من قادة الشاه عباس الأول المشهورين .

واذا ما ترك المرء غرفة الحضرة المقدسة من الباب الشرقية يصل ، بعد ان يمر بغرفتين متجاورتين ، الى بوابة ناصر الدين الذهب المؤدية الى الصحن الجديد . وقد بدأ بتشييد هذا الصحن فتح علي شاه في ۱۸۱۸ ، وأكمله خليفتاه الاثنان من بعده في ۱۸٥٥ . اما اذا استدار المرء الى الجهة الجنوبية من « دار السيادة » المار ذكرها فانه سرعان ما يصبح في منطقة الجامع الجميل الذي تبرعت بانشائه السلطانة گوهرشاد زوجة السلطان شاهرخ .

موظفو المشهد المقدس وخدامه

جاء في (عقيدة الشيعة [1]) للدكتور دونالدسون ان المشهد الرضوي فيه عدد كبير من الموظفين والمستخدمين الذين يقومون على أمره كل يوم .. واذ

---

(۱) الص ۱۸٤ .

الوفر حينما يسقط بكثرة أول مرة في السنة يبتهج الناس جميعهم في مدينة المشهد ، لأن انحباس الوفر والأمطار كثيراً ما يؤدي الى المجاعة والعسر في البلاد . ولهذا أصبح من المعتاد ان يبادر موظفو المشهد الرضوي الكبار بهذه المناسبة الى اخذ المجارف بأيديهم والصعود بها الى سطح الحضرة ، لينظفوا الوفر المتراكم عن قاعدة القبة الذهب . ويعد هذا من مظاهر التعبير عن الشكر والمنة للامام حينما يوقن الناس ان الموسم الجديد سيكون موسم خير وبركة للجميع .

وأكبر هؤلاء الموظفين هو الا« متولي باشي » الذي يعينه الشاه لادارة شؤون العتبة بأجمعها ، وينتظر منه ان يدفع الى خزانة الحكومة المركزيـــة ١٠٪ من مجموع وارداتها . ويأتي بعده « نائب التولية » الذي يجب ان يكون من سلالة الامام رأساً ، وتعهد اليه الرئاسة الدينية . ولذلك يكون منصبه هذا منصباً وراثياً في العادة ، مثل منصب القائممقام الذي يكون رئيساً لمجلس الأمناء . وبالاضافة الى هؤلاء الثلاثة هناك ستة او ثمانية موظفين تناط بهم واجبات تنفيذية وكتابية يتسلمون لقاءها رواتب وأجور معينة . ولقد أثري عدد من هؤلاء بوجودهم في مثل هذه المراكز وقيامهم بالاشراف على ممتلكات العتبة وارداتها .

على ان الذي يرهق واردات العتبة إرهاقاً شديداً هو وجود عدد كبير جداً من الخدم والمصاحبين . فقد كان هناك الى وقتٍ قريب حوالي سبعمئة بواب (دربان) مسجلين في قائمة الدفع ، ليتسلم كلٌ منهم خمسة وعشرين باوناً استرلينياً ، وألف باون من القمح ، في كل سنة . ويتوزع هؤلاء البوابون الى جماعات ، تتولى كل جماعة القيام بالواجبات المنوطة بها مدة أربع وعشرين ساعة ، مرة واحدة كل خمسة أيام . وتنحصر واجباتهم غالباً في اعمال الحراسة والتشريفات . والى جانب هؤلاء كان هناك ألف خادم يتقاضون ضعف ما يتقاضاه البوابون ايضاً ، ويتوزعون الى خمس جماعات كما يتوزع البوابون أيضاً . وحينما يتولى أحدهم عمله في الليل يقدم له طعام العشاء ، المتألف من

الرز المسلوق ولحم الضأن المألوف في بلاد الشرق الأدنى . ويقدم لهم هذا عادةً في الايوان الذهب . ومن واجبات الخدام الاعتيادية تنظيف الصحن والممرات وتطهيره تطهيراً شرعياً بمقدار كافٍ من الماء عندما يستدعي الأمر ذلك ، وإشعال الشموع والأضوية ، والمساعدةً في أعمال الكنس ، وما أشبه . وسواء كان هؤلاء الألف وسبع مئة مستخدم من الخدام او البوابين ، فكل فردٍ منهم له الحق في ان يدفن في مقبرة العتبة نفسها خمسة أموات من أقاربه . علىّ أن عدد هؤلاء قد أنقص حالياً بأمر من الشاه ، فنقص المجموع الى ثلث ما كان عليه قبل خمس سنوات (طبع الكتاب في ١٩٣٣) .

وبالاضافة الى هؤلاء المستخدمين ، هناك عدد غير يسير من الناس يجعلون منطقة المشهد المقدس مكاناً لأعمالهم التجارية . فهناك طبقة تقليدية من « الوعّاظ » يرتقون المنابر المنتشرة في الأصحن والممرات . وهناك القراء الذين يحفظون القرآن عن غيب « الحفّاظ » ، وهؤلاء يقسمونه الى ثلاثين قسماً يقرؤون كل قسم منها في يوم من أيام الشهر على حسابهم ، لكن ذلك كثيراً ما يكون باتفاق مع الآخرين . ويوجد كذلك حوالي أربعين او خمسين من قراء الزيارة . « زيارة خوانان » الذين يقودون جماعات الزوار الأميين ويستأذنون لهم بالدخول الى الحضرة والسلام على الامام (ع) في الأماكن المعينة عند الطواف حول ضريحه . لكن هؤلاء يتسلمون اكراميات من الزوار عادةً .

وقد كان هناك الى وقت قريب كذلك عدد من كتاب الأدعية ، يجلسون في الصحن القديم ويكتبون أدعية يأخذها المشترون الأميون منهم فيشدونها حول أذرعهم ، أو أذرع أطفالهم ، ليدفعوا عنهم شر الأمراض او يجلبون لهم الحظ السعيد .. ويرتاد الصحن القديم والجديد أيضاً عدد من باعة الطلاسم المتجولين أيضاً فيستغلون الآلاف من الزوار الذين يأتون الى الزيارة في كل سنة . على أنه لا بد من ان يُشاد بذكر الادارة الحالية في منع الكثير من هذه الطفيليات عن استغلال الزوار في الايام الأخيرة .

اما الاستاذ ستريك كاتب بحث المشهد في دائرة المعارف الاسلامية فيقول :

أنه كان يوجد على رأس الادارة في الحرم ، منذ القدم ، متولي باشي . وهذا ينبغي ان يكون من العوام ، وليس من السادة . ونظراً لطبيعة هذا المنصب وأهمية شاغله بصفته رئيساً لأعظم عتبة مقدسة في ايران ومسؤولاً عن مالية أعظم مؤسسة استثمارية ، فمن الطبيعي أن يكون التعيين لها شيئاً مشرفاً للغاية . ولما كان من المؤمل جداً أن يحصل نزاع على السلطة بين شاغل هذا المنصب ، وممثل السلطة الدينية ، وحاكم خراسان ، فقد نيطت الناحية الكتابية منذ أواسط القرن التاسع عشر بالسلطة المدنية في المنطقة بجعل مكتب المتولي باشي تابعاً للحاكم . ولما كان شاغل هذا المنصب يستفيد استفادة جلى من وظيفته ، لأنه يأخذ ١٠٪ من واردات الحرم وممتلكاته ، فقد حرم على الشخص الواحد أن يشغله أكثر من فترة معينة من الزمن تطول لعددٍ من السنين فقط .

وتساعد المتولي باشي ، على ما يقول الاستاذ ستريك ، هيئة من المتولين . وتنضوي تحت لوائه كذلك طبقة من رجال الدين الذين يعد المجتهدون ، بنفوذهم الواسع ومعرفتهم بشؤون الشرع وأحواله ، في المقدمة من بينهم . ويأتي بعد ذلك جيش الملائية الذين يقومون بمختلف الخدمات الدينية مثل القيام بالمراسيم الدينية وتدريس « طلبة العلم » ، والطواف بالزوار ، وما أشبه . وهناك عدد غير قليل من هؤلاء يعيشون على كتابة وثائق دينية رسمية مختومة بختم الامام تتطرق الى مختلف الامور ، ومنها الاجابة على ما يرد في العرائض التي يودعها الزوار في الضريح المقدس .

ممتلكات المشهد الرضوي وارداته

تو .ـد في المنطقة المقدسة من مدينة المشهد ، على ما يذكر في دائرة المعارف الاسلامية ، أغنى الأسواق وأكثرها ازدحاماً ومشغوليةً ، وأغنى المدارس الدينية في أوقافها ووارداتها ، وأكثر الخانات والمنازل أرباحاً وثروةً ، وأهم الحمامات واكثرها في الزبائن . وهذه كلها ، مع جميع البيوت والمساكن الموجودة في المنطقة ، تعد ملكاً صرفاً للامام (ع) ، والعلويين المدفونين هناك ،

الذين ينتسبون الى الطبقة الدينية التي تدير الحرم بالنيابة عنه . وتعود لهذه الجهة كذلك ممتلكات أخرى من الأراضي والمبـاني والقنوات في أيالات ايران الإخرى ، ولا سيما في الجوار القريب والبعيد لمدينة المشهد نفسها . ويضاف الى المبالغ الجسيمة والمنتجات التي ترد من هذه الممتلكات ، على شكل حاصلات وبدلات ايجار وما أشبه ، المدفوعات غير القليلة التي تقدم للمآتم والقبور والتي يدفعها الزوار وما أشبه . غير ان هذه المبالغ كلها تقابلها من جهة أخرى مبالغ ومصروفات تدفع للموظفين الكبار وغير الكبار وللخدم وغيرهم من المستخدمين ، والى ما يحتاجه الحرم الشريف من صيانة وترميم وأضاءة وزينة وغير ذلك .

ويقدم دونالدسون (الص ١٨٣) من جهة أخرى معلومات مفيدة في هذا الشأن ، برغم كونها قديمة في حالات كثيرة . فهو يقول ان نشرة خاصة نشرت سنة ١٩٠٠ ، ذكر فيها جميع الممتلكات التي تعود للمشهد الرضوي المقدس ، وكان ناشرها شخصاً يدعى عظيم الدولة . وهذه تدل على أن هبات كثيرة قدمت الى المشهد المقدس من ملوك ايران وحكامها المتعاقبين على شكل أملاك ، فمسكت لها سجلات خاصة تسمى « طومارات » . وفي هذه الطومارات تذكر الواردات السنوية بالنقد أو الحاصلات من الحقول الكثيرة والبساتين ، والدكاكين ، والحمامات ، والمطاحن ، وما أشبه وبرغم عدم وجود أرقام بمجموع الواردات في هذه النشرة فقد قُدّر مجموع الوارد السنوي من هذه الممتلكات بمقدار (٢٣٥,٠٠٠) پاون استرليني . ثم يقول دونالدسون ، ولكن إحدى الجرائد الايرانية نشرت بعد صدور هذه النشرة ما يفهم منه ان واردات هذه الممتلكات في (١٨٧٨) بلغ مجموعها (٢٥٠,٠٠٠) پاون . لكن ملك ايران الحالي (المقصود رضا بهلوي والد الشاه الحالي) قد نجح في أخذ ادارة جميع الأملاك والأوقاف الدينية في جميع البلاد وسلمها بيد الحكومة فكانت النتيجة ان أصبح المصرف الوطني الايراني نفسه يتولى الآن الشؤون المالية التابعة للمشهد المقدس . والمقول ان الواردات السنوية قد ازدادت بهذا

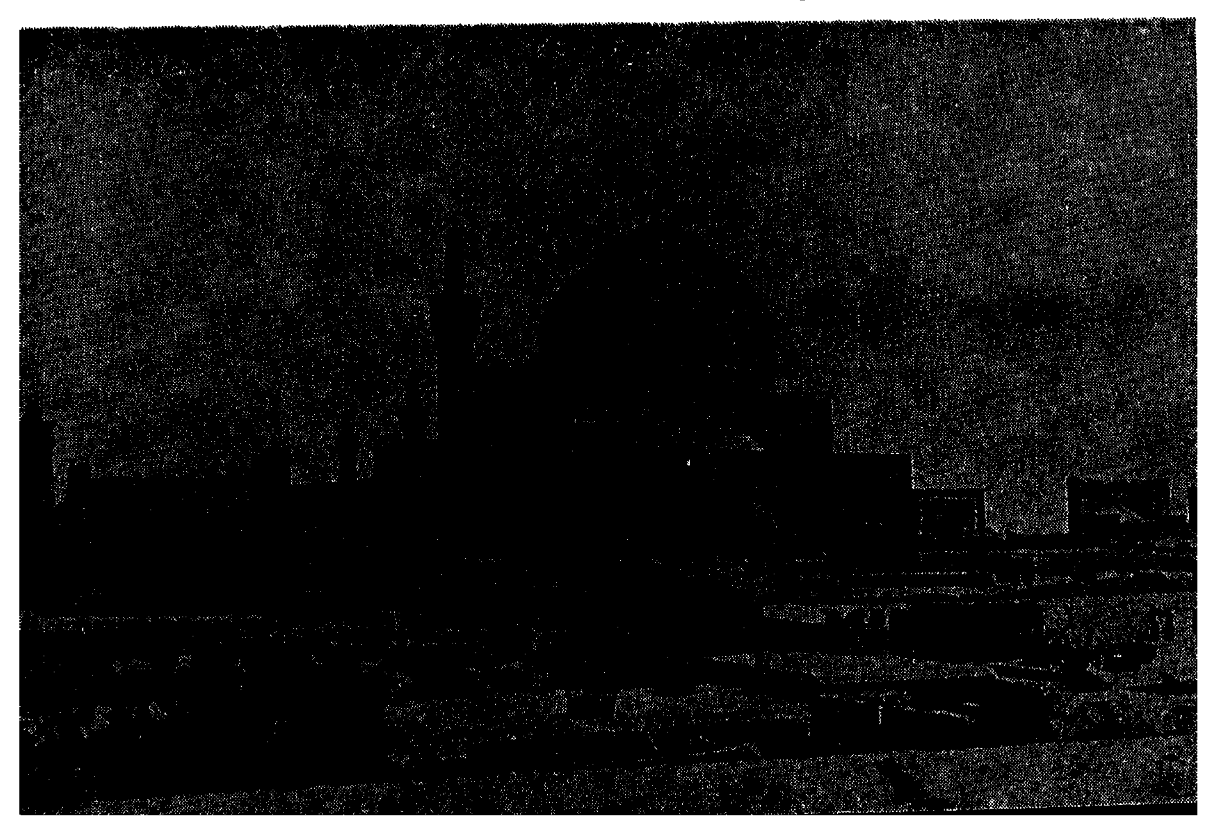
زيادة ملحوظة[1] .

مساجد المشهد وأماكن الزيارة الأخرى

ويذكر الاستاذ ستريك ، في دائرة المعارف الاسلامية ، ان مدينة المشهد غنية جداً بمساجدها المشيدة في البقعة المقدسة ، والمقابر ، والمدافن الخاصة . وترتبط هذه في الغالب بالمدارس الدينية وسائر الأبنية ذات الصبغة الدينيـــة

(١) وقد انتظمت ادارة الحرم الرضوي على عهد الشاه الحالي محمد رضا شاه بهلوي الذي ترجع السدانة اليه رأساً ويولى من قبله متصرف اللواء باسم نائب (التولية) فدخلت على الحرم اصلاحات جديدة من تعمير وترجيج وابنية حديثة كما وضعت انظمة تعين لكل موظف وخادم وظيفة ويعتبر اليوم الحرم الرضوي بهندسته الفنية وتحفه اغنى جميع العتبات المقدسة على الاطلاق ، وازخرها بالفن من حيث العمارة والزينة والعلائق الثمينة — الخليلي .

جامع كوهر شاد كما يشاهد في القرن الثامن عشر



الخاصة . وهنا يجب ان يذكر كذلك « المصلى » الذي يقوم على بعد نصف ميل من باب الشارع الأسفل (پايين خيابان) على طريق هراة . وهو عبارة عن ايوان يرتفع الى علو ثلاثين قدماً ، ويؤدي الى طاق جسيم يعلو الى ارتفاع ستين قدماً .

ويعد جامع (كوهر شاد) أفخم جامع في المنطقة المقدسة وأجملها بناءً وزخرفةً . وقد تبرعت ببنائه السلطانة گوهر شاد زوجة السلطان شاهرخ من أبناء تيمورلنك . ويشابه صحن هذا الجامع الصحن القديم في المشهد الرضوي ، فهو يمتد من الشمال الى الجنوب بطول مائة ياردة تقريباً وعرض تسعين ياردة . ويعترض طول كل ضلع من أضلاعه الأربعة ايوان جميل ، بينما يمتد في الجدران الممتدة في جهتي كل ايوان من هذه الأواوين صف من الأروقة المعد كل منها للسكنى . وأكبر وأجمل الأواوين الأربعة الموجودة في هذا الجامع هو « ايوان المقصورة » الواقع في الضلع الجنوبي ، ويستعمل للصلوة . وتعلو ايوان المدخل في هذا الجامع قبة زرقاء تفوق قبة الامام الرضا في علوها وعرضها وتقوم بجانبها منارتان مرتفعتان مكسوتان بقاشاني مزجج أزرق . ويشغل وسط الصحن « مسجد پيرزن » او « مسجد المرأة العجوز » ، وهو عبارة عن بقعة غير مسقفة ، مربعة الشكل ، محاطة بدرابزين خشب يجري من حوله الماء في قناة صخرية عميقة .

ويقول دونالدسون (الص ١٨٢) عن جامع گوهر شاد هذا أن مساحته كله ، بما فيه الصحن ، تبلغ ١٨١ × ١٦٤ قدماً . وله قبة فخمة زرقاء اللون ، تقوم بجانبيها منارتان مزينتان بالقاشاني الأزرق ، وترتفعان مع القبة الى علو (١٤٠) قدماً ، وارتفاعها ٨٧ قدماً ، وهناك في كل جانب من هذا الممشى الكبير غرف تسمى « أماكن الليل »[1] . وهكذا لا يختلف الجامع بشكله عن شكل الكنيسة بكثير ، فيما عدا وجود الجبهة الكبيرة المكشوفة فيه ، مع طاقه

(١) المظنون ان المقصود به هو (شب نشيني) أي المنتديات أو المجالس الليلية .

ومنارتيه المزخرفتين بأشكال معقدة دقيقة بحيث يتكون منها تناسق مبهج من الألوان . وعلى القبة الجسيمة المكسوة بالقاشاني الأزرق ، الذي تتغير صبغته بتبدل النور على ما يبدو ، تلاحظ كتابة شعار المسلمين المعروف : لا اله الا الله محمد رسول الله . وقد نقشت في قاعدة القبة الكبيرة اول (٣٩) آية من سورة ياسين التي يعيرها الشيعة أهمية خاصة .

وفي وسط صحن المسجد توجد منصة مرتفعة مساحتها ٣٧ قدماً مربعاً ، وهي محاطة ببركة من الماء في كل جانب من جوانبها . وهذه تسمى « مسجد المرأة العجوز » ، تخليداً لذكرى امرأة عجوز يزعم أنها بقيت مدة من الزمن تمتنع عن بيع هذه القطعة من الأرض بالذات .

ومن الأماكن الصغيرة التي يزورها الزوار في الحرم الرضوي الشريف لا بد من ان نذكر اثنين منهما هنا ، على ما تقول دائرة المعارف الاسلامية . وأولهما : « زيارة قدم مبارك » التي تسمى أيضاً « جاسنك چهارپا » ، وهي عبارة عن فسحة مدورة تغطيها قبة تقع في شرق الايوان الشماني في جامع كوهر شاد . وفي هذه الفسحة تشاهد قطعة حجر بيضوية الشكل رمادية غامقة في لونها . يقال أن فيها اثراً منطبعاً لقدم الامام الرضا (ع) . اما الشيء الثاني فهو عبارة عن عمود حجري طويل نُحت فيه حوض ماء ، ويعتقد أنه نيزك نزل في هذا المكان من السماء بصفة قطعة حجر لا شكل لها .

المدارس الدينية

جاء في دائرة المعارف الاسلامية (المختصرة) ان مدينة المشهد تعد مركزاً للدراسات الاسلامية الدينية والشرعية في ايران ، وقد تخصص عدداً من الكليات أو المدارس الدينية لتدريس هذه المواضيع فيها . ويذكر في هذا المرجع ان الرحالة فريزر يورد في رحلته قائمة بأربع عشرة مدرسة من المدارس الست عشرة الموجودة فيها اليوم ، وان المستشرق خانيكوف يذكر ثلاث عشرة منها ، وان السيد مهدي العلوي يذكر في مؤلفه عن المشهد الرضوي ان المشهد

كانت فيه عشرون مدرسة دينية ، ولا يورد الا أسماء خمس عشرة فيها ..

ويلاحظ من هذه المراجع التي يتمم بعضها بعضاً ان أقدم مدرسة من المدارس الموجودة حتى اليوم هي « مدرسة دودر » ، التي شيدها سنة ٨٢٣ (١٤٢٠ م) شاه رخ ورمم بناءها سليمان الأول . وقد بنيت في عهد السلطان نفسه « مدرسة پريزاد » ، فأعاد بناءها وغيّر شكلها بعده سليمان الأول أيضاً . ثم شيدت في عهد الشاه عباس الثاني مدرسة « خيرت خان » (١٠٥٨ / ١٦٤٩ م) ومدرسة « مرزا جعفر » (١٠٥٩ / ١٦٥٠) . على أن غالبية المدارس الدينية القديمة ، التي لا يقل عددها عن تسع ، تعود في تاريخها الى عهد سليمان الأول الذي أعاد بناء بعض الأبنية لها (١٦٦٦ – ١٦٩٤ م) . اما في عهد القاجاريين ، فقد تأسست واحدة في أيام فتح علي شاه واثنتان في أيام ناصر الدين شاه الذي أعاد أيضاً بناء مدرستين كانتا قد تهدمتا من قبل .

وأجمل مدرسة من ناحية الفن المعماري هي مدرسة (مرزا جعفر) ، التي بناها وأوقف لها أوقافاً كثيرة رجل ايراني يحمل هذا الاسم كان قد جمع ثروة كبيرة في الهند . وهي تعتبر بوجه عام في المرتبة الثالثة بين الأبنية الجميلة في المشهد ، أي أنها تأتي بعد المشهد الرضوي المقدس وجامع گوهر شاد . وهي بتصميمها وأواوينها المقبية ، وبفنائها وأروقتها وزخرفتها ، تتجانس مع طراز الأصحنة والمساجد الموجودة في البقعة المقدسة المار وصفها آنفاً ، فتعد نموذجاً لفن العمارة الاسلامي في ايران . وهناك مدارس أخرى لها أوقاف كثيرة غير مدرسة مرزا جعفر ، مثل مدرسة « پايين پا » ، يرجع الفضل في تشييدها الى الايرانيين الذين جمعوا ثروات جسيمة في الهند . وأهم هذه الكليات أو المدارس الدينية ، التي توجد في منطقة البسط . هي المدارس التي مرت الاشارة الى كونها أقدم مدارس المشهد اي مدرسة (دودر) ومدرسة (پريزاد) و (خيرت خان) ، وكذلك مدرسة (بالاسر) ومدرسة (علي نقي مرزا) وبعض المدارس الدينية مثل مدرسة مرزا جعفر المار ذكرها ، ومدرسة مستشار ، لها أبواب تتصل بالصحن القديم التابع لمنطقة الحرم .

ويعيش الطلاب أيضاً في المدارس الدينية نفسها ، فيصرف على إعاشتهم من الأوقاف الدينية . واذا كان عدد الطلاب قليلاً ، ونوعية المدرسين الممتازين معدومة في أيام المستشرق خانيكوف (١٨٥٨) ، فقد ارتفعت سمعة مدارس المشهد الدينية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على ما يستفاد مما كتبه سايكس سنة ١٩١٠ في كتابه (مجد العالم الشيعي) [1] ، حتى بلغ عدد طلبة العلم فيها (١٢٠٠) طالب من ايران والهند وسائر البلاد الشيعية . وكان يتحتم على الطالب الذي يرغب في الدراسة الدينية العالية ، بعد دراسة تسع سنوات في المشهد ، ان يذهب الى مشهد علي (النجف الأشرف) ويتلقى المحاضرات فيها على رجال يعدون في الدرجة الأولى بالعلوم الدينية .

وهناك عدد من مدارس المشهد الدينية توجد فيها مكتبات لا بأس بها . وقد أسس شاه رخ المكتبة العائدة لادارة الحرم في النصف الأول من القرن الخامس عشر . لكن النفائس الموجودة فيها فقدت معظمها حينما نهب الأوزبك مدينة المشهد في عهد عبد المؤمن خان (١٥٨٩) . ومنذ سنة ١٩٢٦ أخذت تظهر نشرة خاصة عن مخطوطات المشهد بعنوان « فهرست كتابخانه مباركه آستان رضوي » ، فظهرت الأجزاء الثلاثة الأولى في سنة ١٣٠٥ ﻫ ، ثم طبع الجزء الرابع في ١٣٢٥ (١٩٤٦ م) . ولا بد لنا هنا من أن ننوه بنشاط الطباعة[2] في المشهد ، الذي بدأ في العقد الأخير من القرن التاسع عشر .

الإمام الرضا

اتمد أفرد الدكتور دونالدسون فصلاً [3] خاصاً ، كتب فيه بشيء من التفصيل عن

---

(١) Sykes, Sir Percy — The Glory of the Shia World (London 1910) الص ٢٦٧

(٢) تراجع المراجع : Browne, E. G — The Press of Poetry of Modern Persia (Cambridge 1914).
— Literary History of Persia (Cambridge 1928)

(٣) الفصل الخامس عشر ، الص ١٦١ — ١٧٠ .

الامام الرضا عليه السلام، وعنونه بعنوان «علي الرضا، الامام المتورط بالسياسة».

ويبدأ بحثه هذا بمقدمة تاريخية وجيزة يقول فيها ان هارون الرشيد قضى على نفوذ البرامكة بقسوة متناهية، وأصبح الفضل بن الربيع، المحب للعرب والكاره للايرانيين، وزيراً من جديد. وكان الحرب العربي كثير التوق الى ان يخلف هارون الرشيد في الخلافة ابنه الأمين من بين الأخوين الأمين والمأمون، لأنه كان عربياً خالصاً في أصله بينما كان أخوه المأمون من أم ايرانية هي الجارية مراجل. لكن هارون الرشيد كان يعترف بقابلية المأمون وأرجحيته للحكم. ولما كان يخشى ان تنقسم الأمبراطورية الاسلامية على نفسها بعد انتقاله الى الآخرة كانت تساوره على الدوام حيرة تنم عن تخوفه من اختلاف ابنيه من بعده وانقسام الامبراطورية لهذا السبب. ولأجل ان يحول دون هذا الانقسام في حياته بعث ذات يوم بجلاده مسرور ليأتي اليه من السجن بيحي البرمكي، الذي شعر بحاجة الى مشورته. فأخذ يشرح له ما في فكره ويقول: .. يا أبا الفضل، ان رسول الله (ص) مات في غير وصية والاسلام جذع، والايمان جديد، وكلمة العرب مجتمعة، قد آمنها الله تعالى بعد الخوف، وأعزها بعد الذل، فما لبث ان ارتد عامة العرب على أبي بكر، وكان من خبره ما علمت، وان أبا بكر صيّر الأمر الى عمر، فسلمت الأمة له، ورضيت بخلافته، ثم صيرها عمر شورى، فكان بعده ما قد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير أهلها، وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من أرضى سيرته، وأحمد طريقته، واثق بحسن سياسته، وآمن ضعفه ووهنه، وهو عبد الله (المأمون)، وبنو هاشم مائلون الى محمد (الأمين) بأهوائهم، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه، والتصرف مع طويته، والتبذير لما حوته يده، ومشاركة النساء والأماء في رأيه، وعبد الله المرضي الطريقة، الأصيل الرأي، الموثوق به في الأمر العظيم، فان ملت الى عبد الله اسخطت بني هاشم، وان أفردت محمداً بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية [1].

---

(١) آثرنا نقل النص الاصلي عن مروج الذهب للمسعودي على ترجمة ما ذكره دونالدسون.

وعلى ، ففي السنة ١٨٣ للهجرة ، وهي السنة التي دبر فيها مسرور نفسه القضاء على حياة الامام موسى الكاظم (ع) في سجن السندي بن شاهك ، أعلن هارون الرشيد للملأ تعيين الأمين خليفةً له في بغداد « مع حماية الحرمين الشريفين وزعامة الاسلام الروحية » ، على ان يحكم المأمون الأقاليم الشرقية التي يكثر فيها وجود الايرانيين ، وتكون عاصمته في مرو . وفي حالة وفاة أحدهما يتولى الباقي منهما حكم الامبراطورية بأجمعها [١] .

وبعد تسع سنوات ، أي في ١٩٢ للهجرة ، توجه الرشيد الى خراسان وفي معيته ابنه المأمون . فقد كانت تحدث هناك ثورات متتالية ، وكان التبرم منتشراً في خراسان ، ولذلك كان هدف الرشيد من رحلته هذا ان يقضي على هذه الحالة ويثبت المأمون في منطقته الجديدة . وبقي الأمين في العراق ، لكن صديقه المتيقظ الفضل بن الربيع ارتحل مع الرشيد بينما كان في صحبة المأمون مستشاره الرئيس الفضل بن سهل .

وبعد ان ساروا في هذه السفرة الطويلة المتعبة وقطعوا جبال البرز بطولها ، ثم عبروا الممر في البلدة المسماة شريف آباد اليوم ، وصلوا الى نوقان أكبر بلدة في منطقة طوس . وهنا أُصيب الرشيد فجأةً بمرضٍ خطير ، وقضى نحبه في الليلة نفسها . وربما كانت وفاته هذه ناتجة عن الاجهاد الشديد الذي أصابه خلال الرحلة ، في الوقت الذي كان يخفي فيه عجزاً جسمياً كان يشكو منه من قبل . أو انه ، كما يرى البعض ، قد أُصيب بنوبة قلبية عصبية حينما أدرك بأنه وصل مريضاً الى طوس التي تنبأ له المتنبئون من قبل أنه سيموت فيها . فدفن في بستان تقع في مكان يقال له سناباذ ؛ على بعد ميلٍ واحد من نوقان . فتوجه بعد وفاته الفضل بن الربيع راجعاً الى بغداد في الحال ، ثم أمر الجيش الذي صادفه قادماً مع الامدادات في الطريق بالعودة أيضاً .

غير ان المأمون غضب غضباً شديداً لارتداد الفضل بن الربيع ، لكنه

---

(١) مر هذا الخبر بشيء من التفصيل في صدر بحث (خراسان قديماً) من هذا الجزء – الخليلي .

كان الى جانبه الفضل بن سهل الذي كان اخلاصه للجانب الايراني لا يدانيه الا كرهه لسميه وزير الأمين . فأشار هذا الرجل على سيده بأن يتهيأ للنزاع الحاسم ، لأن أخاه كان يقصد بحرمانه من الجند في الحقيقة القضاء على توليه الحكم من بعده بالنحو الذي كان والدهما قد قرره . وذكّره كذلك بالدور الفعال الذي كانت ايران قد لعبته في تسليم الخلافة للعباسيين في أيام أبي مسلم الخراساني ، ثم حثه على تقوية مركزه باسترضاء الايرانيين ، والعمل بعد ذلك على أخذ السلطة كلها بيده[١] .

وعلى هذا وطد المأمون السلم في خراسان ، والتفت التفاتاً خاصاً للتقرب من رعاياه في ذلك الاقليم . وتمسك في الوقت نفسه تمسكاً تاماً بالعهد الذي كان قطعه على نفسه بين يدي والده في مكة ، واعترف بخلافة أخيه الأمين . لكن الفضل بن الربيع ما أن وصل بغداد حتى أخذ يقنع الأمين بتجاهل ما تعهد به هو نفسه بين يدي أبيه ، فيعين ابنه موسى ليخلفه بدلاً من المأمون . وقد تم ذلك بالفعل سنة ١٩٤ للهجرة . وبسبب هذا التحرش أخذ المأمون يتأهب لسوق جيوشه من خراسان ليحافظ على حقه الخاص بالخلافة . وكانت هذه الجيوش ، التي يوازرها الألوف من الايرانيين الذين كانوا يفضلون المأمون على الأمين ، بقيادة القائدين القديرين هرثمة وطاهر .. وبلغت المعركة أوجها في حصار بغداد الذي كان طويلاً صعباً (١٩٦ — ١٩٨ هـ) لم ينته الا بارسال رأس الأمين من قبل طاهر بن الحسين الى خراسان « برهاناً على ان الحرب قد انتهت في الحقيقة » .

ومع ان المأمون قد أعلن خليفةً للمسلمين في هذا الوقت تنفيذاً للعهد ، الذي قوي أمره بانتصار جيوشه ، فانه لم يجرأ على العودة الى بغداد بنفسه

---

(١) رجع دونالدسون في هذا الشأن الى المرجع التالي :
Palmer, E. H — Haroun AlRachid, Caliph of Baghdad (London 1881).

الا بعد مرور ستة عوام . وفي خلال هذه المدة استمر على الخضوع الشديد لنفوذ وزيره الفضل بن سهل ، الذي كانت ميوله الايرانية والشيعية معروفة للجميع . وأخيراً فكر بخطة ديبلوماسية بارعة ، في نظره ، وهي ان يحاول ترضية الشيعة بتسمية امامهم ليكون وريثه في الخلافة .

وكان امام الشيعة في ذلك الوقت علي الرضا بن الامام موسى الكاظم عليهما السلام . وقد كانت أمه هو أيضاً أم ولد ايرانية اسمها تكتّم ، إذ كانت السيدة حميدة نفسها قد اختارتها هي لابنها موسى الكاظم . ويروي المرجع الذي يورد هذه الرواية وهو (المجلسي) ان الرضا كان في طفولته يتطلب كثيراً من الحليب ، وحينما سئلت أمه عما اذا كان حليبها قد قل أجابت تقول : ان حليبي في الحقيقة لم يكن غير كاف ، لكنه هو كان يريده على الدوام بحيث أني أجد صعوبة في توفير الوقت الكافي للصلوة . ويقول دونالدسون بعد ذلك ان والده ، بنسائه الكثيرات وأبنائه الثمانية عشر وبناته التسع عشرة كان يهمل سجلات أسرته على ما يبدو لأن سنة ولادة الامام الرضا يضعها عدة مؤرخين في سنة متأخرة أي في سنة ١٥٣ هجرية ، لكن التاريخ المقبول عند الشيعة المؤرخين بأجمعهم هو ١١ ذو القعدة سنة ١٤٨ هجرية . ولذلك يكون عمره عندما تولى الامامة في المدينة بعد وفاة والده عشرين أو خمساً وعشرين سنة ، وبعد ذلك بثماني عشرة سنة كان الخليفة غير واثق من ميل الناس له في العراق بحيث فكر في ان يتقرب من الفئات الشيعية الكثيرة الموجودة فيه بتعيين الامام علي الرضا خلفاً له في الخلافة .

وقد كان الخليفة المأمون يومذاك بعيداً في مرو فأرسل يستقدم علياً الرضا من المدينة الى مقره العسكري البعيد . فلبى الامام دعوة المأمون ، وتحرك من المدينة سنة ٢٠٠ للهجرة ، مبتدءاً برحلته الطويلة الى مرو التي كانت تعد في تلك الأيام الزاوية الشمالية الشرقية المتطرفة من ايران . وبعمله هذا تخلى الامام عن الخطة التي كان قد اتبعها أسلافه الأئمة الثلاثة في هذا الشأن ، لان الامام لا يمكن ان يكون ولياً للعهد في الخلافة ما لم يصبح متورطاً بشدة في السياسة .

على أنه جاهد في تفهيم الناس بأن ذلك لم يكن يتفق ورغبته، وانما كان يفعل بموجب ما دعي اليه .

ويفهم من قائمة المعجزات الطويلة التي تنسب اليه عليه السلام أنه كان رجلاً مفكراً محبوباً. وهنا يملأ دونالدسون صفحة كاملة بسرد المعجزات التي يشير اليها . ثم يقول بعد ذلك ان الامام قبل ان يبدأ بسفرته الطويلة المضنية من المدينة المنورة الى مرو أدى حجة الوداع في مكة ، ثم توجه الى البصرة بحيث يمكنه الوصول الى بغداد من دون ان يمر بالكوفة (نقلاً عن الكليني) . ثم سار من بغداد شمالاً فعبر الممرات الجبلية في الجبال العالية الى كرمنشاه فهمدان . وسافر من هناك بمراحل قصيرة الى الري ، القريبة من موقع طهران اليوم . وسارت القافلة المستأنية من هناك ، وهي تحمل نور محمد المتجسد في ابنه ، نحو الشرق مدة تنهاهز الشهر حتى وصلت الى مدينة طوس . ومن طوس سار الركب الى مدينة مرو الكائنة فيما يسمى بالتركستان الى يومنا هذا . ومن الممكن ان يكون الامام (ع) قد سافر على مهل وقطع المسافة بأكثر مما تستغرقه القافلة من الوقت عادةً ما بين بغداد ومرو ، لأنه استقبل باحتفاء مشهود في كل مكان فتأخر كثيراً لهذا السبب .

وحينما وصل عليه السلام الى مرو وجد الخليفة مصراً على رأيه ، لكنه عامله بحفاوة بالغة ، ووضع تحت تصرفه منزلاً باذخاً . ويذهب الكتاب الشيعة الى انه أجبر على قبول ما عرضه المأمون عليه ، لكنه افصح عن تفضيله الأكيد لأن يكون في حل عن واجبات الأدارة الدنيوية . وقد أعلن ولياً لعهد المأمون رسمياً في يوم ٢٧ رمضان سنة (٢٠١) للهجرة على ما يذكر اليعقوبي . ثم أمر الخليفة بسك اسم الامام مع اسمه على عملات الذهب والفضة . وكان هذا يعني ، على ما يقول دونالدسون ، أكثر من مجرد إشغال الأمام للمنصب الرسمي في الحقيقة لأن المأمون دعا بني العباس رجالاً ونساءً ليجتمعوا به في مرو . فكان اجتماعاً كبيراً حافلاً حضر فيه ثلاثة وثلاثون ألف شخص ، من البالغين والأطفال . وبعد ان اكتمل عقد الحضارة دعى الخليفة الامـــام

الرضا (ع) وأجلسه في المكان الشرفي ما بين أعظم النبلاء وأشرفهم منزلة. ثم أعلن للذين حضروا بانه تأمل بعناية في أحوال بني العباس، وبني عليّ، جميعهم فلم يجد بينهم رجلاً أكثر لياقةً وأشد استحقاقاً ليخلفه في الخلافة من علي الرضا. ولذلك أخذه بيده وأعلنه خلفاً له على ملأ من الحاضرين (الكليني). وبعد هذا زوجه من ابنته أم حبيبة. وبعث المأمون الى الخارج أيضاً بأوامره في ترك السواد في الألبسة والرايات واستعمال الخضرة في مكانه. وكان اللون الأخضر لون آل علي بينما كان الأسود لون بني العباس.

ولا شك أن هذا العمل الخطير قد نقلت تفصيلاته الى الحزب العربي في بغداد، الذي كان ناقماً على المأمون منذ مدة طويلة. فأدركت فروع الأسرة العباسية في العراق ان هذا التعيين سيحرمهم مما عندهم من سلطة رئيسية على أكثر الاحتمال. ولذلك اجتمعوا سويةً فقرروا خلع المأمون ومبايعة عمه ابراهيم بن المهدي خليفةً للمسلمين. وكان ذلك في الخامس محرم الحرام سنة ٢٠٢ للهجرة.

وحينما كان الامام الرضا مع المأمون في مرو نظم الفضل بن سهل مؤتمراً دينياً دعا اليه رؤساء الطوائف المختلفة. بما فيهم الزردشتية والنصارى واليهود. لأجل أن يستمعوا إلى ما يقوله الأمام ويستمع هو إلى ما يمكن ان يوردوه هم من أقوال أيضاً. فأدى الاجتماع الأول الذي كان يجلس فيه الأمام بجنب المأمون. الى عقد اجتماع آخر بعده. وقد خصص أحد هذين الاجتماعين للبحث في موضوع التوحيد. فأدار الجدل فيه عالم من علماء خراسان يومذاك يدعى سليمان المروزي. وتناول الاجتماع الآخر عصمة الأنبياء، فتولى الأجابة على قول الأمام في هذا الشأن علي بن محمد بن الجهم. فأدى ذلك الى عقد اجتماع آخر بحث خلاله في الموضوع نفسه وأسهم الخليفة المأمون بمقدار غير يسير من المناقشة. ومن المؤسف ان يكون ما عندنا من أخبار هذه الاجتماعات التي تسجلها المراجع الشيعية. لم يكتب الا بعد مرور ما يقرب من مئتي سنة عليها. ويتضح انه من السهل على الكاتب. ابن بابويه (٤٣١ هـ) بعد مرور هذا الوقت الطويل ان ينسب أقوالاً مناسبة للأمام ولا يخترع أجوبة

تنطوي على الذكاء من معارضيه اليهود أو النصارى أو الزردشتيين . ومن المحتمل ان يكون ثيودور أبو قره ، كاهن حران ، هو الجاثليق غير المعروف الوارد ذكره في أخبار هذه الاجتماعات ، وان يكون ما ذكره عن المجادلة في حضور الخليفة المأمون شيئاً صحيحاً . على ان الخبر الذي يورده يظهر ضعف معارضي الأمام كما يظهر ابن بابويه ايضاً ، كما ان ما يرد فيه عن التوراة والانجيل يعتبر شيئاً غامضاً .. ويلاحظ من سرد دونالدسون لهذا القسم من البحث أنه يحاول التشكيك في مقدرة الأمام على الخوض في هذا المضمار على الرغم من تواتر الاخبار واقوال المؤرخين بقدرة الأمام العلمية حتى لقد جوزوا ان ينسبوا له المعجزات .

ولم يكن بوسع الأمام على كل حال ان يبقى في مرو أكثر من سنة واحدة ، لأن المأمون حينما سمع ان عمه ابراهيم قد بويع بالخلافة في بغداد قرر ان الوقت قد حان له بأن يعود من خراسان الى بغداد ليؤكد حقه في الخلافة بنفسه . ولذلك شرع في السنة نفسها بالتأهب للعودة الى العراق (٢٠٢ هـ) . وكان بصحبته ، كما يؤكد اليعقوبي ، الامام الرضا ولي عهده والفضل بن سهل الذي كان يسمى بذي الرياستين ، اي الوزير والقائد العام . لكنهم عندما وصلوا الى بلدة سرخس قتل الوزير الذي كان في نفس المنزل مع المأمون ، في حمامه من قبل غالب الرومي وسراج الخادم اللذين كان معهما عدد آخر من الموازرين . فقتل المأمون جميع الذين كان لهم ضلع في المؤامرة على كل حال ، الأمر الذي يؤيد فكرة ان السبب في ذلك يعزى الى الحسد الذي كان يساور نفوس الفئات العربية تجاه القتيل ، وليس الى تدبير المأمون نفسه نظراً لأن الفضل كان يخفي عنه الأخبار السيئة عن الوضع العسكري في العراق . وفي خلال يوم أو يومين وصل الجيش الى منطقة طوس ، فانتقل الامام الرضا الى الرفيق الأعلى في قرية تسمى نوقان في غرة سنة ٢٠٣ للهجرة . ويقول اليعقوبي ، الذي يورد وجهة نظر الشيعة ، ان مرضه عليه السلام لم يطل أكثر من ثلاثة أيام . وقد

روي أن علياً بن هشام كان قد قدم له رمانة مسمومة . على أن المأمون أبدى كثيراً من الحزن والأسى في مأتم الأمام الرضا ، لكن المسعودي يقول ان وفاة الأمام الرضا كانت بسبب عنبٍ أكثر من أكله ، على ان البعض يقول ان هذا العنب كان مسموماً .

ونذكر في الآتي رواية المسعودي حرفياً في هذا الشأن : وقبض علي بن موسى الرضا متوفياً لعنبٍ أكله وأكثر منه، وقيل أنه كان مسموماً ، وذلك في صفر سنة ثلاث ومئتين ، وصلى عليه المأمون وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وقيل سبع وخمسين سنة وستة اشهر . وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومئة للهجرة . وكان المأمون زوّج ابنته ام حبيبة لعلي بن موسى الرضا ، فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن علي بن موسى (الجواد) والأخرى تحت أبيه علي بن موسى . أما رواية المسعودي عن قتل الفضل بن سهل فهي : وفي سنة اثنتين ومئتين قتل الفضل بن سهل ذو الرئاستين في حمام غيلةً ، وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان ، وذلك في دار المأمون ، في مسيره الى العراق فاستعظم المأمون ذلك وقتل قتلته ، وسار الى العراق .

صورة خيالية قديمة تصور أخذ الإمام الرضا العنب المسموم من يد المأمون



ثم يقول دونالدسون ان ابن بابويه يورد اسباباً مختلفة أدت بالمأمون الى ان يدس السم الى الأمــام الرضا . ويبين أيضاً الظروف التي سمى فيها ابنه محمداً ليخلفه في الأمامة (الجواد) .

وينهي دونالدسون فصله عن الأمام الرضا بقوله :.. وهكذا توفي الأمام علي الرضا فدفن غريباً بعيداً عن المدينة ، موطن آبائه آل بيت النبي . وفي سناباذ الواقعــة على بعد ميل عن

القرية التي قضى نحبه فيها وضعوه في لحد داخل قبر اشهر الخلفاء العباسيين ، لأن المأمون كان قد دفن والده هارون الرشيد في هذه البقعة نفسها من البستان قبل عشر سنوات . فوقف في هذا الوقت ، خلال عودته المتأخرة الى بغداد ، في المكان نفسه وصلى على الأمام الذي كان من المؤمل ان يجعله خليفةً من بعده .

اما الدكتور جون هوليستر فيذكر في (شيعة الهند) [1] معظم ما يذكره دونالدسون من النقاط عن الأمام الرضا عليه السلام ، مع شيء من الاختلاف والزيادة . فهو يقول ان أئمة الشيعة الاثني عشرية ظلوا في منأى عن النشاط السياسي في الامبراطورية الاسلامية مدةً تناهز مئة وأربعين عاماً . ومع ان ان الامام الرضا كان يصر على عدم رغبته في التورط بهذا الميدان ، فانه يقول انه فعل ذلك إطاعة لأوامر الخليفة الصادرة اليه . وبذلك اصبح بطلاً في الدراما التي أدت الى ان يلقب بالأمام « المتورط بالسياسة » . وعلى كلٍ فقد قارب الرضا ان يحقق ما كان الأئمة من أسلافه يدعون بحقهم فيه ، سواء بالتخطيط المتعمد المتكتم او بطريق القدر والقسمة .

وكان المأمون ، بن الرشيد ، قد وطد الملك لنفسه حتى أصبح المهيمن الوحيد على امبراطورية بني العباس بدحر أخيه الأمين في الحرب . كما كان وزيره الفضل بن سهل قد كسبته الجهات الشيعية الى جانبها حينما زار بغداد ذات مرة ، وكان ذلك بتأثير الأمام موسى الكاظم او الأمام علي الرضا نفسه ، وبهذه الطريقة أصبح الخليفة أيضاً مهتدياً بالعقائد الشيعية وميالاً الى طائفة الشيعة . وربما كان الدافع الذي دفع المأمون الى ان يرشح أمام الشيعة ليكون خليفةً من بعده رغبته في ان يقوي مركزه السياسي في الغرب حيث كان مركز أخيه الأمين قوياً ، وذلك باسترضاء الشيعة

---

(١) Hollister, Gohn Norman — The Shi'A of India (Luzac, London 1953) الص ٨٠ – ٨٤ .

وجلبهم الى جانبه ، أو رغبته في ان يجمع أهل السنة والشيعة في صعيد واحد فيكوّن منهم جبهة قوية يعتز بها الأسلام .. ثم يذكر هوليستر كيفية مفاتحة المأمون له بتولي الخلافة رأساً في بادىء الأمر ورفضه عليه السلام لها طالما كان الله قد قدر ان تؤول الى المأمون بعد قتل أخيه الأمين . كما يذكر قصة دعوة المأمون لبني العباس وجمعهم ، ثم اعلان الأمام ولياً للعهد على ملأ منهم ، وقصة تبديل السواد باللون الأخضر شعار العلويين ، وتزويج الأمام بابنة المأمون ، وسك اسمه على العملة الى جنب اسم الخليفة نفسه .

ويشير هوليستر كذلك الى ما كان من أمر بني العباس في بغداد ، وقيامهم بخلع الخليفة وتنصيب عمه ابراهيم في مكانه . لكنه يشير الى ان الفضل بن سهل وزير المأمون كان يخفي حصول هذه التطورات عنه فاضطر الى ان يزيله عن طريقه ويدبر قتله ، ثم يأمر بأعدام القتلة ليخفي معالم الجريمة التي ارتكبها في هذا الشأن . ويقول بعد ذلك ان توتراً كان قد حصل بين الخليفة والأمام ، وصار يزداد شيئاً فشيئاً حتى بات الأمام يعتقد بدنو أجله . وقد حصل ذلك بالفعل ، لكن هوليستر يقول ان كيفية قتل الأمام عليه السلام تختلف الروايات فيها ، لكن المدونات الشيعية تقول « ان الأمام قد سمه المأمون عليه اللعنة »[1] . وبعد ان تخلص المأمون من الأمام والفضل بن سهل استقبل في بغداد بحفاوة .

وقد دفن علي الرضا في بستان يقع في قرية سناباد بالقرب من قبر هارون الرشيد . والمقول ان مكان القبر ظل منسياً لعدة أجيال بعد ذلك حتى حدث ذات يوم ان خرج للصيد بالقرب منه ابنٌ من ابناء وزير السلطان سنجر في طوس ، فتوقفت فرسه على مقربة من مكان القبر وحرنت عن السير . ولذلك اضطر ابن الوزير الى الترجل ، ثم دخل المبنى الخرب وصلى فيه على الأمام

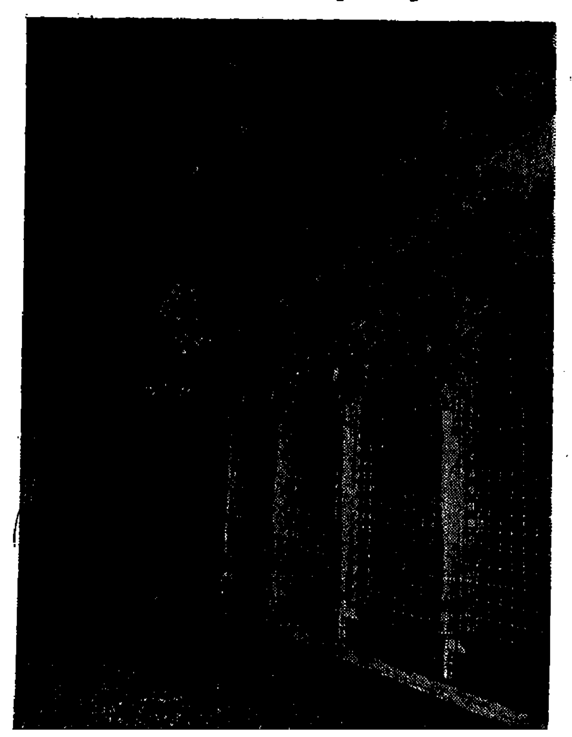
(١) ينقل هوليستر هذه الجملة عن كتاب المؤلف الهندي فيضي المطبوع بعنوان :
AShûte Creed.

فشفي من مرض كان يشكو منه في الحال . فأدى ذلك الى ترميم المشهد الخرب وتعميره ، وعظم امره بعد ذلك حتى صار المعنيون بالأمر يحافظون عليه باستمرار ويوسعون في ابنيته والمرافق الملحقة به .

ويذكر هوليستر بعد هذا ان المشهد الرضوي قد ألحقت به مكتبة عامرة تضم كتباً كثيرة في تفسير القرآن على الطريقة الشيعية ، على ما يقول ، فضلاً عن الكتب الأخرى في أخبار الشيعة وتاريخهم وعقائدهم التي تستحق الدراسة بعناية واهتمام . وأصبح الضريح بعد ذلك محجاً رئيسياً للزوار الشيعة ، وصارت البلدة التي توسعت من حوله تسمى « المشهد » .. وهناك خط منتظم للسيارات ينقل الزوار من الهند اليه بصورة مستمرة ، لأن زيارة هذه الروضة تعد من الأمنيات الكبيرة عند بعض الناس وهناك كثيرون ممن يفعل ذلك .

وقد تولى الرضا الأمامة منذ سنة ١٨٣ الى سنة ٢٠٣ هـ . وكانت امه أم ولد أيرانية ، كما كانت بشرته سمراء اللون . ويوصف بكونه رجلاً مؤدباً رقيق الحاشية حلو الشمائل ، يتخذ موقفاً ودياً مع الجميع ، رحيماً سخياً مع خدامه . كما كان رجل ورع وتقوى ، متواضعاً في سيرته بعيداً عن كل نوع من انواع العجرفة والكبر . وكان كذلك سخياً تجاه الفقراء عطوفاً على الشيعة المنكوبين ، بالأضافة الى كونه متشدداً في اداء الواجبات الدينية . وتدل الألقاب التي يلقب بها على قناعته ، وورعه ، وكثرة الصبر عنده .

جانب من ضريح الامام الرضا (ع) من الداخل



ويتكلم هوليستر ايضاً عن الرضا وكونه زعيماً لطائفته وعصره ، فيقول

انه كان شجاعاً فعالاً في هذه الناحية المهمة من حياته . وهناك ما يدل على انه كانت هناك دعاية واسعة منظمة له ، تتناول جماهير الناس وموظفي الدولة على سواء . وكانت قصة انقلاب الفضل بن سهل وانضمامه الى جانب الشيعة مما يدل على نشاط هذه الدعاية في اوساط المسؤولين ، كما تدل القصة التي يوردها براون [1] عن الحسين بن منصور الحلاج على نشاطها بين طبقات الناس . فهو يقول ان الحلاج هذا كان من المبشرين الداعين الى علي بن موسى الرضا في الأصل ، وعلى هذا الاساس أوقف وعوقب في كوهستان بأيران .

ويتطرق الدكتور هوليستر بعد هذا الى الاجتماعات والمناظرات الفلسفية والدينية التي كان يعقدها المأمون ويحضرها الأمام عليه السلام فيخوض المناظرات الطويلة مع الحاضرين فيها من مختلف الأديان ، ويبذل جهداً غير يسير في شرح عقائد الشيعة ومبادئهم التي تدعو الى الاجتهاد وحرية الرأي . كما يتطرق الى اعتناق المأمون لمبادىء المعتزلة ، ويخرج من ذلك القول بان اهتمام المأمون بالدعوة الشيعية لم يتوقف بعد انتقال الامام الرضا الى الرفيق الاعلى ، ولا بعد عودته هو الى بغداد . يضاف الى ذلك انه كان يدرس مبادىء المعتزلة بحماسة ، وفي سنة ٢١٢ للهجرة أعلن للملأ بأمر خاص قبوله لحرية الأرادة بدلاً من الجبرية ، كما أعلن اعترافه بخلق القرآن لا بأزليته كما كان يعتقد أهل السنة على الدوام . وبعد مدة من الزمن أعلن قبوله للمبدأ القائل بأن علي ابن أبي طالب عليه السلام هو سيد البشر قاطبة بعد النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، وحلل المتعة في الشرع .

ويقول هوليستر علاوة على ذلك أنه : اذا كان هناك آخرون من المعتزلة مسؤولون عن كسب الخليفة الى جانبهم في هذه العقائد ، التي يمجها المتطرفون ، ويسهم فيها الشيعة في الوقت نفسه ، فلا بد من ان يعزى الفضل

---

(١) Browne, Edward G — A Literary History of Persia, 4 vols (London 1903 — 1924).

الكافي في ذلك الى الأمام علي الرضا الذي أثار اهتمام المأمون الى هذه الاتجاهات منذ البداية . وكان يعارض المأمون معارضة شديدة في هذه المبادىء أحمد بن حنبل الذي جلد وحبس . وقد استمر الواثق بعد المأمون في هذا الاتجاه بحماسة أشد . وبوفاة الأمام علي الرضا (ع) صار يعتقد البعض من اتباعه بتوقف الأمامة من بعده وانتهائها به ، ولم يعترفوا بأمامة أحـــد من ذريته ، فكوّنوا طائفة خاصة تعرف بالواقفية . ويؤيد ما ذهب اليه هوليستر من تأثر المأمون بآراء الأمام الرضا وفلسفته الدينية السيد أمير علي (الهندي) في كتابه (مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي) الذي كتبه بالأنكليزية [١] . فهو يقول في مدح المأمون : .. ولم يكن ثمة من يعادله في الأخذ بناصر تلك النهضة الفلسفية ، إذ كان متفوقاً على معظم علماء عصره في الحديث والفقه ودراسة القرآن وفهمه ، فضلاً عن أنه كان أحد تلاميذ الأمام الرضا الذي أخذ عنه حب الفلسفة والعلم وحرية الفكر [٢] .

ويشرح [٣] السيد أمير علي في كتابه هذا ، علاوةً على ذلك ، علاقة الأمام الرضا بالمأمون منذ البداية . فهو يقول : .. وفي سنة ٢٠٠ هـ بدأ المأمون بتنفيذ مشروعه الخطير الذي طالما فكر فيه منذ زمن بعيد ، وهو نقل الخلافة الى آل البيت ، وتحقيقاً لهذه الغاية أرسل في طلب الأمام الفاطمي « علي الثالث » بن موسى الكاظم من المدينة ، وصرح علانيةً بأنه نظر في أبناء العباس وأبناء علي فلم يجد أحداً افضل ولا أحق بولاية العهد من « علي بن موسى الرضا » .. وفي اليوم الثاني من رمضان سنة ٢٠١ هـ أقام له حفلة البيعة بولاية العهد ، لقبه بـ « الرضا من آل محمد » . كما أمر باستبدال لون السواد شعار العباسيين باللون الأخضر شعار الفاطميين الذي اختاره شعاراً للدولة . فأثارت مبايعة

---

(١) Ameer Ali — A Short History of the Saracens. وقد ترجمه الى العربية الاستاذ رياض رأفت وطبع في القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨) .
(٢) الص ٢٣٧ من الترجمة العربية . (٣) الص ٢٢٨ — ٢٣١ من الترجمة العربية .

علي الرضا بولاية العهد غضب العباسيين غضباً شديداً جعلهم يبايعون ابراهيم بن المهدي بالخلافة .. وفي هذه الأزمة الطاحنة توجه الأمام الرضا الى المأمون وشرح له الحقيقة . فأعلمه بأن الوزير يموّه عليه الأمور ويحول دون تسرب الأخبار اليه . وأخبره كذلك أن أهل بيته قد بايعوا ابراهيم بن المهدي بالخلافة ، وانهم ينقمون عليه بيعته له من بعده ، وأعلمه أيضاً بكل ما حدث منذ مقتل أخيه الأمين . فدهش الخليفة وسأل بطبيعة الحال فيما اذا كان هناك من يعرف هذه الحقائق التي أفضى بها اليه فسمى له بعض القواد . ولما سألهم المأمون أخبروه بالخبر الصحيح بعد ان أمّنهم على أنفسهم وضمن حمايتهم من غضب الوزير ونقمته ، وزاد على ذلك بقولهم : ان الخليفة قد فقد بموت هرثمة خادماً أميناً ، وان الفضل دس له من قتله انتقاماً منه .. فزالت الغشاوة عن أعين الخليفة وأمر بشد الرحال الى الغرب على جناح السرعة ، فسافر في اليوم التالي وبصحبته جميع موظفي البلاط . ولما أدرك الفضل ان مكيدته قد فشلت ، وانه لا يستطيع الأيقاع بالأمام الرضا الذي كان منصبه يحميه من اعتداء ، أخذ يصب جام غضبه على أولئك القواد الذين أيدوا كلام الأمام فجلد البعض وسجن البعض الآخر وذبح عدداً غير قليل ممن استطاع التنكيل بهم . وفي هذه المرة ذهب الأمام الرضا الى المأمون أيضاً وشرح له أعمال الوزير ، فأجابه الخليفة قائلاً : انه لا يستطيع على الفور تجريد الفضل من السلطة والنفوذ ، انما يجب ان يفعل ذلك بالتدريج ويداري ما هو فيه ، غير ان أعداء الوزير من أهل فارس قد توقعوا ان الخليفة سيعزله من منصبه فشد عليه قوم منهم في « سرخس » التي تبعد يوماً واحداً عن مرو وضربوه بسيوفهم حتى مات ، فأمر بهم الخليفة وبمحرضيهم فضربت اعناقهم .

ثم يقول : ولما وصل المأمون الى طوس ، وهي البلدة التي دُفن فيها أبوه الرشيد مكث قليلاً من الزمن ، وهناك فقد صديقه الأمين ومستشاره المخلص الأمام علي الرضا الذي أنقذ فعلاً الامبراطورية من الانحلال والخراب . وقد توفي الأمام فجأة وخلفه ابنه محمد الجواد . فحزن عليه المأمون حزناً

بالغاً ، وبنى له قبراً أصبح منذ ذلك الحين مقصد الزوار الشيعة يؤمونه من جميع انحاء العالم ويسمى بالمشهد ، أو المشهد المقدس . وبعد ان دفنه المأمون واصل سيره الى العاصمة وكان يقف في كل مدينة مدة من الزمن تختلف باختلاف خطرها وأهميتها . فمكث في النهروان ثمانية أيام حيث خرج اليه القواد ووجوه بغداد وأهل بيته ، وكان الجميع يلبس الملابس الخضراء ، ولكنه نزولاً على طلب طاهر بن الحسين الذي جاء من الرقة ليسير بمعيتـه واستجابةً لرجاء الزعماء الآخرين رجع الى لبس السواد شعار العباسيين .

هذا وقد لاحظنا ان السرجون باگوت كلوب ، أو گلوب باشا الرجل الأنكليزي المعروف باشتغـاله في الاردن لسنوات عدة ، يحلل في كتابـه (امبراطورية العرب) [1] وضع المأمون وامبراطوريته ، واضطراره لتعيين الأمام الرضا لولاية العهد ، تحليلاً بارعاً لا بد من إيراده هنا . فهو يقول أن قتل الأمين في الفتنة التي نشبت بينه وبين المأمون قد أعقبته حدوث ثورات عدة قام بها عدد من السادة العلويين في جهات مختلفة من الامبراطورية . فقد بدأت أولاً في الكوفة خلال شهر شباط ٨١٥ ، وتبعتها حركات أخرى في مكة والمدينة وواسط والبصرة . وحدثت ثورة أخرى بعد ذلك في اليمـن فاستولى الشيعة فيها على الحكم . وازدادت نقمة أهالي بغداد على المأمون لأنه عين الحسن بن سهل ، شقيق وزيره الفضل بن سهل ، لحكم العراق وبلاد العرب على أثر مقتل الأمين . ثم استمرت ثورات العلويين في الجهات المذكورة واتخذت شكلاً مهدداً ، فهوجم العباسيون ومؤيدوهم فيها ونهبت بيوتهم فحرقت ، ثم قتل كل من كان يرى متشحاً بالسواد . وقد زاد في الطين بلـة ما يخالج نفوس العرب ، والعباسيين على الأخص ، من موازرة الأيرانيين للمأمون خلال انتصاره على أخيه الأمين بتلك الطريقة المؤلمة ، وارتفاع

---

(١) Glubb, Sir Gohn Bagot — The Empire of The Arabs (London 1963).

شأن الفضل بن سهل وأخيه الحسن بحيث صارا يلعبان في مقدرات الدولـــة في الحال وهما ما زالا قريبي عهد بالمجوسية . ولذلك فقد كانت دعوة الأمام الرضا من المدينة الى مرو ، وترشيحه الى ولاية العهد شيئاً في محلة ، وخطوةً معقولة يقصد بها تهدئة الأمور وأطفاء ذلك الأتون المضطرم .

ومع ان المأمون كان قد تم الاعتراف به خليفة للمسلمين في كل مكان فقد بقي في مقره البعيد في مرو ، بينما كان كره الناس لنائبه الحسن بن سهل في العراق يزداد يوماً بعد يوم . فأدى ذلك الى قيام سكان بغداد بثورة عارمة ، اضطر بها الحسن بن سهل الى ان يفر هارباً الى واسط . وقد حاول سكـــان بغداد تعيين المنصور بن المهدي عم المأمون خليفةً في مكانه لكنه لم يقبـــل بذلك ، وفضل ان يبقى نائباً للمأمون في بغداد . فتكون من ذلك وضع مضحك مؤسف في العراق ، انقلبت به الحالة الى شيء يشبه الحرب الأهلية ما بين الحسن بن سهل نائب المأمون وعمه المنصور بن المهدي .

وبينما كانت الحالة في مثل هذا الوضع من الفوضى والاضطراب تسلم الحسن بن سهل في آذار ٨١٦ م كتاب المأمون الذي يعلمه فيه بتنصيب الأمام ولياً للعهد . وقد امر المأمون بأن تؤخذ البيعة له على هذا الأساس في كل مكان ، كما أمر بأن يترك لبس السواد ويستعاض عنه باللون الأخضر شعار العلويين . فكان لهذا الأمر المفاجىء وقع شديد مثل وقع الصاعقة في شوارع بغـــداد المضطربة . وقد أذعن البعض لذلك في الحال ، وهم الشيعة على الأرجح . بينما رفض الباقون التخلي عن انحيازهم لبني العباس في هذا الصراع . وقرّ القرار اخيراً (تموز ٨١٦) في بغـــداد على تعيين ابراهيم بن المهدي ، عم المأمون الآخر الذي كان يشرب الخمر مع الأمين قبل مقتله بليلتين على مايقول گلوب ، خليفةً للمسلمين .

ويقول گلوب كذلك ان المأمون ادعى بان الأمام الرضا كان اكثر استحقاقاً ولياقةً من أي فردٍ آخر من بني العباس وأبناء علي بن أبي طالب لهذا المنصب . على ان الدكتور الدوري يرى (العصر العباسي الأول) ان ذلك قد تم بدسٍ

بارع من الفضل بن سهل وزير المأمون . فقد كانت بغداد في الأساس مدينة عباسية ، ولا يمكن ان تقبل بحاكم علوي مطلقاً . واذا ما اصبح الخليفة التالي علوياً لا بد من ان تنتخب عاصمة جديدة له ، وعند ذاك يكون من السهل ان تصبح إحدى المدن الأيرانية عاصمة له . وبذلك تنقلب امبراطورية العرب الى امبراطورية للفرس .

ومن الصعب علينا ان نفهم لمَ بقي المأمون في خراسان لمدة اربع سنوات بعد قتل الأمين ، بينما كانت الامبراطورية تنحدر في سيرها نحو الفوضى والاضطراب . لكن التفسير الوحيد لذلك ، على ما يبدو ، هو ان الفضل بن سهل وزير المأمون كان يخفي الأخبار عنه ولا يطلعه على جلية الأمر في بغداد . وحينما تأزمت الأمور بادر الأمام الرضا (ع) في أوائل ٨١٨ الى أخباره بوجود حرب أهلية في العراق بين عمه ابراهيم بن المهدي ونائبه الحسن بن سهل ، وبأن الفضل بن سهل كان يعتمد عدم أخباره بالوضع الحقيقي هناك . فما كان من المأمون الا ان يأمر في الحال بالتأهب لنقل البلاط الى بغداد . وبعد ان بدأت الرحلة الملكية بمدة وجيزة فاجأ اربعة رجال مدججين بالسلاح الفضل بن سهل في حمامه وقتلوه ، لكنهم اوقفوا وقطعت رؤوسهم لقاء ذلك ، وهم يصرخون بان المأمون نفسه هو الذي أمرهم بذلك .

وبينما كان المأمون في تشرين الأول ٨١٨ لا يزال في طوس التي زار فيها قبر أبيه هارون الرشيد ، توفي الامام الرضا فجأة على أثر تناوله شيئاً من العنب . ويقول گلوب ان الشيعة يقولون بأن الامام الرضا مات مسموماً ، وسميت طوس التي توفي فيها بـ« المشهد » ، ولا تزال محجاً للزوار الذين ينزلون اللعنات على المأمون حينما يزورون الضريح المقدس .

وهكذا ، فبعد ان توفي الامام الرضا ، وقتل الفضل ، وهما الشخصان اللذان انحطت سمعة المأمون عند العباسيين بسببهما ، وصل الى همدان في ٨١٩ . وما ان علم البغداديون المتقلبون ، (كذا) ورجال الجيش في بغداد ، بذلك حتى عادوا فقرروا خلع ابراهيم بن المهدي بعد ان كانوا قد أجلسوه

على كرسي الخلافة قبل سنتين فقط . وأخذ اسم المأمون أمير المؤمنين يذكر في المساجد من جديد بعد صلوة الجمعة .

اما المراجع العربية فقد لاحظنا من بينها ان ابن الطقطقي يلقي بعض الأضواء على علاقة الامام بالمأمون في كتابه (الفخري) . فهو يقول : كان المأمون قد فكر في حال الخلافة بعده ، وأراد ان يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته ، كذا زعم ، فذكر أنه اختبر أحوال أعيان البيتين العباسي والعلوي ، فلم ير فيهما أصلح ولا أفضل ، ولا أروع ، ولا أدين من علي بن موسى الرضا عليه السلام ، فعهد اليه وكتب بذلك كتاباً بخطه ، وألزم الرضا بذلك . فامتنع الرضا ثم أجاب ، ووضع خطه في ظاهر كتاب المأمون بما معناه (أني قد أجبت امتثالاً للأمر ، وان كان الجفر والجامعة يدلان على ذلك ، وشهد عليها بذلك الشهود) [1] .

وكان الفضل بن سهل وزير المأمون هو القائم بهذا الأمر ، والمحسّن له ، فبايع الناس لعلي بن موسى من بعد المأمون وسمي الرضا من آل محمد . وقد أمر المأمون الناس بخلع السواد ، ولبس الخضرة . وكان هذا في خراسان ، فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون ، من نقل الخلافة عن البيت العباسي الى البيت العلوي ، وتغيير لباس آبائه وأجداده بلباس الخضرة أنكروا ذلك ، وخلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي ، وكان فاضلاً شاعراً ، مغنياً حاذقاً ...

وكانت تلك الأيام أيام فتن ووقائع وحروب ، فلما بلغ المأمون ذلك قام وقعد فقتل الفضل بن سهل ، ومات بعده علي بن موسى من أكل عنب . فقيل ان المأمون لما رأى انكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة الى بني علي ، وانهم نسبوا ذلك الى الفضل بن سهل ، ورأى الفتنة قائمة ، دسّ جماعة

---

(١) في فصل خراسان قديماً من صدر هذا الجزء النص الكامل للعهد والبيعة التي تم بموجبها تعيين الامام الرضا ولياً للعهد و النص الذي وقعه الامام الرضا بخطه – الخليلي

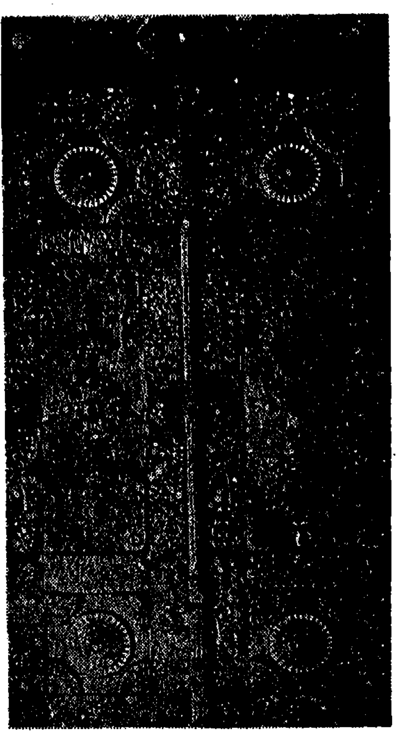
على الفضل بن سهل فقتلوه في الحمام . ثم أخذهم وقدمهم ليضرب أعناقهم قالوا له : أنت أمرتنا بذلك ثم تقتلنا ؟ فقال لهم : أنا اقتلكم باقراركم ، واما ما دعيتموه علي من اني أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بينة . ثم ضرب أعناقهم وحمل رؤوسهم الى الحسن بن سهل ، وكتب يعزيه ويوليه .. ثم دس الى علي بن موسى الرضا (ع) سماً في عنب ، وكان يحب العنب فأكل منه واستكثر . فمات من ساعته ، ثم كتب الى بني العباس ببغداد يقول لهم : ان الذي أنكرتموه من أمر علي بن موسى قد زال ، وان الرجل مات فأجابوه أغلظ جواب . وكان الفضل بن سهل قد استولى على المأمون ، ومت أمتاتاً كثيرة بقيامه في أمره واجتهاده في أخذ الخلافة له ، فكان قد قطع الأخبار عنه . ومتى علم أن أحداً قد دخل عليه ، أو أعلمه بخبر سعى في مكروهه وعاقبه ، فامتنع الناس من كلام المأمون وانطوت الأخبار عنه .

فلما ثارت الفتنة في بغداد وخلع المأمون ، وبويع ابراهيم بن المهدي ، وأنكر العباسيون على المأمون فعله كتم ابن الفضل ذلك عن المأمون مدة . فدخل عليه علي بن موسى الرضا (ع) وقال له ؛ يا أمير المؤمنين ان الناس ببغداد قد أنكروا عليك مبايعتي بولاية العهد ، وتغيير لباس السواد ، وقد خلعوك وبايعوا عمك ابراهيم ، وأحضر اليه جماعة من القواد ليخبروه بذلك . فلما سألهم المأمون أمسكوا ، وقالوا : نخاف من الفضل فان كنت تؤمننا من شره أخبرناك فآمنهم وكتب لهم خطه فأخبروه بصورة الحال ، وعرفوه بخيانة الفضل ، وتعمية الأمور عليه وستره الأخبار عنه . وقالوا له الرأي ان تسير بنفسك الى بغداد ، وتستدرك أمرك والا خرجت الخلافة من يدك . فكان بعد هذا بقليل قتل الفضل ، وموت الرضا على ما تقدم شرحه .

زوار المشهد الرضوي

لقد أكد[١] الدكتور دونالدسون بصورة خاصة على حب الناس للامام الرضا ، وتعلقهم الشديد به . فهو يقول ان التقلبات التي مرت على مدينة المشهد ومن دفن فيه قد أسهمت لدرجة كبيرة في غرس الحب الذي يكنه الناس بصورة عامة للامام الرضا . وليس من الغريب في هذه المدينة المقدسة البعيدة عن التدخل السني ، بعد ان مرت سنين عديدة تأصلت فيها التقاليد ونمت نمواً مطرداً : ان ينسب اليه عدد غير يسير من المآثر المدهشة . وهنا يورد عدداً من الكرامات والمعجزات المنسوبة للامام عليه السلام ، ثم يقول بعدها ان هذا المزار البعيد عن مركز الحضارة الاسلامية بحيث لا يمكن الوصول اليه الا بتحمل المشاق والمتاعب قد أصبحت زيارته رمزاً حياً ودليلاً قوياً على حب الناس الشديد له وتعلقهم به .

وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية ان المراجع العربية المدونة في القرون الوسطى تشير الى ان زيارة الامام الرضا ، والطواف حول ضريحه المطهر ، قد بدأت في وقت مبكر . وصار بعض الملوك والامراء يزورون هذا المشهد بين حين وآخر منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر) فصاعداً .



الباب الذهبي في ضريح الامام الرضا

(١) الص ١٧٧ و ١٧٨ .

اما عن عدد الزوار الذين يزورون المشهد سنوياً ، فلدينا تقديرات مختلفة عما كان يحصل في هذا الشأن خلال القرن التاسع عشر. فبينما يقدر الرحالة (بيت) عدد الزوار في العقد الأخير من القرن بمقدار ثلاثين الفاً ، فان الذين زاروا ايران قبله بكثير (عدا الرحالة مارش ١٨٧٢) يقدمون أرقاماً أعلى بكثير من هذا الرقم . فيقدر بيليو (١٨٧٢) عدد الزوار السنوي هذا بأربعين الى خمسين ألفاً ، ويقدرهم فيرير (١٨٤٥) بخمسين ألفاً ، وخانيكوف (١٨٥٩) وأيستويك (١٨٦٢) بأكثر من خمسين ألفاً ، ويوصل كرزن (١٨٨٩) العدد هذا الى مئة ألف لكن هذا شيء كثير بطبيعة الحال . ولا شك ان هذه الارقام ترتفع ارتفاعاً غير يسير حينما تحل المواسم والزيارات الدينية الخاصة ، مثل يوم وفاة الامام الرضا والثلث الأول من شهر محرم الحرام حينما تقام التعازي بمناسبة واقعة كربلا . ويصف كونولي مآتم محرم التي أقيمت في ١٨٣٠ وصفاً مسهباً ، كما يصفها بيت بايجاز في سنة ١٨٩٤[1].

ومن حق كل من يصل الى المشهد من الزوار ان يعيش ويسكن مجاناً لمدة ثلاثة أيام . فهناك في المنطقة المقدسة جنوبي الشارع الأعلى « بالاخيابان » مطبخ خاص يقدم الطعام الى الزوار فقط بمقدار خمس الى ست مئة وجبة أكل في اليوم .. وهناك وصف للمراسم التي يقوم بها الزوار حينما يزورون الضريح فيما كتبه الرحالة ماسي . ومن جملة هذه المراسيم يذكر بصورة خاصة الطواف ثلاثاً حول القبر ، وسب جميع أعداء الامام ثلاثاً ، ولا سيما هارون الرشيد والمأمون .. هذا ويسمى الزائر الذي يزور قبر الامام علي الرضا (ع) « مشهدي » .

وينزل الزوار الذين يقصدون المشهد الرضوي في منازل وخانات خاصة

---

(١) ويخمن بعض المطلعين زوار مرقد الامام الرضا في الاونة الأخيرة بما لايقل عن مليون زائر سنوياً يأتون من جميع جهات ايران وخارج ايران ، ولم يزل حتى اليوم يجري اطعام الزوار من مطبخ الامام مجاناً في كل يوم — الخليلي .

كانت ولا تزال موجودة منذ القدم بعدد كاف. ويذكر في دائرة المعارف الاسلامية ان الرحالة فريزر (١٨٢٢) وجد خمسة وعشرين الى ثلاثين خاناً في المشهد مخصصة للزوار يومذاك، الى جانب الخانات الأخرى التي تركت وتهدمت، كما يذكر خانيكوف وجود ستة عشر خاناً لهذا الغرض، كانت ستة منها تقع في داخل المنطقة المقدسة، وأحد هذه الستة وأقدمها كان «خان السلطان» الذي بناه الشاه طهماسب الأول. بينما ترجع الخانات الأخرى هذه الى أيام سليمان الأول في تاريخها.

مدينة المشهد

ويفهم مما يكتبه [١] دونالدسون في هذا الشأن ان المشهد أصبح في السنوات الأخيرة مدينة مستقلة عن الحرم الشريف وما يحيط به من أماكن مقدسة، بعد ان كانت المدينة هي المشهد المقدس ذاته. وهو يقول بلهجة تقارب لهجة التشفي، ان التقدم السريع وانتشار التعليم في ايران كلها قد أدى الى ان يأخذ نفوذ المشهد الرضوي بالتضاؤل والتناقص. ولا يعني الازدياد الملحوظ في وارداته السنوية ان الاقبال قد ازداد على زيارته، وان التعلق بالامام ما زال موجوداً بمثل ما كان موجوداً من قبل، وانما يدل على ان الحكومة أخذت تستغل ممتلكات الامام استغلالاً حكيماً وتدير موارده الكثيرة لأغراض عامة مفيدة بصفتها مؤسسة من المؤسسات العامة. فان انشاء مستشفى جديد واسع وأبنية مدرسية حديثة للبنين والبنات، وفتح شوارع جديدة، وتخطيط متحف ومكتبة واسعة، يدل كله على وجود اتجاه مختلف لدى الحكومة بالنسبة لأوقاف المشهد الرضوي وصبغتها الدينية. ولا يعد هذا نوعاً من المصادرة، وانما يعد تخصيصاً لبعض المبالغ وارداتها لأغراض على جانب أكبر من الجدوى والفائدة العملية. ولم يعد يمكن الصرف على السادة المتحدرين من نسل الامام

---

(١) الص ١٨٦ و ١٨٧ .

وإعاشتهم بحالة متنعمة على حساب الصالح العام. كما ان إجبار الايرانيين قاطبةً على لبس القبعة الوطنية يعتبر ضربةً هادفة الى هذه الطبقات المفضلة التي كانت تتميز بعمائمها الخاصة [1].

وهناك أغلبية من الناس في المشهد تتعاطف مع الاتجاه الجديد هذا، وعليه فان اولئك الذين يتصدون للاعتراض يجدون من الصعب عليهم مقاومة التبدل الجذري الحاصل في الشعور الملحوظ بوضوح بين طبقات الناس. فقد أصبح الحق الالهي الذي يدعي به السادة النبلاء، من دون ان يكون مستنداً الى مؤهلات عقلية وخلقية، يقابل بالسخرية والاستهزاء. وكان عدد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا المشهد في القرن الماضي يعتقدون بأن المشهد الرضوي نفسه هو الذي يكوّن المدينة، لكن أهمية المشهد كعاصمة لخراسان ومدينة تقع في موقع مناسب للتجارة يجب عدم تجاهلها. فان مدينة المشهد الحديثة بمعسكراتها البديعة الواقعة في الجنوب، ومطارها في الشرق، وبالمنطقة السكنية المشيدة حديثاً قرب سراي الحكومة، ومئات الأبنية المجددة على طول الشوارع العريضة الحديثة، وبمصلحة الباصات المنتظمة التي تمتد خطوطها الى جميع المدن الرئيسية في الأيالة، والى روسية وأفغانستان والهند، وبجميع مستشفياتها ومدارسها ومكتباتها وحدائقها العامة ومطاعمها ومشاريع مائها وقاعة التمثيل الجديدة، ودور السينما فيها، يمكن ان يقال عنها أنها أصبحت بحق مدينة مستقلة قائمة بذاتها، يبلغ عدد نفوسها، بالنسبة للاحصاء الجديد، حوالي مئة وثلاثين ألف نسمة. ويجعلها هذا كله أكبر المدن المقدسة في الاسلام ورابع أوسع مدينة في ايران نفسها.

اما دائرة المعارف الاسلامية (المختصرة) فقد جاء فيها بالنسبة لعدد

---

(١) والصحيح هو ما ذكره دونالدسون من حيث تولي الشاه تنظيم امور الواردات وجعل فائدتها شاملة عامة تضمن لجميع الناس الفوائد، ولكن ليس من الصحيح ان نفوذ المشهد الديني قد بدأ بالتضاؤل خصوصاً وان عدد الزوار في زيادة مطردة بقصد التبرك وقد خمن المطلعون عدد الزوار سنوياً بما لا يقل عن مليون نسمة كما قدر — الخليلي.

النفوس في مدينة المشهد ان هذا العدد بلغ حده الأعلى من قبل في أيام نـــادر شاه .: الذي كثيراً ما كان يفتح بلاطه فيها ويسهم بكل وسيلة في تقدمهـــا وازدهارها . وكانت نفوس المشهد في ذلك العهد لا تقل عن ستين ألف نسمة . لكن نصف القرن الذي أعقب ذلك قد أدى بثوراته ونزاعاته وقلاقله ، الى انحطاط شأن المشهد انحطاطاً ملحوظاً نزل فيه عدد البيوت المسكونة الى ثلاثة آلاف بيت سنة ١٧٩٦ . ثم أخذت تزدهر شيئاً فشيئاً في القرن التاسع عشر ولكن ببطء حتى قدر (تروييه) عدد دورها في ١٨٠٧ بأربعة آلاف دار ، وفريزر (١٨٢٢) بسبعة آلاف وسبع مئة دار ، كما قدر عدد النفوس بخمسة وعشرين الى ثلاثين ألف نسمة . ثم قدرها الرحالة كونولي (١٨٣٠) وبرنز (١٨٣٢) بأربعين ألف نسمة ، وقدرها فيرير (١٨٤٥) وخانيكوف (١٨٥٨) بستين ألف نسمة . وقد أُصيبت خراسان كلها في سنة ١٨٧٤ بمجاعة فظيعة مات على أثرها في مدينة المشهد وحدها أربعة وعشرون آلف نسمة .. والمقول انها يبلغ عدد نفوسها في الوقت الحاضر مئة الف نسمة ، الأمر الذي يجعلها بهذا ، ثالث أكبر مدينة في ايران على كل حال على ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية [1] .

مقابر المشهد

ان أمنية كل شيعي في العالم ، على ما يقول الكاتب في « دائرة المعارف الاسلامية » هي ان يجد راحته الأبدية في ظل أحد الأئمة المعصومين ، ولذلك صارت تتعدد المقابر وتتسع في مراكز الزيارة الكبرى منذ القدم . فان آلاف الجنائز تجلب للدفن في المشهد كل سنة ، ولا سيما من ايران ، ومن سائر المدن الشيعية في العالم بطبيعة الحال مثل بعض مدن الهنـــد وباكستان وأفغانستان

(١) اما اليوم فان عدد نفوس مشهد كما جاء في نشرة مديرية انماء السياحة الايرانية قد تجاوز ٣٠٠ الف نسمة — الخليلي .

والتركستان . ولما كان من المحتّم ان تستعمل أراضي المقابر مرة بعد أخرى على الدوام فقد ترتب ان تغير القبور ساكنيها كل بضع سنين . ولا تستعمل الأحجار الجميلة المنحوتة لبناء القبور بل تستعمل قطع الحجر الخشنة من الغرانيت والحجر الصابوني الموجود في المقالع المجاورة للمدينة . ولا شك ان القبور في ضمن المنطقة المقدسة هي القبور التي تفضل على غيرها عادةً . ولذلك يستفاد من كل فسحة فيها لهذا الغرض . وكثيراً ما تكون قطع التبليط المرمر في الأصحن المقدسة أحجار قبور للجثث التي تدفن تحتها . وتكوّن الأجور التي تستوفى عن الدفن في ضمن المنطقة المقدسة مورداً غير يسير لسلطات الحرم المسؤولة .

وتعد أهم مقبرة خارج المنطقة المقدسة « مقبرة قتل گاه » الواقعة في شمالها ، وفي شرقيها توجد مقبرة السيد أحمد التي دفن فيها ثلاثة من أطفال الامام السابع موسى الكاظم (ع) . وفي محلة « الشارع الأسفل » توجد مقبرة « پيري پالاندوز » . كما توجد في جنوب شرقي القلعة مقبرة « گمبد سبز » اي مقبرة القبة الخضراء ، وقد سميت بهذا الاسم لوجود مرقد نصف خرب فيها يسكنه الدراويش في الوقت الحاضر .

وتوجد في محلة نوقان مقبرة شاهزاده محمد . ويجب ان يذكر كذلك ان موقع بلدة نوقان القديمة الكائن في خارج باب نوقان توجد فيه بقايا مقبرة واسعة الأرجاء وجدت فيها أحجار قبور تعود في تاريخها الى سنة ٦٧٠ — ١٠٩٩ (١٣٥٩ — ١٦٨٨) .

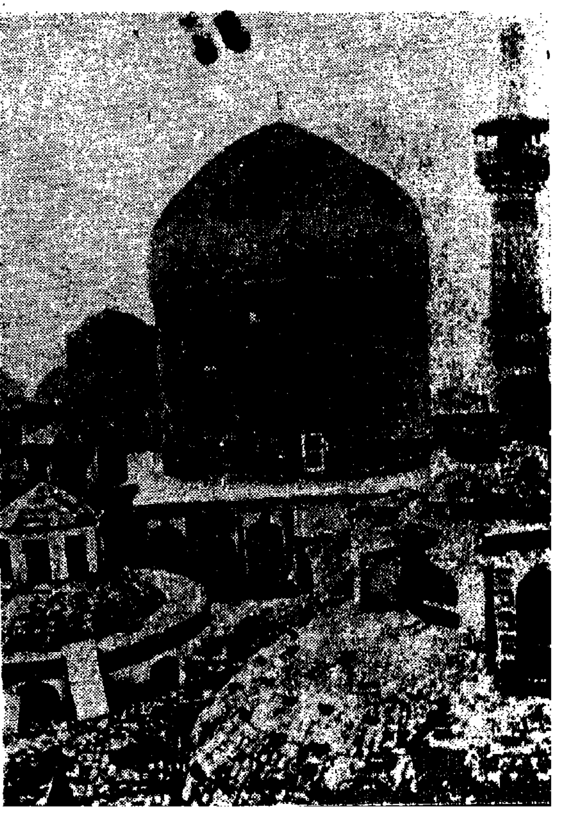
وعلى مسيرة نصف ساعة من جنوبي المشهد توجد على أرض حجرية ممتدة مقبرة مرزا ابراهيم الرضوي ، وعلى بعد ثلاثة أميال من شمال المدينة تقوم مقبرة « خواجه ربيع » ، ويقول الكثيرون من الناس ان هذا الخواجة كان من السنة برغم علاقته بعلي ؛ وهذه المقبرة يدفن فيها الناس من أهل السنة الذين يمكن ان يوجدوا في خراسان . ومرقد « خواجه ربيع » من المراقد التي تلفت النظر بصورة خاصة في جميع خراسان ، فهو بناء واسع مثمن الأضلاع ، تعلوه قبة خاصة ، لكنه في حالة نصف خربة في الوقت الحاضر .

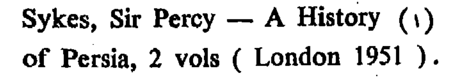
قصف الروس للمشهد الرضوي في ١٩١٢

كانت المنافسة بين الروس والانكليز قد بلغت أشدها في ايران خلال العقد الأول من هذا القرن ، وقد وصلت حداً كانت فيه هاتان الدولتان تتصرفان بشؤون ايران الداخلية وتحتفظان ببعض القوات العسكرية احتفاظاً يلفت النظر . وكان من جملة هذه التدخلات المكشوفة تشجيع فئة سياسية ضد أخرى وانحياز كلٍ من الدولتين الى فئات دون غيرها لترويج المصالح التي تخدم أغراضها . وقد أدى هذا التنافس في النهاية الى ان ينجح الوطنيون في ايران سنة ١٩٠٩ ويخلعوا محمد علي شاه القاجاري بعد ان التجأ الى المفوضية الروسية في طهران . على ان هذا العمل لم يضع حداً للدسّ الذي كان يقوم به ممثلو هاتين الدولتين في أنحاء البلاد . وقد أخذ الروس على الأخص يعملون على تمهيد الأمر لعودة الملك المخلوع الى العرش بعد ان نصب ابنه الفتي أحمد شاه في مكانه .

وكان من جملة المدن والمناطق — التي اصبحت ميداناً لهذا التدخل السافر ، وهذه الدعاية التي قسمت البلاد الايرانية الى فئات متناحرة عدة — مدينة المشهد التي كان القنصل البريطاني العام فيها يومذاك السر بيرسي سايكس مؤلف كتاب (تاريخ ايران)[1] المعروف ، وكتاب (مجد العالم

قبة الإمام الرضا وتشاهد آثار القنابل التي اخترقتها من المدافع الروسية في حينها




(١) Sykes, Sir Percy — A History of Persia, 2 vols (London 1951).

الشيعي) [1] الذي ألفه بشكل روائي يتناول رحلة أحد الزوار الايرانيين من كرمان الى المشهد الرضوي المقدس . وقد لعب دوراً في مقاومة الحركات والمناورات الروسية في خراسان كلها المتاخمة للحـــدود الروسية ، ولذلك أشار إلى ما وقع في ١٩١٢ في كتابه (تاريخ ايران) . فهو يقول (الص ٤٢٦ ، ج ٢) انه لم يكن هناك ما يشين سمعة الروس في ايران يومذاك أكثر من اقدامهم على قصف المشهد الرضوي المقدس بالقنابل . فقد بذل زميلي الروسي جهداً كبيراً في العمل لمصلحة الشاه المخلوع [2] ، والكفاح ضد الوطنيين الايرانيين حتى انه ذهب الى حد تشجيع يوسف هراتي ، الوكيل المشاغب ، على القيام بحملة دعاية خاصة في مصلحته بحماية القنصلية الروسية نفسها . فبلغتُ المفوضية البريطانية بذلك ، وكانت النتيجة ان طرد يوسف وجماعته بأمر من السفير الروسي نفسه . لكنه توجه في الحال الى الروضة المقدسة حيث كان بوسع زميلي الاستمرار على استخدامه فيما يريد . وبعد ان ثبت أقدامه في المنطقة المقدسة تمكن من جمع عدد كبير من الرجال والنساء ، بينهم مئات من الزوار أنفسهم ، بقصد الاستماع الى خطبه الرجعية المهيجة . وعلى هذا الأساس أشاع الروس بأن رعاياهم قد اصبحوا معرضين للخطر ، وبهذه الحجة جاؤوا بقوة غير قليلة من الجند . لكن وجوه المشهد ، الذين كنت على اتصال وثيق بهم ، أدركوا الحيلة في ذلك وعرفوا شأن المصيدة أو الفخ الذي كان يعد لهم فلم

---

(١) The Glory of the Shia World, A Tale of A Pilgrimage (London 1910).

(٢) وحين عمت الفوضى وهاج في وجه الناس الشاه محمد علي القاجاري . انذر الروس عن طريق سفيرهم بطهران حكومة ايران وتقدموا بطلبات يريدون من ايران انجازها وكان من جملتها عزل المستشار المسيو شوستر ، وان يجري تعيين الحكام في البلدان الايرانية باتفاق وموافقة السفارة الروسية والحكومة الايرانية ، وقد قرأ هذا الانذار في خراسان فهاجت خراسان وماجت وهم المجتهد الأكبر الملا كاظم الخراساني بالتوجه الى ايران لتحشيد الجيش واعلان الحرب على الروس بعد ان قصفوا قبة الإمام الرضا بالقنابل ولكن الشيخ الخراساني قد توفي في فجر اليوم الذي أعـد العدة للسفر الى إيران
الخليلي

يدخروا وسعاً في انقاذ الموقف ، غير ان جميع ما فعلوه لم يجد نفعاً . فقد قرر الروس أن يقصفوا الروضة المقدسة التي كان يسيطر عليها وكلاؤهم بالذات من دون تورع او التفات الى الحالة التي كان عليها السكان . وفي ٢٩ آذار أطلقت مدافعهم نيرانها من دون ان تكون هناك أية مقاومة لهم تقريباً ، برغم أن يوسف وجماعته أطلقوا بعض الاطلاقات تنفيذاً لما أمروا به ، فقتل عدد من الزوار والأهالي الأبرياء وجرح عدد آخر غيرهم . ثم أخذ يوسف وسائر الوكلاء ، في غسق الليل ، في عربة خاصة الى خارج المدينة مستخدمين بذلك البوابة التي كان الروس قد فتحوها في سور المدينة وفرضوا حراستهم عليها من قبل

وبعد عدة أيام كتب لي يوسف هراتي نفسه شاكياً من أن زميلي الروسي قد كافأه على خدماته الثمينة له مكافأة مزرية ، وجازاه كما جوزي سنمار . ثم حرض الروس السلطات الايرانية في هذه المرحلة على اتخاذ التدابير المقتضية ، فقبض على يوسف هراتي وأعدم من دون محاكمة ، ثم طيف بعد ذلك بجثته التي لا تستطيع الاعتراف بما يخشى منه في الشوارع .

وبعد ان عجزت عن الحيلولة دون القصف الذي قدمت احتجاجي الشديد عليه ، أبديت اصراري على زيارة الروضة المطهرة في اليوم التالي . فكانت جثث القتلى قد نقلت الى الخارج وأخذ الجرحى الى بيوتهم أيضاً ، لكن التدمير الذي أحدثه القصف الأهوج كانت آثاره بادية للعيان . كما كانت خزانة الامام ، المحتوية على النفائس والهدايا المقدمة من الملوك وسائر الزوار ، قد أخذت الى عهدة البنك الروسي . وقد أعيدت الى مكانها بعد زيارتي هذه ، مع ان بعض محتوياتها كان قد نهب ، وأجبر الكليدار الرسمي بتهديده بالقتل على توقيع مستند يقول فيه أنه استعاد الخزانة الثمينة سالمة كاملة . وقد اعتبرت زيارتي ، على خطأ أو صواب ، هي السبب في استعادة الخزانة فتسلمت رسائل عديدة يشكرني فيها الايرانيون ، وحتى حاكم هراة السني . وكتب زميلي في تقريره الأول ان الروضة المقدسة لم تصب بشيء ، لكنني تمكنت من

دحض هذه المفتريات بارسال نسخ عديدة من التصاوير التي أُخذت بايعازٍ مني الى المفوضية البريطانية في طهران والسفارة البريطانية في سنت بطرسبورغ .

وقد كان الاستياء الذي سببه هذا العمل الأخرق في أنحاء ايران المختلفة وغيرها من بلاد العالم الاسلامي ، شيئاً بالغاً لأن المشهد يعد مزار ايران الرئيس على الدوام . ومن الغريب ان القصف لم يجلب انتباه الناس اليه في انكلترا لأنه وقع في نفس الوقت الذي وقعت فيه كارثة غرق « التيتانيك » التي كان الرأي العام البريطاني منغمساً في الاطلاع على تفصيلاتها ، حيث أنها كانت تشغل أعمدة الجرائد كلها وتحجب كل شيء آخر عن الناس تقريباً . اما بالنسبة لي ، فان قصف الروضة المقدسة ، الذي كنت قد تنبأت به قبل ان يقع وحذرت مفوضيتنا بشأنه ، والذي كنت مطلعاً على تفصيلاته كلها ووقعت على مشهدٍ مني ، يعتبر انتهاكاً لحرمة الروضة نفسها واعتداءاً صارخاً على أناس أبرياء ، ويدل بوضوح على الدوافع الشريرة التي كانت تنطوي عليها السياسة الروسية .

المشهد بعد إعلان الدستور ١٩٠٩ [١]

وبعد ان أُعيد الدستور الى العمل في طهران ، على أثر خلع الشاه محمد علي ، وصل الى مدينة المشهد موظفون جدد ليشغلوا مناصب : نائب الحاكم والقائد العام ، ورئيس المحاكم ، ومدير الشرطة . فزاروني في مكتبي وبينوا لي بأن الحكومة قد زودتهم بالصلاحيات التامة في العمل ، وانهم يريدون اصلاح الأمور من دون تأخير . ثم اضافوا الى ذلك قولهم انهم قد سفوا تعليمات خاصة بأن يأخذوا بمشورتي ويطلبوا مساعدتي . وقالوا أنهم عازمون على طرد الحاكم العام نفسه و « الكارگذر » ، أو وكيل الخارجية في الحال ، وكانوا مطمئنين بأني سأوافق على اتخاذ هذه الخطوات في الحال . فأجبتهم ان الماكنة القديمة كانت تسير وتقوم بعملها على قدر ما في استطاعتها ولو كانت عديمة

---

(١) تاريخ ايران ، الص ٤٢٧ — ٤٣٠ ، ج ٢

الكفاية ، واني لا أرى من المصلحة اخراج الموظفين القدامى في الأيالة حتى يكون الموظفون الجدد قد تمكنوا من التعرف على الوضع فيها ودرسوا المشاكل المعقدة التي سيصادفونها في عملهم . فأبدى زواري تفهماً للحديث ووافقوا على ابقاء الموظفين المذكورين الى وقت الربيع .

وقد كنت بطبيعة الحال مهتماً جد الاهتمام بدراسة سلوك الموظفين الجدد ، ومؤملاً كل خير من تلقيح الادارة بدم جديد وعقلية متجددة . غير أني أصبت مع الأسف الشديد بخيبة أمل بالغة . فقد كان رئيس المحاكم ابن رئيسها السابق ، وسرعان ما وقع فريسة للأساليب المفعمة بالفساد والتفسخ بحيث أصر زملاؤه الموظفون على وجوب استقالته خلال شهر واحد فقط . وأبدى مدير الشرطة نشاطاً لا يستهان به ، وافتقاراً غير يسير للباقة والكياسة . وقد امتنع هذا الموظف المهرج عن أخذ الرشوة في بادىء الأمر ، لكنه سرعان ما أصبح في مستوى أسلافه في الفساد . وحينما تورط في قتل رئيس التجار الروسي بعد ذلك فر هارباً في ظلمة الليل من المشهد .

وان انس لا أنسى القائد العام الذي كان يشبه شخصيات القصة الايرانية التي كتبها جيمس موريير بعنوان « حاجي بابا الأصفهاني » . فقد حدث بعد وصوله بقليل اضطراب في منطقة (دراگز) وطرد حاكمها . فجمع « القائد المقدام » قوة في قوچان ، لكنه رفض رفضاً باتاً الزحف على (دراگز) ما لم يعد الحاكم المطرود بنفسه الى مكانه ويؤكد له بان الثوار قد انسحبوا واختفوا عن الأنظار . وبعد ذلك تبع الحاكم مع القوة التي كانت تحت تصرفه ، لكن المؤسف أنه أخطأ في وفد من القرويين خرج يستقبله ويحمل الهدايا له فظن ان العدو كان ينصب كميناً لقتله ، فما كان من بطلنا المغوار الا أن يسابق الريح بفرسه ويعود الى قوچان قبل أن يستطيع الضباط الذين كانوا في معيته أقناعه بخطأه . وهكذا عاد الى السير في الأخير ، وأدرك رجاله في الطريق ، ثم دخل الى (دراگز) التي كانت قلاقلها قد أصبحت في خبر كان . وعند ذاك أمر باغلاق الأبواب ووضع مفاتيحها بين يديه .

وطيّر برقيةً الى الوصي في العاصمة يقول فيها انه استطاع بعد اثنتي عشرة ساعة من القتال العنيف ان ينزل خسائر فادحة بالثوار ، وأصبحت دراگز خاضعة للحكومة الأيرانية من جديد . فقوبل من الحكومة بكل تقدير وأجيب بأن أيران لو كان عندها عدد أكبر من مثل بطل دراگز الغازي لكان كل شيء فيه على الوجه المطلوب . وخرج بطلنا في مناسبة أخرى للصيد مع عشرين من أتباعه ، فأطلقت عصابة من اللصوص عليهم النار في الطريق وإذا به يفر مذعوراً من وجههم ويعود أدراجه الى البيت . وهنا أيضاً ابرق الى طهران يقول أنه بينما كان يدور في دورية على الحدود الأفغانية هاجمه مئتا أفغاني ، فتمكن من قتلهم كلهم وتمزيق أشلائهم أرباً أرباً . وقد بقي هذا الجندي الرفيع الشأن سنتين في المشهد ، ثم رُفع الى منصبٍ أعلى .

اما نائب الحاكم فقد كان رجلاً نزيهاً ، لكن رأسه كان يمتلىء بالمشاريع الخيالية . فقد قال لي يوماً ان كل فرد في الأيالة قد وافق على دفع ضعف الضرائب للحكومة ، وانه لا يعوزه سوى ألف رجل ، مسلحين تسليحاً كاملاً ومزودين بالمدافع الرشاشة ، ليصنع من خراسان جنةً أرضية . وأضاف الى ذلك يقول أنه كان متأكداً من انني استطيع تدبير قرض مالي له بمئتي ألف باون ، حتى يستطيع دفع المبالغ المطلوبة للذخائر والعدد التي تحتاجها هذه القوة . فبينت له أن الأغلبية العظمى من الناس إذا كانت قد وافقت على دفع ضعف الضرائب للحكومة فان نصف المبلغ الذي سيجمع سيكون كافياً لتلافي مصاريف القوة الجديدة المزمع تجنيدها . لكنه لم يشأ ادخال اي تبديل على مشروعه العتيد ! ! ومن المؤسف ان أقول انه كان رجلاً جباناً أيضاً . فقد بعث لي رسالة في ليلةٍ من الليالي يقول فيها ان أحد الكتبة قد هدده بالقتل ، وانه لا يستطيع الاعتماد على موظفيه وضباطه ، ولذلك يودّ ان أبعث له بأربعة من حراسي الهنود لحمايته . فبينت له ان وقوف مثل هؤلاء الحراس على بابه سيقضي على سمعته ومنزلته في الولاية ، وانني لا

استطيع الموافقة على الطلب . ولذلك فر نائب الحاكم المقدام هذا تحت جنح الظلام الى خارج المشهد .

هذه هي الحقائق التي جمعتها يوماً بعد يوم في المشهد ، ويمكنني ان أضيف اليها انه حتى اذا لم يكن موظفو العهد الجديد هؤلاء أسوأ من أسلافهم ، فان أسلافهم كانوا على الأقل يعرفون أين وكيف « يضغطون » من دون إثارة اي استياء لا لزوم له ، بينما كان القادمون الجدد متعجرفين متغطرسين تجاه الجميع ، حتى أنهم كانوا يقولون لي ان الايرانيين لا بد من ان يساقوا الى العمل ويضربوا كما تضرب الجمال . وكانوا يفتقرون كذلك الى الخبرة في العمل الاداري ، والى المعلومات الكافية في الزراعة والأحوال المحلية .

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة

خراسان قديماً . . . .

مصادر التاريخ الايراني ١٠

اهم المصادر العربية في تاريخ ايران وخراسان ١١

كتاب الشاهنامه ١٣

ايران وخراسان ١٥

اسم خراسان ١٨

طبيعة خراسان الجغرافية ١٩

اهمية خراسان في تاريخ الحضارة ٢٢

اهم معالم الحضارة الخراسانية ٣٠

الخط والكتابة

الدين والعقيدة ٣٣

الصابئية في خراسان ٣٤

البوذية في خراسان ٣٦

الزردشتية في خراسان ٣٨

الموضــوع	الصفحة

المانوية في خراسان	٤٢
الاسلام في خراسان	٤٥
الجند والحرب	٥١
العلم والادب	٥٨
الغناء والموسيقى	٦٤
افانين الصناعة	٦٨
انتهاء الحكم الساساني في خراسان	٧٢
خراسان في عهد الخلفاء الراشدين	٧٣
خراسان في عهد ولاة بني امية	٧٥
العوامل التي قوضت حكم بني امية في خراسان	٨٦
نماذج من الرشوة والاثراء غير الشرعي	٩١
نماذج من الظلم والقسوة	٩٤
العصبية والكبرياء	٩٨
الدعوة العباسية في خراسان	١٠٤
عمال العباسيين في خراسان	١١٠
هارون الرشيد في خراسان	١٢٧
خراسان والمأمون	١٢٩
معركة الري	١٣٥
احتلال بغداد وقتل الأمين	١٣٧
الحالة الاجتماعية والرأي العام	١٤٠
بيعة الإمام الرضا (ع)	١٤٥
عهد المأمون للرضا بولاية العهد	١٥٠
العهد الذي كتبه الامام الرضا (ع)	١٥٤
هياج العباسيين وخلع المأمون	١٥٦

الموضوع	الصفحه

توجه المأمون لبغداد ١٥٨

وفاة الامام الرضا (ع) ١٥٩

خراسان في عهد العباسيين الى حين وفاة الرضا (ع) ١٦٢

خراسان في الشعر

اسيد بن المتشمس – اشجع السلمي – الاصمعي ، البحتري – البستي – ابو تمام – الشيخ جابر الكاظمي – آغا شيخ حسين الهروي – السيد حيدر الحلي – سنائي – دعبل الخزاعي – ربعي ابن عامر – ابو سعيد المخزومي – الشريف الرضي – ابو الشيص – الصاحب بن عباد – العباس بن الاحنف – عبد الباقي العمري ، عصابة الجرجاني – مالك بن الريب – المأمون العباسي – سبط ابن التعاويذي – السيد موسى الطالقاني . . . . ١٧١ – ١٩٢

مشهد في المصادر العربية

مشهد في التواريخ ١٩٥

اقوال المغاربة ١٩٦

ظهور المشهد وعمران المدينة ١٩٧

وصف المشهد ١٩٨

الكتابات في المشهد ١٩٩

ذار الحفاظ ٢٠٠

دار السيادة – قبة الله يارخان – سائر الآثار ٢٠١

حوادث المشهد التاريخية ٢٠٢

طوس ٢٠٤

جوامعها – مقابرها المشهورة ٢٠٦

مدارسها العلمية القديمة ٢٠٧

الموضـوع	الصفحة
صحفهـا	٢٠٨
اشهر ولاتها ـ اشهر الحوادث التي حدثت في طوس	٢٠٩
مشهد في الرحلات ـ رحلة ابن بطوطة	٢١٢
رحلات عبد الوهاب عزام	٢١٣
جولة في ربوع الشرق	٢٢٢

المشهد الرضوي في المراجع الغربية

الموقع وتاريخه	٢٣٠
المشهد في كتابي لسترنج وسايكس	٢٣٩
المشهد المقدس في دائرة المعارف الاسلامية	٢٤٨
موظفو المشهد المقدس وخدامه	٢٥٣
ممتلكات المشهد الرضوي ووارداته	٢٥٦
مساجد المشهد واماكن الزيارة الاخرى	٢٥٨
المدارس الدينية	٢٦٠
الامام الرضا	٢٦٢
زوار المشهد الرضوي	٢٨٢
مدينة المشهد	٢٨٤
مقابر المشهد	٢٨٦
قصف الروس للمشهد الرضوي سنة ١٩١٢	٢٨٨
المشهد بعد اعلان الدستور ١٩٠٩	٢٩١

فهرست الاعلام

أ

آدم ٢٤٨
آل ياسين (محمد حسن) ١٧٥، ١٨٩
آهورامزدا ١٧، ٤٠
ابراهيم (الامام) ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩
ابراهيم بن العباس ١٢٧
ابراهيم بن المهدي ٢٥٧، ٢٢٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٢
ابراهيم بن موسى بن جعفر ١٤٢
ابراهيم بن ميمون الصائغ ١١٣
ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ٨٤
ابراهيم الخليل ٢٤٨
ابراهيم (ميرزا الرضوي) ٢٨٧
ابراهيم قطب شاه ٢٢٠
ابرويز (كسرى) خسرو ٦٩، ١٨٥
ابن ابي سود (وكيع) ٨٠، ٨٧
ابن ابي كثير (يحيى) ٥٠
ابن ابي طاهر علي بن محمد ٢٠٠
ابن بابويه ٢٧٠
ابن الاثير ١١، ٥٣، ٥٥، ٦١، ٧٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٩، ١٦٧
ابن برمك — خالد — ٢٩، ١١٠، ١١٦
ابن الاحنف (العباس) ١٩٠ .
ابن بطوطة ١١، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٦٨
ابن حنبل (احمد) ٢٨، ٤٦، ٥٠، ٢٧٥
ابن حوقل ١١، ١٩٥، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤١
ابن خازم (عبد الله) ٧٧، ٧٨، ٨٨
ابن خردادبه ١١، ٦٧، ١٩٥
ابن خزيمة ٥٣، ١١٥، ١١٦
ابن الخطاب (عمر) ٤٦، ٧٣، ٨٦، ١٤٠، ١٤٨، ١٥١، ٢٦٣
ابن خلدون ١١، ٦٣، ١٥٩
ابن الربيع (عبد الله) ٧٥، ٧٦
ابن رسته ٨، ١٦، ٢٣٣
ابن الزبير (عبد الله) ٥٠، ٧٨

ابن الزبير (مصعب) ٧٨
ابن زياد (سلم) ٩٣،٤٩،٧٧،٣٢
ابن زياد (عباد) ٩٣،٧٧
ابن زياد (عبد الرحمن) ٩١،٧٧
ابن زياد (عبيد الله) ٩٨،٧٧،٧٦
ابن زياد (يزيد) ٧٧
ابن سريج (الحاوث) ٨٢—٨٥،٨٨،٨٩، ٩٥
ابن سيار (نصر) ٦٧،٨٣—٨٥،٨٩،٩٧، ٩٩،١٠٥،١٠٦،١٠٨
ابن سينا ٢٨،٦٥
ابن طباطبا ١٤٢
ابن الطقطقي ٢٨٠
ابن عامر (ربعي) ١٨٧
ابن العاص (عمرو) ١٤٠
ابن عبد ربه ١٥٠
ابن العبري ١١
ابن عمر (يوسف) ٨٤
ابن عيينة ٦٣
ابن الفقيه ٢١،٥٢
ابن قتيبة ٥٣
ابن قحطبة (حميد) ١١٧،١٤٦،١٧٢، ١٩٧،٢٣٣
ابن ماهان (علي بن عيسى) ١٢٣—١٢٦، ١٣٤—١٣٦،١٦٥،١٦٧
ابن المبارك (عبد الله) ٦٣،١١٣
ابن مسكوية ١١
ابن المعتز ١٨٨
ابن مفرغ (الحميري) ٦٠
ابن المقفع (عبد الله) ١١،١٢،٢٦،١٢٨
ابن النديم ١٠—١٢،٣١،٣٢،٣٥،٤٣
ابن المهلب (يزيد) ٧٩،٨٠،٨٧،٩٠،٩٢، —٩٦
ابن هبيرة ٥٤،٨١،٨٢،١٠٩
ابن هبيرة (جعدة) ٧٤
ابن الهيثم ٧٧
ابو برزة الاسلمي ١٠٢
ابو بكر ٤٦،٢٦٣
ابو تمام ١٧٣
ابو حفص بن علي ٩٩
ابو الخصيب ١٢٤
ابو سلمة ١١٠
ابو الشيص (محمد بن عبد الله بن رزين) ١٨٨
ابو عباد (ثابت بن يحي بن يسار) ١٩١
ابو علي ابن سيمجور ١٧٣
ابو عمر (كلثوم بن عمرو) ٥٨
ابو الفداء ١١،١٩٥
ابو الفرج الأصفهاني ١١،١٤٠،١٤٦،١٤٧، ١٤٨،١٥٩
ابو الكلام آزاد ٣٨
ابو مالك (عبد الله بن السيد الخزاعي) ١٠٨
ابو مجلز ١٠٠
ابو مسلم الخراساني ٢٩،٥٤،١٠٤—١١٢، ١١٤
ابو منصور الدقيقي (محمد بن احمد) ٢٩
ابو نواس ١٩٥
ابو نهشل (محمد بن حميد الطوسي) ١٧٢
ابو ايوب (احمد بن محمد بن شجاع) ١٧٢

الأجشم المرورذي ١١٦
احمد امين ٥٩، ٦٠
احمد شوقي ١٤١
احمد فريد الرفاعي ١٢٧، ١٤٤، ١٦٠
الاحنف بن قيس ٧٣، ٧٤
الاخريد ١١١
الاخفش الاوسط ٢٩
ادريس بن حنظلة ٩٤
آدورد ماير ٩
الاربلي (علي بن عيسى) ١٥٠
اردشير ٥١
الازدي (محمد بن واسع) ٩٠
استاذ سيس ١١٦
اسد بن عبد الله ٩٠–٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٩
اسلم بن زرعة ٧٦، ٧٧، ٩٨، ٩٩
الاسكندر ٢٧، ٤٤، ٦٢، ٦٨.
اشرس بن عبد الله ٨٢، ٩٧
اشرس بن عبد الله السلمي ٤٩، ٩٦
الاصطخري ١١، ١٩٥
الاصمعي (عبد الملك بن قريب) ١٧١
افرا سياب ٢٣، ٢٤، ٥٢، ٥٣، ٦٤
الله يارخان ٢٠١
ام حبيبة ٢٦٩، ٢٧٠
ام حبيبة اخت المأمون ١٤٩
ام حبيبة بنت المأمون ١٤٩
ام الفضل بنت المأمون ١٤٩
أمية بن عبد الله بن أسيد ٧٨، ٧٩
امية بن عبد الله بن خالد ٩٢
مير علي الهندي ٢٧٥
امير هندو ٢١٣
الامين (محمد) ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٩،
١٣٠–١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٥٧،
١٥٨، ١٦٨، ١٨٨، ٢٦٣–٢٦٥، ٢٧١،
٢٧٢، ٢٧٦–٢٧٩
انس بن ابي اياس ٧٥
انو شيروان – كسرى ٢٧–١٧١–١٩١
اهريمن ٤٠
الاوزبكي عبد الله الثاني ٢٤٣
اورل ماير ٦٠
ايراج ٣٢
الايلخاني (السلطان الجاينو) ٢١٨
ايستوتلك ٢٤٩، ٢٨٣
أيود اسف ٣٤، ٣٥

ب

باربذ ٦٤، ٦٥، ٦٦
بارتولد ٣٧، ٣٩
الباهلي قطن بن عبد الرحمن ٨٩
الامير بايسنقر بن شاهرخ بن تيمورلنك ٢١٩
البحتري ١٧٢
البخاري ٤٦، ٥٠
براون ٢٧٤
البرمكي جعفر بن يحي ١٢١، ١٤٤، ١٦٥،
١٧١
البرمكي الفضل بن يحي ١١٩، ١٢٠، ١٢١،
١٣٤، ١٦٢، ١٦٧
البرمكي يحي بن خالد ٦٢، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤،
٢٦٣

برنر ٢٤٩، ٢٨٦
بروشسب ٣٨
بريده بن الخصيب الاسلمي ١٠٢
البستي ابو الفتح ١٧٢
بشر بن المعتمر ١٥٦
بشير فرنسيس ٢٣٩
بكر بن المعتمر ١٢٩
بكير بن وشاح ٧٨، ٨٨
البلاذري ١١٠٧، ٣٧
البلخي ٤٦
بورداود ١٢
الشيخ البهائي ٢٠٢
البهلوي رضا شاه ٢٢٠
البهلوي محمد رضا شاه ٢١٩، ٢٥٢
البيروني ابو ريحان ١١-٢٩
بير بالان دوز ٢٠٦
بيليو ٢٨٣
بيوراسب ٣١
البيهقي ١٦٥-١٦٧

ت

التربتي (الشيخ حسين) ٢٠٨
ترويبه ٢٨٦
التستري (القاضي نور الله الحسيني) ١٩٥
السيدة تكتم (ام الرضا (ع)) ٢٦٦
تلكوخان ٢٣٤
تيمورلنك ٢٠٥، ٢١٦، ٢٣٢، ٢٣٥-٢٤٢

ث

ثابت البناني ١١٣
ثابت بن قطنة ٦٠
الثعالبي ابو منصور ٢٢، ٢٧، ٥٣، ١٧١، ١٧٣، ١٨٧، ١٩١
ثمامة بن اشرس النميري ١٤٥، ١٥٦
ثيودور ابو قره كاهن حران ٢٦٩

ج

الجاحظ ١١
جبريل بن بختيشوع ١٢٨
الجراح بن عبد الله ٨٠، ٨١، ١٠٠
الجرجاني (عصابة) ١٩١
جعدة بن هبيرة ٥٦
الميرزا جعفر ٢٠٧، ٢٦١
جعفر بن محمد الاشعث ١١٩
الجلودي ١٤٦
جليل لباف ٤١
جميل بن عمران ١٠١
الجنيد بن عبد الرحمن ٨٢، ٨٨، ٩٣، ١٢٨، ١٦٠، ٢٢٥
جنكيزخان ٢٠٦، ٢٠٩
الجواد محمد بن علي الرضا (ع) ٢٧٠، ٢٧٦
جوادي بور ١٤
السر جون جاردين ٢٣٦
السر جون مالكولم ١٩٦
الجويني ٥٠
جيمس هنري برستد ٩، ١٦، ٤٢
جيمس موريير ٢٩٢

ح

الحارث بن عبد الله بن الحشرج ٩٩

الحارث بن قيس بن الهيثم ٩٣
الحارثي (ربيع) ٧٥
الحجاج ٥٢، ٧٩، ١٠١
الحر العاملي ٢٠٧
الحرشي سعيد بن عمرو ٨١، ٨٤، ٩٨، ١٠١، ١١٨
الحريش بن محمد الذهلي ١١٥
الحسن البصري ٥٠
الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٥
الحسن بن قحطبة ١٠٨
الحسن بن سهل ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١
حسين (السلطان بايقرا) ٢٠٩، ٢١٦، ٢١٨
حسين بهزاد ٦٢
الحسين بن الحسن الافطس ١٤٢
الحسين بن طاهر ١٧٢
الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) ٧٦، ١٠٣، ١٤١، ٢٢٣، ٢٢٤
الدكتور حسين علي محفوظ ١٩٣
الشيخ حسين القطيفي ١٦٠
الحسين بن مصعب بن زريق ١٣٩
الحاج حسين الملك ١١٦
الحكم بن عمرو الغفاري ١٠٢
حكيم المقنع ١١٨
الحكم بن الوليد ٨٤
الحلاج (الحسين بن منصور) ٢٧٤
الحلي (السيد حيدر) ١٧٦
حماد التركي ٦٧
حماد بن النعمان ١٥٦
حمزة الشاري ١٢٤
حمزة الأصفهاني ١١
حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي ١١٩
حمورابي ٩
الحموي (ياقوت) ٧، ١١، ١٩، ٤٥، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٦٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ١٩٥، ٢٣١، ٢٤٠
السيدة حميدة ام موسى الكاظم (ع) ٢٦٦
حميد بن عبد الحميد ١٧٢
الحنفي (ابراهيم بن عبد الرحمن) ٩٢
الحنفي خليد بن عبد الله ٧٥، ٧٦
حيان ٨٧، ١٠١

خ

خاقان ٧٢، ٨٢، ٨٣، ١٩١
خالد بن ابراهيم (ابو داود) ١١١، ١١٤، ١١٥
خالد بن كثير (ابو المغيرة) ١١٥
خالد بن يزيد بن معاوية ٥٥
خام جرد ٨٠
خانيكوف (نيكولا) ١٩٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦
خدابنده (محمد) ١٩٨، ٢٠٦
خراسان (اسم علم لشخص) ١٧
الخراساني (الملا كاظم الآخوند) ٢٨٩
الخزاعي (دعبل بن علي) ١٨٥، ١٨٨، ٢٢٦

خسرو بن كيقباد ١٢
الخشاب (يحيى) ١٦٧
الخطيب البغدادي ٦٣
الخليلي (عباس) ١٨
خليد بن طريف ٧٤
خليد بن قره ٥٦، ٧٤
الخيام (عمر) ٢٩، ١٧٢، ٢٢٧

د

داود سياه ١٣٦
داود بن علي ١٠٧، ١٠٨
داود قربان ٩
داود النبي ١٥١
دغفل ١٧
الدكني (قطب شاه) ٢١٠
دولة شاه ٢١٣
دوليج (الكولونيل) ٢٤٩، ٢٥٠
دونالدسون ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٨٤
دنلوب (الدكتور دي ايم) أ ١١
دياكوف ١٨
الدينوري ١١
الديواشي ٩٨

ذ

ذبيح بهروز ١٤، ١٥
ذي الأذعار ٥٥

ر

الرازي ٤٦
الرازي (احمد) ١٩٥
رافع بن الليث ١٢٥—١٢٨، ١٣١، ١٣٢، ٢٢٥
ربيع (خواجة) بن خيثم ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٨٧
رجا بن ابي الضحاك ١٤٦
رستم ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٦١
الرشيد (هارون) ٥٥، ٦٣، ١١٩، ١٢١— ١٢٩، ١٣١—١٣٧، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٦، ١٦٥، ١٦٧، ١٧١، ١٨٨، ١٩٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٣
الرضا (الامام) علي بن موسى (ع) ١٤٥، ١٤٧— ١٥٠، ١٥٢—١٥٥، ١٥٧—١٦٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢— ٢١٤، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤—٢٣٦، ٢٤٠— ٢٤٣، ٢٥١—٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١— ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩— ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٨٩
الرضي (الشريف) ١٨٨
ركن الدين همايونفرخ ١٨، ٢٧، ٢٩، ٣١
الرودكي ٦٢، ٦٥
رياض رافة ٢٧٥
ريان بن الصلت ١٤٩
ريتر (الدكتور) ١٩٦

ريدك ١٢
رينولد . آزنكلسن ١٠٩

ز

زآل ٥٧،٥٢
زبيدة ١٣٤،١٢٧
زرادشت ٤١،٤٠،٣٩،٣٨،٣٤،٣٣،١٦،
٦٤،٦٠
الزركلي -(خير الدين) ١٤١،٥٤
زكريا بن محمد ٤٧
زكي محمد حسن (الدكتور) ٦٩،٦٨،٦٣،
١٠٧
الزمخشري ٢٩
الزنوزي (الميرزا حسن) ١٩٦
زو ٢٤،٢٣
زياد بن ابيه ٩٠،٧٥
زياد بن صالح الخزاعي ١١١،١١٠
زياد بن عبد الرحمن القشيري ٩٩
زيد بن علي بن الحسين بن ابي طالب (ع) ٨٤،
١٦٣،١٤٢،١٤١،١٠٣
زيد بن موسى بن جعفر (زيد النار) ١٤٢
زين الدين محمد ١٩٥

س

سام ١٧
سايكس (سر برسي) ٢٣٤،٢٨،٢٠،
٢٨٨،٢٦٢،٢٤٣،٢٤٢،٢٣٩
سباع بن النعمان الأزدي ١١١
السبزواري (عبد القدير) ٢٠٨.
سبط ابن الجوزي ١٥٧
سبقرى ٩٨
سترو ثمن ٢٣١
ستريك ٢٥٨،٢٥٦،٢٥٥
سراج الخادم ٢٦٩
سعيد خذينة ٩٣،٨١
سعيد بن عثمان بن عفان ٩٩،٩٨،٧٦
السفاح ابو عبد الله ١١٠،١٠٩،١٠٨،٥٣،
١١٢،١١١
سفن بن ماجه ١٥٩
سفيان الثوري ٢٨
السلمي (اشجع) ١٧١
سليمان بن عبد الملك ٩٢،٨٨،٨٧،٨٠،٧٩
سليمان بن علي ١١٥
سليمان بن كثير ١٠٥
السمرقندي ٤٦
سنباد (فيروز اصبهبذ) ١١٤
سنجر (السلطان سنجر السلجوقي) ١٩٨،
٢٧٢،٢٤٣،٢٣٤،٢١٨
السندي بن شاهك ٢٦٤
سهل بن سلامة الانصاري ١٤٣
سهل بن الفضل ١٥٦
سياوخش ٦١
سيبويه ٢٩

ش

شاهرخ بن تيمورلنك ٢٠٥،٢٠٠،١٩٨،
٢٣٥،٢١٨،٢١٦،٢١٤،٢١٠،٢٠٧،
٢٦٢،٢٦١،٢٥٩،٢٥٣،٢٣٦

شاهين عطية ١٧٣
شبيب الطائي ٥٤
الشبيبي (محمد رضا) ١٩٥
شريك بن عبد الله ٥٣
شريك بن الشيخ المهدي ١١٠
الشعبي ٥٦
الشريف علي ٢١٣
الشهرستاني ٤١
شهريار ٧٢
شوستر (المسيو) ٢٨٩
الشيرازي (قوام الدين بن زين الدين) ٢٠٢

ص

الصاحب بن عباد ١٨٩
صادق نشأة ١٦، ١٦٧
صالح بن هرون الرشيد ١٢٩
صدر الممالك ٢٠٧
الصدوق ١٤٥—١٥٩
صفاء خلوصي (الدكتور) ٦٣، ١٠٩
الصفار يعقوب بن الليث ١٧٣
الصفوي (الشاه اسماعيل) ٢٠١، ٢٥١
الصفوي (الشاه حسين) ٢٤٧
الصفوي (الشاه سليمان) ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٨٤
الصفوي (الشاه طهماسب) ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٨٤
الصفوي الشاه عباس الاول (الكبير) ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣
الصفوي (الشاه عباس الثاني) ٢٠٨، ٢١٠، ٢٥١، ٢٦١
صنيع الدولة ١٩٥
صول ٩٤
الصيرفي ١٧٢

ض

الضبي (محمد بن حسان) ١٧٣

ط

الطالقاني (محمد حسن) ١٩٢
الطالقاني (السيد موسى) ١٩٢
الطاهر (محمد شاه) ٢١٢
طاووس ٥٠
طاهر بن الحسين ٢٩، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٥٧، ٢٦٥، ٢٧٧
طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ١٧٢
الطبرسي (امين الاسلام الشيخ ابو علي) ٢٠٦
الطبري ١١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٩، ٥٧، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٨٠، ٨٣، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٩، ١١٧، ١١٩، ١٢٤، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٤١، ١٥٧، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤
طوج ٣٢
الطوسي (ابو جعفر) ٢٩، ٥٠
طهمورث ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٨
طيفور ٥٥، ٥٨، ٥٩

ع
عاتكة الخزرجي (الدكتورة) ١٩٠
عاصم بن عبد الله ٩٣،٨٣،٨٢
عامر بن اسماعيل الحارثي ١٠٩
عالم بن سام ١٧
العاملي (السيد محسن الأمين) ٢٢٤
العيادي (عبد الحميد) ٢١٣
العباس بن جعفر بن محمد الأشعث ١١٩
عباس قليخان ٢٠٨
العباس بن المأمون ١٤٨
عباس محمود العقاد ١٤٤،١٤٣
العباس بن موسى بن عيسى ١٣٢
عباس ميرزا بن فتجعليشاه ٢٠٢
العباسي (علي رضا) ١٩٩
عبد الجبار الازدي ١١٦،١١٥
عبد الجليل لباف ٦٧
عبد الرحمن الازدي ١١٥
عبد الرحمن بن جبلة الانباري ١٣٧
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ٥٠
عبد الرحمن بن نعيم ١٠٠
عبد العزيز الدوري (الدكتور) ٢٧٨
عبد الله بن الامين بن الرشيد ١٣٩
عبد الله بن الحسن ١٦٣
عبد الله بن خازم الاسلمي ١٠٢
عبد الله خان اوزبك ٢١٠
عبد الله بن طاهر بن الحسين ١٧٢،١٥٦،٢٩
عبد الله بن العباس ١٥٣،٥٤،٥٠،٤٦
عبد الله بن علي ١١٤،١١٣،١١٢،١٠٩، ١١٥
عبد الله بن عمرو بن العاص ٥٠
عبد الله فياض ٣٧
عبد الله بن مسلم ٩٤
عبد المجيد بدوي ١٣
عبد الملك بن مروان ٨٨،٧٩،٧٨،٥٥
عبد الملك بن يزيد (ابو عون) ١١٨،١١٧
عبد المنعم صفي الدين ٨
عبد المؤمن خان اوزبك ٢٦٢،٢١٠
عبد الوهاب عزام ٢٢١،٢٢٠،٢١٤،٢١٢، ٢٢٥،٢٢٤
العتابي ٥٨
عثمان بن عفان ٧٤،٧٣
عثمان بن الوليد ٨٤
العريان (سعيد) ١٦٥
عطاء بن ابي رباح ٥٠
عطاء الخراساني ٥٠
العطار (الشيخ فريد الدين) ١٧٢
عقبة بن مسلم ١١٨
العلوي (السيد مهدي) ٢٦٠
علي بن ابي طالب (ع) ٨٤،٧٤،٥٦،٤٦، ١١٥،١٥٣،٢١٤،٢٢٠،٢٢٣،٢٢٤، ٢٣٠،٢٣٤،٢٧٤،٢٧٨
علي اكبر فياض ٦٢
علي شير نوائي ٢١٨،٢١٦،٢٠٩
علي بن الحسين ٨٤
علي قليخان ٢٠٣
علي بن محمد ٥٦
علي بن محمد بن الجهم ٢٦٨
علي نقي ميرزا ٢٦١

علي بن هشام ٧١، ١٣٧، ٢٧٠
علي بن يحيى السرخسي ١٣٢
عمار بن يزيد ٩٥
عكرمة ١١٣
عمر بن عبد الرزاق ١٢١
عمر بن عبد العزيز ٨٠، ٨١، ٨٧، ٩٢، ٩٣، ٩٩، ١٠٠، ١٤٠
العمري (عبد الباقي) ١٩٠
عميد الدولة (فائق) ٢٤١
عون ١٢٣
عيسى بن جعفر ١٢١
عيسى بن علي ١١٥
عيسى بن علي بن عيسى بن ماهان ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٦٥
عيسى بن مريم ٢٤٨
عيسى بن موسى ١١٧، ١٣٢

غ

غالب الرومي ٢٦٩
غالب الليثي ٧٥
الغزالي (ابو حامد) ٢٩، ٤٧، ٢١٢، ٢٤١
الغزنوي (السلطان مسعود) ٢١٤
الغزنوي (السلطان محمود بن سبكتكين) ١٩٨، ٢١٤، ٢٣٤، ٢٤٣
الغطريف بن عطاء ١١٩
الغفاري (الحكم بن عمرو) ٧٥، ٩٠

ف

فائق (عميد الدولة) ٢٣٣
الفارابي ٢٨، ٦٥.
فاضل (خان) ٢٠٧
فاميري ٢٤٩
فرخ ٥٥
الفردوسي ١٣، ١٤، ١٥، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٥٩، ٢٤١
فرهاد ميرزا ١٩٦
فريد وجدي ٣٧
فريزر ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٨٤
فريدون ٣٢
فريه (المسيو) ١٩٦
الفضل بن الربيع ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥
الفضل بن سليمان (الطوسي) ١١٨، ١١٩، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠–١٣٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٦–١٥٨، ١٦٠، ٢٦٤–٢٦٦، ٢٦٩–٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٦–٢٨١
الفضل بن عباس ١٨٥
الفضل بن عياض ٤٩
فؤاد عباس ٢٤٥، ١٦٩
فور شابر ١٩٦، ٢٥١، ٢٥٢
فير وزور ١٩٦
فيض المندي ٢٧٢
فيرير ٢٤٩، ٢٨٣، ٢٨٦

ق

القاجاري (احمد شاه) ٢٨٨
القاجاري (فتحعلي شاه) ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٩١

القاجاري (محمد علي شاه) ٢٨٨، ٢٨٩

القاجاري (ناصر الدين شاه) ١٧٦، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦١

القاسم بن الرشيد ١٢٧، ١٣١، ١٣٢

القاضي الشريف جلال الدين ٢١٣

قتيبة (بن مسلم) ٧٩، ٨٠، ٩٢، ٩٤، ١٠١

قثم بن العباس ١٠٢

قحطبة ٥٤، ١٠٨

قحطبة بن شبيب ١٠٨

القزويني (زكريا بن محمد) ١٩٥

القسري (اسد بن عبد الله) ٨٢، ٨٣

القسري (خالد بن عبد الله) ٨٢، ٨٣

القشيري (عبد الرحمن) ٨١، ٩٣، ١٠٠

قطن بن قتيبة ٩٩

القلقشندي ٤١، ١٥٠، ١٥٤

القمي (ابو طاهر) ٢٣٤

القمي (شرف الدين) ١٩٨

القمي (عبد العزيز بن ادم بن ابي نصر) ١٩٩

ك

كارنجي ١٥

الكاظمي (الشيخ جابر) ١٧٥

كبّة (الحاج مصطفى) ١٧٦

كرزن ٢٨٣

الكرماني (جديع) ٨٣، ٩٦

كريستنس ١٢، ٣٩

كشتاسب ٣٩، ٤٠، ٦٠

كلافيو ٢٤٢

كلوب (السر جون كلوب باشا) ٢٧٧، ٢٧٩

الكليني ٢٦٧، ٢٦٨

كنولي (المسيو) ١٩٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٣، ٢٨٦

كورش الكبير ٣٨، ٦١

كور صول ٨٣

كوركيس عواد ٢٣٩

كولدنر ٣٨، ٦٠

كوهرشاد ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١

كيخسرو ٢٦

كيقباد ٢٥، ٥٢

كيكاووس ٢٦، ٥٢، ٥٥، ٦١

كيومرث ١٣

ل

لاهز بن قريط ٩٩

لسترنج ٢٣٩، ٢٤٠

لهراسب ٢٦، ٣١

م

مارس ٢٨٣

المازني (مالك بن الريبة) ١٧٢، ١٩١

ماسين ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٣

ماكدونالد (كيني) ١٩٦

مالك بن انس ٥٠

المأمون (عبد الله) ٥٥، ٥٨، ١٢١—١٢٤،

١٢٧—١٣٩، ١٤٣—١٥٠، ١٥٤، ١٥٦
—١٦٣، ١٦٧، ١٨٧، ١٩١، ١٩٧، ٢٢٦
٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٦٣ — ٢٧٢
٢٧٤—٢٨٤
ماني ٤٢، ٤٣
مجاشع بن حريث الانصاري ١١٥
المجشر بن مزاحم ١١٥
المجلسي ٢٦٦
محسن الامين (السيد) ١٥٩
محمد (الشاهزاده) ٢٠٦، ٢٨٧
محمدالنبي (ص) ٧٤، ٩١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٨،
١١٠، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ٢٤٨،
٢٦٠، ٢٦٧
محمد اولجاتيو (المغولي) ٢٣٥
محمد امين جلبي شالي ١٩٠
محمد باقر ٢٠٧
محمد بديع ٩، ٣٤، ٤١، ٦٥، ٦٦، ٦٧
محمد بن جعفر بن علي بن الحسين ١٤٢
محمد بن سليمان بن داود بن الحسن ١٤٢
محمد بن طاهر ١٧٣
محمد بن طاهر بن الحسين ٥٨
محمد (التقي) بن عبد الله ٢٧٤
محمد بن عبد الله بن عباس ١١٣
محمد بن علي ٤٥، ٥٤
محمد بن علي بن عبد الله ١٠٧
محمد بن الليث ١٦٤
محمد (المحروق) بن محمد بن زيد ١٦٢،
١٦٣، ١٧٢
محمد تقي فخرداعي ٢٠، ٢٨
محمد ثابت ٢٢٥
محمد (السيد) جعفر خان ٢٢٠
محمد جواد مشكور ١٧، ٣٩
محمد (السلطان) خوارزم شاه ٢٠٩
محمد رضا (شاه) ٥٩
محمد عيسى (الحاج) جلبي ١٩٠
محمد مهدي (العلوي) ٢٣٢
محمد مهدي (الدكتور) ١٠٢
محمود غازان ٢١٤
محمود هداية ٢٢، ٢٧
المخزومي ابو سعيد ١٨٧
المخلد بن يزيد بن المهلب ١٠١
مرتضى ميرزا ٢٠٨
مرجليوث ١٩٢
مروان بن ابي حفصة ١٢٠
مروان بن محمد ٨٤، ١٠٦، ١٠٩
المروزي بن سليمان ٢٦٨
مزاحم بن بسطام ٨
المستشار ٢٠٧
المستوفي ٢٣٥، ٢٤١
المستوفي حمد الله ٢٣٢
المستوفي القزويني ٢٧، ٢٣٠
المسربل بن الخريت بن راشد ٩٨
المسعودي ١١، ٢٣، ٢٦، ٣٤، ٥١، ٦٥، ٢٦٣،
٢٧٠
مسلم بن سعيد ٨١
مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ٩٩

مسلمة بن عبد الملك ٨١
المسيب ٨١
المسيب بن زهير ١١٨
مشير الدولة ٩
مصطفى حجازي ١٦
معاذ بن مسلم ١١٨
معاوية ٣٧
معاوية بن ابي سفيان ٧٥–٧٧، ٩٠، ٩١، ٩٨، ٩٩، ٢٢٥
معاوية يزيد ٤٩، ٧٧
المعتصم بن الرشيد ١٣٨
معقل بن عروة ١٠١
المغيرة بن جبناء ٦٠
المفضل ٥٨
المفيد (الشيخ) ١٤٧، ١٥٩
المقدسي ١١، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٠
مكحول ٥٠
مكي البحراني ٣٨، ٤٠
ملك شاه (الأمير) ٢٠٦
المنصور (ابو جعفر) ٦٧، ١٠٧، ١٠٩–١١٧، ١٢٨، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧،
المنصور بن المهدي ٢٧٨
منصور بن يزيد الحميري ١٢١
منوجهر ستوده ٢٠، ٢٣، ٣٨، ٥٢، ٧٠، ٢٤٦
المكي ابو زيد ١١٣
موسى بن الأمين ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩، ٢٦٥
موسى بن عمران ٢٤٨
موسى بن كعب ٩٥
موسى بن المهدي ١١٧، ١١٩
موسى بن جعفر (الامام) ٢٠٦، ٢٣٠، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٨٧
المهدي بن المنصور ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٦٤
المهلب بن ابي صفرة ٧٩، ٩٦
ميرانشاه تيمور ٢٢٦، ٢٣٢
ميرزا (الخواجة السيد) ٢٠٥
ميرزا رضا قلي خان ١٩٦

ن

نادر شاه ٢٠٣، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٨٦
نادر (ميرزا) ٢٥٢
نادر (نظام) ١٧، ٣٩
نباته ١٠٨
النجاشي ١٩١
النخعي ٥٠
نصر بن شبث العقيلي ١٣٩
نصير زاده جليل بك ٢١٣
نعيم بن حازم ١٣٧
النقاش (محمد بن ابي زيد) ٢٠٠
نكلسون ٦٢
النوبختي ٢٩
نوح ١٧
نوفل الخادم ١٣٧
نهار بن توسعة ٦٠
نير الدولة ٢٠٩

هـ

هادي طبيب زاده ٤٣
هانوي ١٩٦
هرتسفيلد ١٨
هرثمة بن اعين ٥٥، ١١٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٨، ٢٦٥، ٢٧٦
هرمن تريل ٦٠
الهروي اقا شيخ حسن ١٧٦
هشام بن عبد الملك ٤٩، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ٩٥، ٩٦، ١٦٠
همام بن قبيصة النمري ٩٩
هولاكو ١٩٨
هوليستر (جون هوليستر) ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥
هومل ٩
هيرودوت ١٠، ٢٧، ٦٤
هيطل ١٧

و

وستفال ٦٠
وستركارد ٦٠
وشاح بن بكير بن وشاح ٩٩
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٦٧، ٧٩، ٨٤، ٨٨، ١٤١
وليم جاكسون ١٢
ونداسب ٣١

ي

يار محمد خان ٢١٠
ياسر الخادم ١٥٩
يحي بن اكثم ١٤٦
يحي بن الحسن ٥٨
يحي بن زيد ٨٤، ١٦٣
يحي بن المبارك ١٤٥
يزدان ٤٠
يزدجرد ١٣، ٥٨، ٧٢، ٧٣
اليزدي (كمال الدين محمود) ١٩٩
يزيد بن عبد الملك ٨١، ٩٨
يزيد بن معاوية ٤٩، ٧٦، ٧٧، ٩١، ١٤١
يزيد بن مزيد ١١٧
يزيد بن الوليد بن عبد الملك ٨٤، ٨٩
اليشكري ٩٠
يعقوب بن داود ٢٩
يعقوب بن شيبة ٥٠
اليعقوبي ١.١، ٩٠، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٦٧، ٢٦٩
يوسف بن ابراهيم ١١٧، ١١٨
يوسف بن عمر ٨٨، ١٤٢
يوسف مبسكوني ١١١
يوسف هراتي ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٧
بيت الرحالة ٢٨٣

هذه الموسوعة

على الرغم من انتشار الحضارة والثقافة التي دفعت بالكثير من العلماء والمحققين والباحثين في العصور الأخيرة الى احياء مختلف التراث الاسلامي والآثار العربية فيما بحثوا ، وحققوا ، وكتبوا ، فقد ظلت هنالك كنوز ذات قيمة كبرى في تاريخ العالم الانساني فضلاً عن تاريخ الاسلام والعرب .

لقد ظلت هذه الكنوز مطمورة في بطون الكتب المخطوطة والمطبوعة لم يمسها احد إلا من بعض اطرافها، ولم يتطرق اليها باحث الا من بعض جوانبها ، وهي كنوز لم تقتصر على ناحية دون ناحية ، فهي تخص العلم ، والادب، والفن، والفلسفة ، بقدر ماتخص الفقه والتاريخ ، متمثلة كلها في تاريخ العتبات المقدسة :

مكة المكرمة ـ المدينة المنورة ـ القدس الشريف ـ النجف الاشرف ـ كربلاء ـ الكاظمين ـ مشهد الرضا ـ سامراء .. الخ

فلكل عتبة من هذه العتبات تاريخ ذو علاقة جد وثيقة بالثقافة والحضارة الاسلامية والعربية ، مما اختزنته من المخطوطات الاثرية ، والروائع الادبية، وما قامت به من المدارسة طوال العصور المظلمة ، اذ لولا هذه العتبات لما بقي اليوم بايدينا من تلك الكنوز الا النزر اليسير .

وهذا هو الذي دفع بطائفة من اهل الفضل واساتذة جامعة بغداد من ارباب الاختصاص الى ان تتضافر جهودهم في اخراج موسوعة تاريخية ـ علمية ـ اثرية ـ ادبية ـ عامة ، تتناول جميع العتبات المقدسة بالبحث المفصل الشامل منذ اول تمصير العتبة المقدسة حتى اليوم ـ على ان يكون لكل عتبة اجزاء خاصة ، وان يكون كل جزء منها مستقلاً بمواضيعه .

وهو اول عمل من نوعه ، واول مجهود خطير يقوم به مؤلفه ، ويكفي ان يستدل القارىء على خطورته مما يقع تحت عينيه من اجزائه .










Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



